# المؤري العدريب

بحَلة ففليَة تَارِيخِية كُلِمَة بَعِنى بِسُوْونَ الْاَرْكَ وَالْتَارِيخُ الْعَرْبِي وَلَا عَالَمِي



تصريحي اللؤمانه اللعامة لاتحاو المؤرمين العرب \_ بغماد

العكدد٣٧ - السكنة الرابعكة عشرة 19٨٨ - 19٨٨ م

# المورخ العسربي

# مجلة فصلية تاريخية محكمة تعنى بشؤون التراث والتاريخ العربي والعالمي

تصدر عن الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب . بغداد

العدد ۲۷ . السنة الرابعة عشرة 19۸۸ . ۱٤٠٩





ترسل البحوث باسم مدير التحرير ص · ب : (٤٠٨٥) بغداد - الجمهورية العراقية

مجلة المؤرخ العربى ـ اتحاد المؤرخين العرب ت، (٤٤٤٨٠٠٦)

الاشتراك السنوى في مجلة المؤرخ العربي وما يصدر عن الاتحاد من المنشورات التاريخية هو (٠٠) ديناراً عراقيا داخل العراق ، و(١٥٠) دولاراً امريكيا خارج العراق ٠

#### شروط نشر البحوث في المجلة

- ١ \_ ان يعتمد البحث الأسس العلمية في اعداد وكتابة البحوث ٠
  - ٢ \_ ان يكون منسجما مع اهداف اتحاد المؤرخين العرب
    - ٣ ـ ان لايزيد عدد صفحاته عن (٥٠) صفحة ٠
- ٤ أن لايكون قد سبق نشره أو قبل للنشر في مجلة أخرى ، على أن يقدم كاتب البحث تعهدا يؤكد ذلك مرفقا برسالة مع البحث موجهة الى مدير التحرير : ه البحث موجهة الى مدير التحرير : ٥ ـ تقبل البحوث في جميع فروع المعرفة التاريخية ، وباللغتين العربية والإنجليزية ،
- ٦ \_ يطبع عنوان البحث على ورقة مستقلة ، ويغضل أن يكون مختصرا ، ويثبت اسم الباحث أو اسماء الباحثين الكاملة والعنوان لكل منهم .
  - ٧ \_ يطبع البحث على وجه واحد من الورقة ، وتأخذ كل ورقة رقمها الخاص ، ويقدم بنسختين ٠
- ٨ \_ بالنسبة للبحوث المقدمة الى المؤتمرات أو الندوات أو كان مستلا من رسالة أو اشرف عليها مقدم البحث يؤشر في حاشية
- ٩ \_ الأمور فنية خاصة بالطباعة يجب ان توحد الهوامش الخاصة بالبحث من أول هامش في البحث الى آخر هامش فيه ، وتعطى تسلسلا واحدا
- ١٠ يحال البحث المقدم للنشر الى خبير مختص ، ويعاد الى كاتبه لاجراء التعديلات المقترحة أن وجدت على أن يعاد الى مدير التحرير في غضون خمسة ايام ٠
- ١١ رتبت البحوث لاعتبارات فنية وهي تعبر عن اراء اصحابها مع التأكيد على ان مجلة المؤرخ العربي منبر تاريخي قومي تنطق باسم القضية العربية الكبرى ، والبحوث التي ترد للمجلة لاتسترجع الى اصحابها في حالة عدم نشرها ٠
  - ١٢ \_ يرجى تدوين اسم الباحث ، وعنوان بحثه باللغة الأنجليزية ٠

#### هيئة التحرير

رئيساً للتحرير

نائبا لرئيس التحرير مديراً للتحرير سكرتيراً للتحرير محرراً للقسم الفني مشرفاً فنياً عضواً

عضوأ

عضوأ

١ - الاستاذ الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار
 الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب

٢ - الدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني

٣ ـ الدكتور حسين محمد القهواني

٤ - السيد اسامة النقشبندي

٥ ـ الدكتور زكي مجيد حسن

٦ ـ السيد رجاء عبدالرزاق

٧ ـ الدكتور نزار عبداللطيف الحديثي

رئيس جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق

٨ - الدكتور عبد المنهم رشاد

رئيس جمعية المؤرخين والاثاريين فرع الموصل

٩ - الدكتور جهاد صالح العمر

رئيس جمعية المؤرخين والاثاريين فرع البصرة

#### الهيئة الاستشارية لمجلة المؤرخ العربي

المملكة الاردنية الهاشمية/اربد/جامعة اليموك ١ ـ الدكتور يوسف غوانمة كلية الاداب والعلوم الانسانية مدير دائرة التاريخ دولة الامارات العربية المتحدة/أبوظبي/ ٢ ـ الدكتورة عائشة السيار وزارة التربية والتعليم/وكيل الوزارة المساعد للخدمة الاجتماعية ٠ دولة البحرين / جامعة البحرين ٣ ـ الدكتور عبداللطيف الرميحي كلية الآداب والعلوم/رئيس قسم الدراسات العامة ٠ الجمهورية التونسية / تونس · ٤ \_ الدكتور محمد الباجي بن مامي الأمين العام للجمعية التونسية للتاريخ والأثار . الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية/الجزائر ه \_ الاستاذ محمد طويلي وزارة الثقافة /مدير المركز القومي للدراسات التاريخية ٠ جمهورية جيبوتي/وزارة الاعلام ٦ \_ الاستاد محمد عبدالله ديراش المناجيط ومؤرخ في وزارة الاعلام الجيبوتية · الملكة العربية السعودية / الرياض الأمين العام ٧ \_ الدكتور عبدالله العثيمين لجائزة الملك فيصل العالمية/ الامانة العامة • جمهورية السودان الديمقراطية / الخرطوم ٨ ـ الدكتور يوسف فضل حسن رئيس جامعة الخرطوم الجمهورية العربية السورية ٩ \_ الاستاذ محمود عمر السباعي رئيس الجمعية التاريخية ف حمص ا

جمهورية الصومال/مقاديشو

الاكاديمية الصومالية للعلوم والآداب

الجمهورية العراقية / جامعة بغداد

كلية الآداب قسم التاريخ

١٢ ـ الاستاذ عامر محمد ساعي الحجري سلطنة عمان / مسقط
وزارة التراث القومي والثقافة مدير عام الثقافة ٠
١٣ ـ الدكتورة خيرية قاسمية (ممثلة فلسطين) الجمهورية العربية السورية دمشق / كلية الآداب / قسم التاريخ ٠

١٥ ـ الدكتورة ميمونة الصباح١٦ ـ الدكتور ابراهيم بيضون

١٠ \_ الشيخ جامع عمر عيسي

١١ \_ الدكتور فاروق عمر فوزي

١٤ \_ الدكتور مصطفى عقيل

١٧ ـ الدكتور محمد طاهر الجراري

دمشق / كلية الآداب / قسم التاريخ ·
دولة قطر / الدوحة / جامعة قطر/
معاون مدير مركز الدراسات / قسم التاريخ ·
دولة الكويت/جامعة الكويت/كلية الآداب قسم التاريخ ·
الجمهورية اللبنانية/الجامعة اللبنانية/كلية الآداب والعلوم
الانسانية/قسم التاريخ او معهد الانماء العربي ·
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية/
امين مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي/طرابلس ·

جمهورية مصر العربية / سوهاج / جامعة اسيوط عميد كلية الآداب · المملكة المغربية / مدير المعهد الملكي للشباب/الرباط · جمهورية موريتانيا الاسلامية مدير المعهد الموريتاني نواكشوط ·

جمهورية اليمن الديمقراطية/جامعة عدن/ كلية الادارة/رئيس قسم التاريخ · الجمهورية العربية اليمنية/صنعاء · ١٨ ـ الدكتور عاصم الدسوقي

١٩ ـ الدكتور زكي مبارك

٢٠ ـ الدكتور عبدالودود بن الشيخ

٢١ ـ الدكتور صالح ياسره

٢٢ ـ الدكتور حسين عبدالله العمري



### محتويات العدد

O بحوث التأريخ الحديث والمعاصر

١ \_ السلطان سعيد والعلاقات العربية الافريقية

٢ \_ الاسواق التجارية الموسمية ف قشتالة خلال
 النصف الثانى من القرن الخامس عشر

٣ \_ دار العلم في حماة \_ مؤسسة ثقافية فريدة

٤ \_ العلاقات العراقية الاردنية ١٩٥١ \_ ١٩٥٨

ه - اضواء على العلاقات السوفيتية
 بدول أوربا الشرقية

0 بحوث التأريخ العربي والاسلامي

٦ - العرب والخزر في عهد الخلفاء الراشدين
 والدولة الاموية

٧ \_ كانم \_ برنو بالسودان الاوسط في العصر
 الوسيط \_ علاقات تأريخية عريقة بالعرب والمسلمين

٨ ـ دور الطوسي في الغز المغولي لبغداد
 ٢٥٦ هـ / ٢٥٨م

٩ \_ الطبري الفقيه المؤرخ

O بحوث التأريخ القديم والآثار

۱۰ ـ دراسة مركزة في نقاط للفكر العسكري العراقي القديم عبر الغي عام قبل الميلاد ۲۰۰۰ ـ ۳۹ ق. م

١١ \_ الدعاية قديما وحديثا

O سيرة مؤرخ الاستاذ الدكتور حسن احمد ابراهيم

د. محمد حسن العيدروس
كلية الآداب ـ جامعة الامارات العربية المتحدة
د. فلاح حسن عبدالحسين
كلية التربية ـ جامعة البصرة
نزار سعيد ـ المحامي
دار الكرمل ـ دمشق
د. اسماعيل احمد ياغي
كلية العلوم الاجتماعية ـ جامعة الامام سعود
د. عبداللطيف حسن الرميحي

رئيس قسم الدراسات العامة \_ جامعة البحرين

د. حسين علي الداقوقي
 كلية التربية - جامعة بغداد

د. أمين توفيق الطيبي جامعة الفاتح - طرابلس الغرب د. محمد جاسم حمادي المشهداني معهد الدراسات القومية والاشتراكية - الجامعة المستنصرية

احمد عبدالباقي عضو اتحاد المؤرخين العرب ـ بغداد

د. فاضل عبدالواحد
د. فاروق ناصر الراوي
كلية الآداب - جامعة بغداد
د. خالد حبيب الراوي
كلية الآداب - جامعة بغداد

ندوة العدد سامراء ف التأريخ والتراث والادب

سالم الآلوسي

عرض : ندى نعمان عبدالرحمن

عرض عبدالمجيد عبدالحميد

عرض : سعد مخبير

عرض : موقق الجواري

O عروض الكتب والرسائل العلمية في التأريخ

۱۲ ـ بحوث في تأريخ السنة المشرفة للدكتور اكرم ضياء العمري

۱۲ ــ العلاقات الاردنية السورية منذ استقلال البلدين ۱۹۶۱ ــ ۱۹۷۲

> ۱۶ ـ العراق وسوريا ۱۹۶۱ تأليف جفري ورنر

ترجمة د. محمد مظفر الادهمي

۱۵ ـ ایران ف سنوات الحرب العالمیة الثانیة تألیف عبدالهادی کریم سلمان





·



·

#### المقدم\_\_ة

يسرنا ان نقدم العدد الجديد من مجلة المؤرخ العربي والذي يضم بحوثا في مختلف اختصاصات التاريخ العربي وعلى مر مراحله حيث ساهم في تحرير هذا العدد مجموعة من المؤرخين العرب ومن مختلف الاقطار العربية حيث توزعت بحوثهم على اختصاصات التاريخ الحديث والمعاصر ، والتاريخ الاسلامي والعصور الوسطى ، واختصاصات التاريخ القديم والآثار ، اضافة الى البحوث التاريخية باللغات الأجنبية وأبواب المجلة النابة ،

إننا في الوقت الذي يسعدنا ان نقدم هذا العدد للقراء الكرام ، نود ان ننوه الى ما سيقوم به الاتحاد من نشاطات في مجال الندوات والمؤتمرات التاريخية ، والتي بدأت في تموز عام ١٩٨٧ ، حيث كان اولها مؤتمر حطين التاريخي بمناسبة مرور ٨٠٠ عام على المعركة ، حيث شعرت الصهيونية بمأزق تاريخي كبير تعانى منه ، ولذلك عمدت الى تشويه صورة ذلك التاريخ ، وتبنت عقد مؤتمراً حول معركة حطين وهو امر في غاية التحدى اللِقاربيخ والمؤرخين العرب ، فتحرك الاتحاد من أجل أحباط تلك المحاولة اللئيمة ، فاصدر بيانا للمؤرخين العرب والمسلمين يدعوهم فيه الى مقاطعة المؤتمر المزمع عقده في فلسطين المحتلة ، وقرر الاتحاد عقد عدة مؤتمرات عن معركة حطين في بغداد ، والقاهرة ، وعمان ، ودمشق ، وصنعاء ، ولندن ، لاحياء ذكرى هذه المعركة الخالدة التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على الغزاة الأفرنج الصليبيين ولتفويت الفرصة على الكيان الصهيوني ولمنعه مستقبلا من التمادي في عقد مثل هذه المؤتمرات ٠

وثانیها مؤتمر دور محمد الخامس فی مقاومة الاستعمار ، حیث یشارك اتحاد المؤرخین العرب فی احیاء الذکری (۲۵) لوفاة الزعیم المغربی محمد الخامس وابراز دوره فی مکافحة الاستعمار الفرنسی وتحریر المغرب .

ويعقد هذ المؤتمر بالتعاون مع جمعية رباط الفتح بالرباط في المملكة المغربية ·

وثالثها عقد ندوة عن التراث الكيميائي العربي في اغناء الحضارة الانسانية وجاء عقد الندوة من أجل توضيح وابراز التراث الفكري العربي في ميدان الكيمياء

واثر العرب ف اغناء الحضارة الانسانية ف هذا الميدان وذلك بالتعاون مع نقابة الكيميائيين واتحاد الكيميائيين العرب والمجمع العلمي العراقي ومركز احياء التراث العلمي بجامعة بغداد ·

ورابعها عقد الندوة القومية لكتابة تاريخ الامة العربية تحت شعار «نحو مدرسة عربية لكتابة التاريخ وفهمه» •

وكان من أهم أهداف هذه الندوة:

تثبيت فهم علمي عربي لكتابة تاريخ الامة العربية وتنقية التاريخ العربي من جميع تشويهات الشعوبية والأقليمية الضيقة ودراسة الاتجاهات العالمية الحديثة ف دراسة التاريخ للافادة منها في اعادة كتابة التاريخ المعربي وتطويره ، تأصيل الرواية التاريخية العربية وترتكيقها ودراستها والتأكيد على دراسة الجوانب الفكرية والنفاسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية في التاريخ وعدم الاقتصار على الجانب السياسي وحده ، تبادل الرأي حول الكتابة التاريخية في الوطن العربي وتقريم مختلف التجارب القطرية من منظور عربي شمولي واجراء حوار علمي مفتوح حول مشاكل دراسة التاريخ العربي ومستقبله وتوحيد المصطلحات التاريخية ف توثيق دراسة التاريخ العربي هذا بالاضافة الى محاولة ايجاد مدرسة عربية لكتابة التاريخ وليس الاعتماد على كتابة المستشرقين الذين قاموا بتحوير كثير من المفاهيم العربية -

عقدت الندوة بالاشتراك مع هيئة كتابة التاريخ في القطر العراقي ، وكانت هناك ندوات سابقة حول كتابة تاريخ الامة عقدت في كل من بغداد عام ١٩٧١ والكويت عام ١٩٧٤ والدوحة عام ١٩٧٧ وليبيا عام ١٩٧٩ وسوريا عام ١٩٨٦ وتضمنت محاور الندوة : (١) منهج كتابة التاريخ العربي (٢) استجلاء الظواهر الايجابية في التاريخ القومي (٣) دراسات متخصصة حول اعادة كتابة بعض جوانب تاريخ الامة العربية (٤) الافاق المستقبلية للدراسات التاريخية ٠

خامسها سيكون مؤتمر ايران والشرق الأوسط رؤية تاريخية · وان المحاور التي ستلقى في المؤتمر هي

العلاقات الايرانية مع الدول المحيطة بها بشكل خاص ودول الشرق الأوسط الأخرى بشكل عام مع التركيز على الخلفية التاريخية لتلك العلاقات واثرها على الحاضر والمستقبل مع القاء الضوء على الاطماع الفارسية عبر التاريخ ومعاداتها للقوميات المجاورة للامبراطوية الفارسية ٠

وسيعقد المؤتمر بالاشتراك مع مركز بحوث الشرق الأوسط / جامعة عين شمس .

أما المؤتمر السادس فسيكون عن دور المؤرخين العرب ف التصدي للمحاولات الصهيونية لتشويه التاريخ العربي الاسلامي ·

فكرة المؤتمر تهدف الى التصدى للصهيونية ومحاولاتها في تشويه التاريخ العربي الاسلامي وطمس التراث الثقافي العربي وتدارس الخطر الصهيوني لايصال العرب والمسلمين الى هدفهم وهو تحرير القدس القدس ال

وسيعقد المؤتمر بالاشتراك مع جامعة صنعاء والجمعية الفلسطينية للتاريخ والآثار ·

أما المؤتمر السابع فسيكون عن صورة العرب والاسلام في المناهج التاريخية الأمريكية ، يهدف المؤتمر الى معالجة السلبيات في المناهج التاريخية الأمريكية التي الكتضت بالمفاهيم المعادية للقضية العربية وعرض العقيدة الاسلامية بصورة مشوهة ومخالفة التعقيقة ولاتخلو من الاستهانة والاساءة وتجريد الاسلام من الخصائص الروحية والاخلاقية التي تتصف بها الديانات السماوية التوحيدية ، تجاهل الجوانب الايجابية في الحضارة العربية وفضل هذه الحضارة على الصفارة الانسانية ، عرض النزاع العربي الاسرائيلي من وجهة نظر متميزة لاسرائيل ومعادية للعرب واعتبار العرب مسئولين عن الارهاب الدولى ، تضليل التلاميذ وشحن نفوسهم بالحقد والبغضاء للعرب والعداء اللاسلام والمسلمين لذلك فمن الضروري اعادة النظر في المناهج المدرسية الأوربية .

وسيعقد المؤتمر بالتعاون مع احدى الجامعات الأمريكية ·

أما المؤتمر الثامن فهو عن انقاذ آثار مأرب وذلك الممانا من المؤرخين العرب بضرورة المواقع الأثرية والمحافظة عليها من زحف العمران وعبث الانسان والعمل على الاستفادة علميا من تلك الكنور الرائعة ولأهمية هذا التراث العربي فقد قام الاتحاد بحملة

اعلامية عربية وعالمية لبعث وانقاذ المعالم الأثرية وقد دعا الأوساط العربية والعالمية المتخصصة لتبنى مشروع دولى لانقاذ آثار مأرب ولهذا فقد تبنى الاتحاد وبالاتفاق مع الأوساط العلمية اليمنية فكرة اقامة مؤتمر سد مأرب بقيام حملة اعلامية وثقافية على المستويات كافة وسوف يقوم الاتحاد بدعوة جميع الهيئات والمنظمات والجمعيات التاريخية العربية والدولية والمؤسسات الأثارية للاشتراك في هذا المؤتمر ،وسوف يكون هذا المؤتمر بداية جادة لمؤتمرات عربية \_ دولية لانقاذ آثار مدن أخرى عربية واسلامية ،

أما المؤتمر التاسع فهو مؤتمر عن المناهج التاريخية ف التعليم العام العربي وهذه الندوة تخص المناهج التاريخية ف التاريخية ف الوطن العربي والسبل لتقريب الصلة بين تلك المناهج بما ينسجم مع الاهداف العامة المقترحة وفق الرؤية القومية للتاريخ العربي ويتم فيها ايضا تبادل الآراء بخصوص مشاكل دراسة التاريخية المعربي ومستقبله وتوحيد المصطلحات التاريخية المدونة في المناهج التي تدرس للطلاب بمختلف المراحل الدراسية البتداء بالدراسة الابتدائية مرورا بالمترسطة والاعدادية وانتهاء بالكليات

وسيعقد المؤتمر بالاشتراك مع معهد التدريب والتطوير التربوى بوزارة التربية العراقية ومنظمة اليونيسكو

أما المؤتمر العاشر فهو عن صورة العرب والاسلام في المناهج التاريخية البريطانية ·

حيث تكشف هذه الدورة عن حقيقة الدس والتشويه للبادىء وقيم الاسلام والرد عليها ودحضها وهى مهمة دينية وقضية تاريخية علمية ورسالة انسانية ومسئولية خطيرة لأن الاسلام شوهت كثير من مفاهيمه وتعاليمه وقيمه السمحاء خلال محاولات التزوير والتحريف والطعن في تلك المفاهيم والقيم والتي تبنتها جهات معروفة بعدائها للتاريخ العربي الاسلامي وسوف توضح في هذه الندوة أو المؤتمر حقيقة الدس والتشويه لاعداء العرب والاسلام وتصويب صورة العرب والاسلام في الكتب الدراسية المقررة لتلاميذ المدارس في الدولة البريطانية وبخاصة ما يتعلق بالجوانب الروحية والانسانية في حياة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وتوكيد الخصال القيادية للرسول وقدرته العسكرية والقتالية وما يتحلي به من صفات عالية واخلاق رفيعة وسفات عالية واخلاق رفيعة

أما المؤتمر الحادي عشر فسيكون عن المناهج التاريخية في الجامعات العربية (الواقع والطموح) .

الهدف من المؤتمر تطوير المناهج التاريخية في اقسام التاريخ في الجامعات العربية ورفدها بكل بكل ما يستجد في مجالات التخصيص والافادة من الخبرات العربية والعالمية لتحقيق هذا الهدف ٠

وسيتم عقده بالاشتراك مع الامانة العامة لاتحاد ا الجامعات العربية ٠

أما المؤتمر الثاني عشر فهو عن صورة العرب والاسلام في المناهج التاريخية الفرنسية لاعادة النظر في الكتب المدرسية التي ضمت صورة مشوهة عن تاريخ العرب والاسلام لتصويب ما ورد فيها من جانب وتعزيز التفاهم بين الشعوب العربية والاسلامية من جانب آخر والشعوب الغربية ايضاً، اعادة النظر في عدد الصفحات والشي خصصت للتاريخ العربي الاسلامي .

تسود معظم الكتب اخطاء متعمدة او غير متعمدة ويكثر تزوير الاحداث والوقائع فيها ، ثم ان عرض الوقائع والاحداث في الكتب الأوربية جاءت بشكل مغرض يبدو كأنه يسعى الى هدف مسبق ، متميز ومجدد الغرض من الندوة تبادل الآراء ووجهات النظر وتصحيح ما جاء فيها ملفقا ومزوراً وبعيدا عن الصحة .

وسيعقد بالتعاون مع احدى الجامعات الفرنسية إ

أما المؤتمر الثالث عشر فهو مؤتمر الاسلام واليهودية والمسيحية عبر التاريخ سيكرس اتحاد المؤرخين العرب طاقاته من أجل تبنى محور الاسلام وسوف يُتَصِدِّينَ للاتجاهات المعادية للاسلام للرد عليها وتفنيد ادعائاتها ، حيث أن المؤتمر يعقد من قبل الجمعية الدولية للعلوم التاريخية وسيشارك اتحاد المؤرخين العرب بالمحور الخاص بالاسلام وقد دعا كافة الجمعيات التاريخية ف الوطن العربي لتبنى هذا المحور والمساهمة فيه واعداد البحوث اللازمة حوله ،

اما المؤتمر الرابع عشر فهو مؤتمر عن صورة العرب والاسلام في المناهج التاريخية الالمانية ·

يعقد المؤتمر بسبب قلة المعلومات الواردة في الكتب التي تدرس في المانيا عن العقيدة الاسلامية والمسلمين وعن دور العرب الفعال في اغناء الحضارة الانسانية وتجاهل الجوانب الايجابية في الحضارة العربية الاسلامية -

وبيان السرعة التي تمت بها الفتوحات الاسلامية دون تحليل اسبابها وتوكيد العداء بين الاسلام والمسيحية وخطر المسلمين على اوربا ، ومن ثم الخلط بين العرب والمسلمين من اتراك وفرس وهنود وغيرهم والتشويه للحقائق التاريخية ومنها على سبيل المثال بان دور العرب والمسلمين في الحضارة الانسانية اقتصر على نقل علوم الأمم الأخرى «اليونان والرومان والفرس» وانه افتقر الى الخلق والابداع والعكس هو الصحيح لأن العرب هم بناة الحضارة •

ان الغرض من اقامة مثل هذا المؤتمر اعادة النظر في هذه الكتب بحيث تصوب صورة الاسلام والمسلمين فيها ·

وسيعقد المؤتمر بالتعاون مع مركز دراسات الشرق الالماني في همبورج ·

اننا في الوقت الذي نصدر فيه هذا العدد من مجلة المؤرخ العربي والذي قامت بطباعته وزارة الاعلام البحرينية مشكورة ، يسرنا ان نتوجه بالدعوة لكافة الاشقاء من المؤرخين العرب للمساهمة في تحرير بحوث المجلة كل حسب اختصاصه ، ليساهم كل من موقعه في اعادة كتابة تاريخ الأمة ، بأيدى ابنائها • • والله ولى التوفيق •

الاستاذ الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار رئيس التحرير



بحوث التاريخ الحديث والمعاصر



#### السلطان سعيد والعلاقات العربية الأفريقية

الدكتور محمد حسن العيدروس كلية الآداب جامعة الامارات العربية المتحدة

#### التجربة التاريخية العربية - الأفريقية المشتركة:

قد تعتبر دراسة التاريخ مهمة لمحاولة فهم العلاقات العربية الأفريقية بطريقة أفضل ، وخاصة التاريخ العربى ـ الأفريقي منذ أقدم العصور وحتى التاريخ المعاصر لترابطه في مختلف المراحل الزمنية والنواحي الانسانية والفكرية ، بحيث أصبح هذا التاريخ كعدّة حلقات مترابطة يصعب فهمها أذا سقطت أحداها ·

ونظرا لهذه الوحدة والترابط المشترك في التاريخ العربي ـ الأفريقي فانه كان قد أصبح عبئا على صانعى السياسة المحدثين بسبب ما القاه في طرقاته الباحثون الغربيون من مقولات قد شككت احيانا في مكانة المسلمات مما كادت تخلق عثرة في العلاقات لعربية \_ الأفريقية لولا تفهم الجانبين العربي والأفريقي لهذه المحاولات الغربية لاعاقة العلاقات العربية \_ الأفريقية · ثم بدأت الفترة المعاصرة مع بداية الستينات القاء الجسور واعادة هذه العلاقات المشتركة ولابد من أن يبذل جهد فكري جديد يجعل من فهم التاريخ امكانية جديدة للإلتقاء جديد يجعل من فهم التاريخ امكانية جديدة التاريخية الحديثة لدى العربي \_ الأفريقيين موضع تأمل جديد يمكن الحديثة لدى العرب والأفريقيين موضع تأمل جديد يمكن الحديثة لدى العرب والأفريقيين موضع تأمل جديد يمكن العرب القادمة ·

ومن هذا المنطلق فأننا سوف نقوم ببعض الدراسات عن هذه التجربة التاريخية المشتركة في عهد السلطان سعيد بن أحمد ومحاولته ربط عمان العربية بالساحل الشرقي لافريقيا ويقول د مسلاح العقاد ان السيد سعيد قام بتجربة فريدة من نوعها وهي انشاء دولة عربية افريقية في شرق افريقيا ، وكانت هذه التجربة خير دليل على تلاحم الشعب العربي الافريقي وما تمخض عنه من اكتساب الروابط الحضارية والتاريخية والثقافية والروحية بكل وضوح ، والتي كان الدين الاسلامي والروحية بكل وضوح ، والتي كان الدين الاسلامي المشعل الوحيد الذي مهد لها الطريق القويم وعلى مدى العصور نموذجا للامتزاج المتبادل اضافة الى الخبرة والمعرفة التي تميز بها البحارة من جنوب الجزيرة العربية خاصة عمان وحضرموت في توقيت الرياح الموسمية واتجاهاتها من بحر العرب الى خليج عدن

وبالعكس كان لها أثرها في الرحلات التي قاموا بها الى شرق افريقيا ولعبت دروا مهما في وصولهم اليها ومعرفتهم لها قبل وصول البرتغاليين اليها بعد عدة قرون ً٠٠

كما كان للملاح العربي الشهير ابن ماجد من رأس الخيمة بالامارات العربية دور كبير في ارشاد الملاح البرتفالي «فاسكو دي جاما» الى الطريق البحري من «مالندي» في شرق افريقيا الى الهند • كما قام عرب عمان وحضر موت بتنظيم الرحلات الى شرق افريقيا بشكل دقيق واستقرارهم فيها أوجد لها الأثر البالغ في عمق ارتباطهم بشعب شرق افريقيا ومعرفتهم بأحواله مما اعطاه بعدا جديداً في العلاقات العربية ـ الأفريقية في كل من عمان وحضر موت وشرق افريقيا لانزال نلاحظه الى يومنا هذا • كما تدل الاختلاطات العرقية الواضحة بين شعوب عمان وحضر موت وشرق افريقيا على تلك الصلات العميقة من خلال الاشارة الى السواد اللوني العربي ـ الافريقي أو المنتشر في سواحل عمان وحضر موت وسواحل شرق افريقيا ويوجد كثير من الإختلاط العنصري بينهم •

ويمكننا ان نلتمس تلك الآثار التي ذكرناها في الفترات التاريخية التي تتابعت ، وذلك من خلال معرفتنا بقوة العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية التي قامت بين الشعب العربي وشعوب القارة الأفريقية وتتضم هذ العلاقات أكثر في قيام الدولة البوسعيدية العربية في عمان ، ثم امتدادها الى أرض القارة الأفريقية وتأسيسها السلطنة الاسلامية في شرق افريقيا التي خضعت لحكمهم زمنا طويلا خلال القرنين الثامن والتاسع عشر.

# خلفية تاريخية عن التواجد العربي في شرق افريقيا:

لقد لعب العمانيون دورا كبيرا في العلاقات العربية -الأفريقية وخاصة في شرق افريقيا منذ القدم • أما بداية هذه العلاقات في التاريخ الحديث فيمكن ارجاعها الى قيام دولة اليعارية والدور الذي لعبته في طرد النفوذ البرتغالي عن عمان ، مما حدا بأبناء شرق افريقيا ان يرسلوا وفدا منهم الى عمان يستنجدون بالامام سيف بن سلطان وهو ثانى ائمة الأسرة اليعربية ويطلب اليه أن يقوم ف جزر «ممناسة» و «زنجبار» و «باميا» بنفس الدور الذي قام به ف عمان ، ولم يكن اختيار الامام سيف بن سلطان للقيام بدور المنقد لكونه المدافع عن الحقوق الوطنية والشرقية ضد الاستعمار الأوربي فحسب ، بل وايضا لوجود اعداد كبيرة من العرب التجار والمقيمين والذين مهما اختلفت انسابهم فهم ينظرون الى امام عمان القوة المؤهلة لتحريرهم من النير الغاصب الغربي ، ويرغم مر العصور على زوال الممالك التي كانت تكوِّن الجزء الغربي من بلاد العرب والذي ينتمى اليه أصلا معظم العرب المهاجرين الى الساحل الشرقي من افريقيا ، فان احفاد هؤلاء المهاجرين مدفوعون بشعورهم ، وبادراكهم الأصلهم العربى - الأفريقي المشترك استنجدوا لعرب عمان وان كانوا من قبائل مختلفة وربما من مذاهب دينية مختلفة ايضا وهذا يدل على عمق الروابط العربية الافريقية والعلاقة التي كانت تربط شرق افريقيا بعطان والا لماذا اتجه ابناء شرق افريقيا الى عمان العربية بالذات دون غيرها من الدول الاسلامية القوية كالدولة العثمانية والدولة الصفوية في ايران .

إن الاستجابة لهذا النداء أمر تمليه العاطفة كما تمليه المصلحة ، فما من أسرة حاكمة في عمان تجهل أن التجارة لاتقوم إلا حيث يكون للدولة نفوذ ما ، ورغم أن الاحوال لم تكن مستقرة تمام الاستقرار في عمان فأن الامام سيف بن سلطان لم يتأخر في طلب ابناء شرق افريقيا وقام بارسال أسطول من السفن الحربية من مسقط لاخراج البرتغاليين من «ميامة» وبذلك دخل المجاهدون العمانيون فشنوا عليهم حملات موفقة منذ عام ١٦٥٢ والتي كانت قد بلغت ذروتها في عهد الامام سيف بن سلطان ما استطاعت هذه القوة الناشئة الجديدة أن تهزم البرتغاليين وتم القضاء عليهم نسبيا في معظم المناطق الشمالية منها ، واستطاع الاستعمار البرتغالي العماني

وتمكن العمانيون من الدخول الى موزمبيق و وبذلك ظل العمانيون يحملون على المقاومة فى عهد سيف بن سلطان وهزموا البرتغاليين سادة الأمس هزيمة ساحقة عندما اخرجوهم من ممياسة عام ١٦٦٠٠

ان اخراج البرتغاليين لم يكن بالأمر السهل إذ انهم وان خرجوا من شرق افريقيا فمالبتوا ان عادوا وظلوا فيها فترة من الزمن حتى عام ١٦٩٦ تقريباً ، مما جعل امام عمان يرسل حملة بحرية ثانية ، وكان وصولها ايذانا بثورة عامة في شرق افريقيا على طول ساحله ابيد فيها البرتغاليون بأعداد كبيرة ، الأمر الذي أدى إلى تهيئة الفرصة لحكام عمان لتأسيس امبراطورية عربية \_ افريقية ، وبالرغم من ادراك الامام سلطان بن سيف هذه الاحتمالات وانه لم يكن زاهدا عن الاستفادة منها لكن ضعف مركزه في عمان وانشغاله بأمور مهمة أخرى أخرً تحقيق هذا الحلم فترة من الزمان ٠ لكن القوة العمانية كانت قد استطاعت ان تقضى على البرتغاليين قضاء شاملا عندما انسحبت من شرق افريقيا بعد الانتهاء من مهمتها في تحريرها من الاستعمار الاوربي ، وقد ظلت «ممباسة» خالية من أي تدخل أوربي حتى عام ١٨٢٨ ، عندما عاد البرتغاليون لاحتلال هذه المنطقة مرة أخرى لقيادة الادميرال «لويس دى سابيو» مما اضطر الاهالي ف شرق افريقيا الى طلب العون والنجدة من امام عمان الذي اسرع بارسال قوة بحرية مكونة من اسطول صغير وماران وصلت القوة العمانية الى ساحل شرق افريقيا حتى وجدت أن ثورة الاهالى كانت قد قضت على البرتغاليين وبعدها اصبح محمد بن سعيد المعموري قائد الحملة الذى أرسله الامام لطرد البرتغاليين نائبا وواليا على شرق افريقيا (١١) -

كان هذا التحرر من الاستعمار الأوربى البرتغالي الذي جثم على صدر المسلمين نحو قرنين نذيرا بانطلاقة للنفوذ الاسلامى ، استعادت الحركة الاسلامية نشاطها وكذلك عاد الاتصال فيما بين العرب والافريقيين ، وازداد التعاون التجاري بينهما عن طريق التجار والدعاة ، بدأ الاسلام يتوغل الى الداخل حتى وصل الى «موزمبيق» و «سغالة» و «نياسالاند» وبعد اختفاء الخطر البرتغالي تعمق العرب فى توغلهم الداخلي فنفذوا الى «هضبة البحيرات» ودخلوا «اوغند» ، وفى خلال القرن الثامن عشر انشئت المساجد فى القرى الواقعة على طول الطرق التجارية الموسئة الى «بحيرات نياسا» و «تنجانيقا» حتى حدود «الكونغو» ويذكر هتشنز انه لاتكاد تخلو قرية فى قلب هذه المنقطة من مسجد للمسلمين م

# السلطان سعيد ودوره في اقامة الدولة العربية ـ الأفريقية :

عندما تعرضت عمان للاضطرابات الداخلية في نهاية الأسرة اليعربية نتج عنها قيام دويلات محلية عربية في شرق افريقيا ، ومن اهمها اسرة المزاريع العمانية التي استقلت بحكم «ممباسة» لفترة من الزمن حتى مجىء أسرة البوسعيد الى الحكم ، ورغم محاولة احمد بن سعيد السيطرة على «ممباسة» إلا انه لم ينجح وظلت أسرة المزاريع تحكمها حكما مستقلا ، لكن الجزر المجاورة مثل «کلوا» و «مارکا» و «زنجبار» ظلت تحت سیادة عمان يحكمها عبدالله بن جعد من ولاة عمان ٠ ظل الامر كذلك حتى ظهور سعيد بن سلطان الذي كان مشغولا بمواجهة الوهابيين طيلة الثلاثين عاما التالية ، ورغم حروبه المستمرة ضد الوهابيين الا انه لم يتوقف عن التفكير بشئون افريقيا ، وحتى وهو في غمرة حروبه المستمرة وغير الناجحة فقد ارسل واليا عنه يدعى خلفان بن ناصر عام ۱۸۱۲ الى «ممباسة» وأمره أن يبنى قلعة في «لامو» ولكن ممثل المزاريع عبدالله بن احمد رفض الاعتراف بأية حقوق لعمان بالتبعية أو الاتاوة" •

نظرا لانشغال سعيد لم يستطع ارسال قواته الى شرق افريقيا في تلك الفترة الأنه كان قد ورث تركة مثقلة بالاعباء والاعداء كانوا يحيطون به من كل جانب والقبائل المتمردة في جميع أرجاء عمان وقد كان الوهابيون يريدون احتلال عمان وكان القواسم يهددون التجارة العمانية في مدخل الخليج العربى كما أن النزاع بين الفرنسيين والبريطانيين قد يجر عمان في اية لحظة ، كل ذلك أخرّ توجه السلطان سعيد الى شرق افريقيا ، وبمجرد ان بدأت الأمور تتحسن وانتهى خطر الوهابيين بعد اجتياح جيش محمد على الجزيرة العربية ، بدأ سعيد ينظر الى شرق افريقيا وشعر أنه أصبح من القوة بحيث يستطيع ان يبسط نفوذه على هذه الارجاء واثناء ذهابه لتأدية فريضة الحج ف مكة المكرمة كان قد أعد حملة بحرية الى ممباسة ، وكان واثقا من ان القوة الأوربية لن تعترض سبيله نظرا لضعف مركز الفرنسيين الذين كانت تربطه بهم علاقة مودة كما أنه قد أقام مع البريطانيين علاقات قوية وخاصة بعد زوال الخطر الوهابي ، ويبدو ان سعيد كان واهما فيما تخيله من سكوت البريطانيين عن مشروعاته ، فقد كان البريطانيون في هذه الفترة يرنون بابصارهم الى افريقيا الشرقية نظرا الى أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية ، وعلى كل فان الفرصة كانت قد لاحت للسلطان سعيد عندما استنجد به بعض السكان من شرق افريقيا لينقذهم من أسرة المزروعي

الذين كانوا قد بسطوا نفوذهم على تلك المناطق و لقد استطاعت قوات السلطان سعيد ان تستولى على مدن «لامو» و «بيت» و «برادة» وانتهى الأمر بعقد صلح مع «ممباسة» و «بيت» عام ۱۸۲۸ و كان السلطان سعيد كلما قضى على المزاريع في «ممباسة» وتصالح معهم نقضوا العهد ، لكنه في عام ۱۸۳۰ وضع حامية مكونة من حرسه الخاص للمحافظة على الأمن في «ممباسة» بعد ان اعتقل وعندما قضى على الثورة غادر «ممباسة» بعد ان اعتقل جملة من قادة المزاريع وأخذهم الى مسقط ثم نفاهم الى قلعة مهجورة في جزيرة هرمز" و وبذلك اصبح السلطان سعيد حاكماً على عمان وشرق افريقيا و

يمكننا القول بان السلطان سعيد استطاع ان يربط عمان الواقعة في الركن الجنوبي الشرقي من الجزيرة العربية بشرق افريقيا ويوحدهما تحت حكمه ، مما كان له أبعد الأثر في تقوية الروابط وتوثيق العلاقات العربية والافريقية بين شرق الجزيرة العربية وشرق افريقيا ، وانعكس ذلك على نواحى كثيرة منها الاقتصادية والدى ذلك الى انتعاش وازدهار هذه العلاقات وبذلك يكون سعيد بن سلطان قد نجح في تأسيس المراطورية عربية - أفريقية كانت الأولى من نوعها في التأريخ الحديث لأسيا وافريقيا بل ولتاريخ العرب الحديث العرب

# السلطان سعيد ونقل العاصمة العربية مسقط الى زنجبار في شرق افريقيا:

برغم الاخطار والمشاكل التى كان يعاني منها السلطان سعيد الا انه انصرف بجهوده وراء رغبته فى توسيع ممتلكاته فى شرق افريقيا والعمل على تحسينها ، واصبح ينظر الى عمان على أنها وان كانت هى المصدر الأول لقوته البحرية والعسكرية ، ألا انها شيء ثقيل على نفسه ويجب ان يعهد بها إلى وكلائه ما استطاع الى ذلك سبيلا مما يعنى مدى اهتمامه الشخصي بشؤون شرق افريقيا ''

لقد اشتد في عهد السلطان سعيد التحول من الناحية الدينية الى الناحية السياسية وأخذ سعيد ينتهج سياسة افريقية واضحة المعالم ويذهب بعض الباحثين الى ان اتجاه سعيد الى شرق افريقيا كان محاولة منه للهروب من المشكلات الكثيرة التي كانت تواجهه في عمان ، ولكننا لانتفق مع هذا الرأى ، لأن اتخاذ سعيد سياسة افريقية لم تكن تبعده عن المشاكل العمانية التي كان يفرغ لها جزءاً كبيراً من وقته وجهده ، وإنما كان اتجاهه الى شرق افريقيا يدل على بعد نظره وحرصه على هذا الجزء الهام

من دولته لكثرة موارده وزيادة فرص استغلالها ، فضلا عن ان الظروف المستجدة التي آلت اليها الدولة في عهده لم تضطره كما حدث لاسلافه من ائمة عمان الى البقاء في دولة ذات طابع ديني تقليدي وقد ظهر ذلك واضحا عندما اقدم السلطان سعيد على نقل عاصمة حكمه من مسقط في القسم العربي الى زنجبار في القارة الأفريقية في عام المراطورية في شرق افريقيا المراطورية في شرق افريقيا المراطورية في شرق افريقيا المراطورية في شرق

ان نقل سعيد لعاصمة اقامته الى جزيرة زنجبار التى تبعد عن بلاده بنحو ٢٥٥٠٠ ميل والتي لاتصل اليها السفن إلا في وقت هبوب الرياح الموسمية ، لتثير عدة تساؤلات ؟ فلو امعنا النظر في حالة مسقط في ذلك الحين فاننا قد نرى بأن سعيد كان مدفوعا بعوامل عدة منها جو شرق افريقيا الذي يختلف عن جو مسقط المعروف بشدة حرارته معظم ايام السنة ، وشدة هبوب رياحه ، في حين نجد شرق افريقيا يمتاز بجمال الطبيعة وجاذبيتها" ، وأهمية موقعها الجغراني وما تتميز به من موانىء صالحة للتجارة وعمليات التبادل التجارى اضافة الى الدوافع السياسية التي كان من أهمها تفضيله الاقامة ف زنجبار بعد أن عانى الكثير من المتاعب الداخلية في عاصمته السابقة مسقط من جانب المنافسين له في حكم عمان من أعمامه أو ابناء عمومته ، اضافة الى أن الوهابيين والقواسم كانوا كثيرا ما ينقضون عهدهم معه ويستأتغون هجماتهم على المقاطعات العمانية الواقعة على الخليج العربي والمحاذية للامارات العربية ، وليس من شكَّ فران نقل العاصمة الى زنجبار كان له أثر كبير في وضع الأسس السياسية والاقتصادية للسلطنة العربية في افريقيات، بل ويعتبر تطوراً في العلاقات العربية - الأفريقية لما كان له نتائج على شرق افريقيا في عهد السلطان سعيد ٠ برغم سقوط ممباسة في يد السلطان سعيد ، فإنه لم يغير من عزمه الأول على جعل زنجبار مقرأ له وعاصمة لدولته ، فقد كانت ممباسة في تلك الفترة هي المفتاح الرئيس للساحل الأفريقي الشرقي بكامله ، كانت فيها اقدم الموانىء على ذلك الساحل واكبرها ، ولكن السلطان

لقد لقى السلطان سعيد استقبال الفاتحين فى زنجبار والذين كانوا مدفوعين بالصلات القديمة التى تربطهم بعمان ، مقدرين ما بذله حكام عمان من جهود فى سبيل حمايتهم ، لذلك هيأت له الأحوال فى زنجبار حكماً أمنا ،

سعيداً جعل من زنجبار منافساً في مركزها ، وسيقدر له

بعد سنين قليلة ان يسلبها مركزها وأهميتها علما بأن ممباسة هي التي كانت أهم مدن شرق افريقيا قبل عام

١٨٢٣ ، ولم تكن زنجبار وقت ذاك ألا قرية صغيرة

لايمسب لها حساب ۱۰۰۰

كما كان سعيد مدفوعاً بعوامل اقتصادية ترجع الى صلاحية موانى، زنجبار للملاحة ٢٠٠٠

لاشك في ان سعيد كان يحلم في قيام امبراطورية عربية ـ افريقية واسعة الاطراف تشد بعضها الى البعض الآخر شبكة محكمة من الروابط التجارية المتينة ، وكلما كان تفكيره يهديه الى العودة الى مسقط ووجوب البقاء فيها وكلما كانت مكاثد الطامعين وثورات القبائل وتهديد الوهابيين من جهة والقواسم من جهة أخرى ، تجعل غيابه من عمان محفوفا بالمخاطر والصعاب ، كان يعود فيصر على البقاء في عاصمته الجديدة زنجبار ، يمضى فيها اوقاتا اطول ينظم المدينة ويهتم بأمورها الادارية والاقتصادية والعمرانية غير عابىء بكلام الناس بل وسخريتهم أحياناً ، فقد اصبحت زنجبار مطمح انظاره ومهد احلامه وكان مستعبأ للمجازفة بمواجهة كل الاخطار المحدقة به من أجل اقامته في عاصمته بشرق افريقيا نا ...

بدأ سعيد ف بناء منزله الريفي الذائع الصيت ف عام ١٨٣٨ ، بيت «الموتني» نسبة الى نهر الموتنى الصنغير خارج حدود زنجبار ، وما ان تم بناؤه حتى اتخذه دارا ومقاما له ولحاشيته ومركزاً للحكم ، وبيت «الموتنى» كان واسعا كبيرا غير منسق الطراز ومع ان السلطان سعيد ابتنى له قصرا أخر داخل المدينة الا أن بيت «الموتنى» ظل محل سكناه المفضل ومحل سكنى ابنائه وحاشيته وكان عددهم يزيد على الالف نسمة ، ولم يكن السلطان يهتم بالمظهر في الهندسة والبناء والقصور ليرضى الأوربيين بل كان بسيطا ومتواضعاً ، لكنه يدرك اهدافه وله احساس صادق بأنجح السبل التي تحقق اهدافه هذه وكان قاطعاً على بلوغها ، وان كان قد ادرك اهمية موقع زنجبار من أول نظرة القاها عليها عندما جاء من «ممياسة» ، ولم يستطع ان يهجرها بعد ، فمنها امتد سلطانه على طول الساحل وعلى الجزر المتناثرة امامه كما امتد داخل البر الافريقي ومنها أنتشر تجاره ووكلاؤه التجاريون في شبكة من النشاط التجاري الذي غطى كل الساحل الشرقي الأفريقي الأ

## السلطان سعيد والتنمية الاقتصادية في شرق افريقيا:

ان الارتباط الاقتصادي العربي بشرق افريقيا قد بدأ قبل اكثر من ثلاثة عشر قرنا على الاقل ، بعد أن دخل العرب واستقروا في الساحل الشرقي لافريقيا بشكل واضح منذ القرن العاشر تقريبا ، وكانت معظم هذه الهجرات في البداية من ابناء حضرموت وساحل اليمن ، وكان غرضها في الغالب تجاريا بعيداً عن الفتوحات

الاسلامية برغم علاقتها بنشر الاسلام عن طريق التجارة دون التدخل السياسى والعسكري ، مما يعنى بأن الغرض التجاري كان هو الدافع لهذه الصلات ولم تكن ذات اغراض استعمارية ، بدليل اختيار العرب للمدن والموانىء التى تتسم بميزات تجارية محدودة ، كسهولة اتصالها بالاقاليم الداخلية مثل ممباسة وزنجبار"

وقد كان أحمد بن سعيد مؤسس الأسرة البوسعيدية وجد السلطان سعيد كثيراً ما يهتم بالنواحى التجارية ، وقد يرجع ذلك لانتمائه لأسرة من التجار واشتغاله بالتجارة ، مما كان له أثر كبير في اهتمامه بتلك النواحى ، وقد فتحت مقاطعات شرق افريقيا بمواردها وما يكثر فيها من الغلات سبل التجارة على مصراعيها ، وعمل أحمد بن سعيد على تشجيع التجارة واستمرارها بين مسقط وممتلكاته في شرق افريقيا التي اعترفت بسيادته ، وكان يرسل في كل عام بعضا من سفنه لتأتى له بالذهب والعاج وغير ذلك من موارد تلك الجهات ، وحتى المقاطعات التي معها ولذلك لم يلجأ الى فرض سيطرته بالقوة العسكرية معها ولذلك لم يلجأ الى فرض سيطرته بالقوة العسكرية خوفاً من انقطاع تلك الصلات التجارية بينها وبين عمان التي عمان التي المناهدة التي التجارية بينها وبين

من ذلك يتضح بأن التعاون التجاري والاقتصادي العربى ـ الأفريقي قد وجد منذ اقدم العصور واستير الى العصر الحديث ومن خلال ذلك كله برز الدور الذي لعبه عرب حضرموت وعمان في إعمار وانعاش الأوضاع الاقتصادية لسكان شرق افريقيا ويتجسد في اهتمام السلطان سعيد ودوره فيها مما أدى الى انتشار الرخاء الذي عم شرق افريقيا نتيجة لاكتشافهم مناجم الحديد في ماليزى «ممباسة» اضافة لما طرأ من تطور في صناعات الغزل والاقمشة التي اخذت تصدر من مقديشو الى مصر"

لقد قام السلطان سعيد ببرنامج اصلاحي طبقه في شرق افريقيا فيما يتعلق بالعملة والرسوم الجمركية وادخال زراعة القرنفل وانعاش تجارة القوافل وتشجيع الاجانب والعمل على جذب الهنود الى دولته حتى اصبحت مدينة زنجبار اكبر ميناء على سواحل المحيط الهندى الغربية واكبر مستودع للتجارة الافريقية الآسيوية والمورد الرئيسي لتزويد العالم بالقرنفل وأكبر سوق لتجارة العاج واصبحت اهميتها لاترجع الى تصدير القرنفل فحسب وانما الى زيادة توغل تجارها داخل القارة وعودتهم الى الساحل بالمنتجات الاستوائية منه القارة وعودتهم الى الساحل بالمنتجات الاستوائية منه

#### أولا: تشجيع التجارة:

كان السلطان سعيد يهتم بتشجيع التجارة ، ولتحقيق هذا الهدف فانه كان حريصا عند انتقاله الى رُنجبار أن يأخذ معه التجار العرب والهنود ، وخاصة من طائفة «البانيان» من «الهندوس» الذين يسهمون بنشاط وافر ف عمليات التجارة في مسقط وكانوا يقبضون على زمام التجارة الدولية ف الشرق ، وقام بتشجيع هؤلاء الهنود للسفر الى زنجبار ، والذين كانوا يعهدون في السلطان سعيد من تسامح كبير ومعاملة طيبة حيث منح الحرية الدينية لهؤلاء «الهندوس» ليقوموا بشعائرهم ومنحهم ماكانوا يتوقون اليه من مكانة في المجال الاقتصادي ، كما استعان ببعض الاكفاء منهم في الأعمال الادارية والاقتصادية وعلى الرغم من علاقة الهنود بشرق افريقيا منذ القدم ، الا أن أعدادهم تزايدت في عهد السلطان سعيد ، حتى بلغت اربعة الاف نسمة ، وإن اربعة اخماس التجارة الخارجية كانت في ايديهم كما امتد الهنود بمراكزهم التجارية حتى جزيرة «مدغشقر» و «موزمبيق» وجزر القمر وبمضى الزمن كثر عددهم وأخذوا يستولون على الممتلكات من العرب عن طريق الرهن والشراء ''

كان فلى مدينة زنجبار وحدها نحو الف من التجار الهتود والذين كانوا ينعمون بحماية السلطان سعيد ، كما اعفاهم من الرسوم الجمركية وعهد اليهم بشؤنه المالية ، كما وقد على ونجبار كثير من مسلمى الهند الذين نعموا بنفس المعاملة ، ولم تكن تخلو مدينة من مدن شرق افريقيا من افراد الجالية الهندية الذين انتعشت تجارتهم وبدأوا يقتنون ثروات ضخمة وزاد عددهم بدرجة ملحوظة حتى أصبح اكثر من سنة الاف في عام بدرجة ملحوظة حتى أصبح اكثر من سنة الاف في عام الميود الجمركية وتشجيع التجارة ولم يحتكر السلطان سعيد من القيود الجمركية وتشجيع التجارة ولم يحتكر السلطان سعيد اية سلعة من السلع المهارية وتسجيع التجارة ولم يحتكر السلطان

كان قد وفد مع السلطان سعيد مئات من العرب وخاصة عرب عمان وحضرموت ، فازدهرت التجارة وانتعشت بمقدمهم الى درجة لم تكن معهودة من قبل ، وفي الوقت الذي اقتصر النشاط التجاري للهنود في الموانيء والمدن الساحلية في شرق افريقيا ، استطاع التجار العرب ان يغامروا في التوغل الى المناطق الداخلية في القارة الأفريقية والتي لم يكن قد ارتادها احد من قبل في القارة الأقريقية والتي لم يكن قد ارتادها احد من قبل ، واستقر كثيرون منهم في الداخل واسسوا المراكز التجارية الى جهدوا في تقويتها ، حتى تحولت تلك المراكز التجارية الى مدن وبدأت تشع قدراً من السيطرة

والنفوذ للدولة العربية الأفريقية في الداخل حتى لقد اشتهر المثل السواحيلي القائل\"

«اذا دقت الطبول ف زنجبار رقص الناس طربا على البحيرات»

كانت تلك السيطرة الداخلية ترتبط بقوافل التجارة التي شجعت الصلات التجارية بين العرب والأفريقين ، وخاصة بين سكان الساحل في شرق افريقيا وسكان الداخل في وسط القارة الأفريقية ، وذلك بعدما توغل التجار العرب بحثا عن السلع التي تشتهر بها تلك المناطق التي اصبحت تصل الى البحيرات الاستوائية مثل بحيرة «نياسا» و «بحيرة تنجانيقا» وبحيرة «فكتوريا» واعالى النيل والكونغو ، ونشأت طرق جديدة للمواصلات كما قامت على النهج العديد من المدن العربية على خطوط القوافل التجارية وذاع صيتها فيما بعد مثل «طابورة» أو «جيحى» و «كارجواي» •

لم يكن السلطان سعيد يهدف الى استغلالًا هذه المناطق استغلال طبيعيا ، وإنما كان همه منصرف الى القيام بدور الوسيط بين المناطق الاستوائية الداخلية والجماعات الساحلية في شرق افريقياً "

يمكن القول بأن نفوذ التجار امتد الى اغلب إركان شرق افريقيا ووسطها تقريبا وامتد الى اقليم البديات العظمى والمجاري العليا للانهار الكبرى وذاع صيتهم من سواحل المحيط الهندى شرقا حتى البحيرات. الإستوائية غربا بدون ان تظهر لديهم اية اطماع أو محاولة للسنيطرة على مقاليد الحكم بشكل قهري ، وبالمقابل لما قام به التجار العرب من نشاط اقتصادي في القارة الأفريقية فقد اخذت تلك الشعوب الأفريقية بحماية هذه النشاطات العربية التي تمر بأراضيهم مما أدى الى ازدهارها واستفادة العرب من الموارد الغذائية التي تشتهر بها تلك الأجزاء في التنمية الاقتصادية والتجارية ، واتضحت هذه الآثار الأفريقية في التجارة العربية في فترات لاحقة ، وتم نقل هذه البضائع على السفن التجارية العربية الى مختلف الأسواق في أسيا واوربا عن طريق موانيء شرق الهريقيا كما يمكن ان نلمس بوضوح الأثر البارد الذي لعبته الدولة العربية الأفريقية والسلطان سعيد بشكل خاص في شرق القارة الأفريقية بتوطيدها لاواصر العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بين العرب والإفارقة" •

#### ثانياً: الجمارك والعملة:

كانت الأنظمة الاقتصادية التى وضعها السلطان سعيد للدولة العربية ... الأفريقية ، بسيطة ومرنة وكانت

لاتزيد على ٥٪ عن الواردات التي تأتي الى المواني، في شرق افريقيا لتخفيف الأعباء التجارية وتجيشعها واعفاء الصادرات الوطنية من أعباء الضرائب ، كما تميز عهد السلطان سعيد في شرق افريقيابوضع نظام نقدي يحل محل العملات المتعددة الجنسية التي كانت مستخدمة في شرق افريقيا كالريال النمساوي والاسباني والفرنسي ، ولم ينته عهد السلطان سعيد حتى اختفت العملات من السلطنة العربية ـ الأفريقية وحل محلها النظام الجديد الذي استحدثه والذي كان يعتمد على الروبية الهندية "

قد كان دخل جمارك زنجبار اقل من دخل مسقط اذ ما قورن قبل الثلاثينات من القرن السابع عشر، ثم أخذ هذا الرقم يتزايد بشكل سريع بعدها ادخل السلطان سعيد التنظميات والاصلاحات الاقتصادية في شرق افريقيا حتى اصبح دخل جمارك زنجبار حوالي ٢٠٠٠ر ١٥٠٠ ريال نسماوي في العام ، أما قبل تلك الاصلاحات والتنظيمات الاقتصادية ، فان دخلها كان لايتعدى ٢٠٠٠ ريال نمساوي في العام وبذلك يمكن القول بأن مجموع دخل السلطان سعيد من جمارك مسقط وزنجبار وبندر عباس كان لايقل عن ٢٥٠ إلف ريال نمساوي او سبعين الف جنيه استرليني في العام ٢٠٠

#### ثالثا: ادخال زراعة القرنفل:

اهتم السلطان سعيد باستغلال زنجبار نفسها بالقيام بعشروعات زراعية وتشجيع زراعة قصب السكر والقرنفل و وتعتبر زراعة القرنفل من أهم اعماله الادارية في زنجبار وشرق افريقيا ، وذات فائدة عظمى ودائمة لاقتصادها ، والغريب أن جهوده لدعم زراعة القرنفل قوبلت بمعارضة لكنه ثابر حتى نجح في غرضه ، فقد فشلت المحاولة الأولى لادخال القرنفل من جزر «موريسشيوس» الى زنجبار عام الدخال القرنفل من جزر «موريسشيوس» الى زنجبار عام ، ولكن المحاولة الثانية بعد سبعة عشر عاما اثبتت نجاحا ، وبعد مصادرة مزرعة القرنفل الاصلية والوحيدة في ، وبعد مصادرة مزرعة القرنفل الاصلية والوحيدة في التهديد بمصادرات أخرى ، وبذلك وضع الحجر الاساسي للزراعة الاساسية في زنجبار وشرق افريقيا والتي ادت الى رخاء هائل فقد ذكر الميجر «ف ب بيرس» مايلى :—

«ان سلك السلطان سعيد كان حيال زراعة القرنقل فى زنجبار ويما يشهد بأنه رجل ذو سلطة غير عادية وشخصية قوية ، كما يمكن اعتبار اشجار القرنفل نصبا تذكاريا \_ وهى نصب تذكاري جميل ايضا لتخليد ذكرى السلطان سعيد صانع زنجبار .

#### رابعاً: الحماية الاقتصادية:

كان السلطان سعيد قد ادرك لضمان الازدهار الاقتصادى لشرق افريقيا ، عليه ان يعمل على حماية التجارة من المنافسات التي تتعرض إليها ، وبرغم انه كان يؤمن بالحرية الاقتصادية ، الا انه وجد نفسه مضطرا الى تطبيق سياسة احتكارية لضمان المركز الاقتصادى لشرق افريقيا ، لذلك حرم على طول الساحل الشرقي لافريقيا والممتد من مصب نهر «البانجابي» على «كلوة» تصدير المطاط والعاج تحت أى علم خلاف علم السلطنة العربية ـ الأفريقية وان كنا لانجد احتكارات أخرى باستثناء ذلك"

كما نجد السلطان سعيد يبنى اسطولا بحريا ضخما في عام ١٨٣٤ يضم بعض المدمرات والطرادات ليحمى طرق المواصلات بين بلاده وبلاد العرب ويؤمن سبل الملاحة ويحقق مشروعاته التجارية التي تأتي من الموارد الكثيرة التي تغنيه عن فرض الضرائب المباشرة والكثيرة التي تغنيه عن فرض الضرائب المباشرة والتي تغنيه عن فرض الضرائب المباشرة والمتواتب المباشرة والتي تغنيه عن فرض الضرائب المباشرة والتي تغنيه عن فرض الضرائب المباشرة والتي والتي التي المباشرة والتي والتي

#### خامساً: فتح اسواق خارجية:

وقد ترجع شهرة السلطان سعيد في العالم الخارجي الى فتح موانيء شرق افريقيا للدول الأجنبية حتى تحولت زنجبار الى أعظم ميناء في الاطراف الجنوبية الغربية للمحيط الهندى ، كما اصبحت زنجبار المستودع الرئيسي للتجارة الافريقية \_ الآسيوية ، وفي خلال عشرين عاماً من نقل السلطان سعيد عاصمة بلاده من مسقط الى زنجبار اصبحت زنجبار واحدة من ثلاثة أو أربعة مراكز للتجارة في المياه الغربية للمحيط الهندى أ

كان السلطان سعيد يهتم بفتح اسواق جديدة خارجية لمنتجات سلطنته ، بعدما كانت الاسواق التقليدية مقصورة على ساحل المحيط الهندى الممتد من عدن الى بومباى وعلى مصر والخليج والجزيرة العربية ، ولهذا اتجه السلطان سعيد بأنظاره نحو اسواق اوربا وأمريكا لأهمية هذه الاسواق لرواج تجارة شرق افريقيا ، ولهذا رحب بالتجار الأوربيين والامريكيين الذين زاروا زنجبار ، كما عقد معاهدات مع الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٢٢ ، وبريطانيا عام ١٨٢٣ ، وفرنسا عام ١٨٤٤ وسمح بانشاء قنصليات لهذه الدول فى بلاده ، وعندما توفي السلطان سعيد كانت اسواق اوربا تستهلك من ثلث

عرف السلطان سعيد حبه الكبير التجارة وممارستها فالى جانب كونه حاكماً ورجل سياسة كان ايضا تاجراً ماهرا نظم تجارة بلاده مع العالم الخارجي ، وكان يقوم بالاعمال التجارية لحسابه الخاص وابتنى لهذا الغرض اسطولا تجاريا ضخما كان يستخدمه فى نقل البضائع ، ويحمل منتجات زنجبار «ومقديشو» و «ممباسة» وباقى المناطق الأفريقية الى موانيء العالم الخارجي" وبذلك أخذ السلطان سعيد يتجر مباشرة مع الدول الأوربية ويرسل سفنه الى «مرسيليا» و «جنوة» و «لندن» وغيرها ، وقد اثر ذلك على نمو مدينة زنجبار وازدهارها بعد ما وقد اثر ذلك على نمو مدينة زنجبار وازدهارها بعد ما كانت مجرد قرية صغيرة فى القرن الثامن عشر واستطاع ان يجعل دولته فى شرق افريقيا ، ثالث دولة تجارية فى الحيط الهندى "

#### المجتمع العربي \_ الأفريقي في شرق افريقيا:

كان سكان شرق افريقيا في عهد السلطان سعيد يتألفون من طبقتين :

#### الطبقة الأولى السكان الأصليون:

هذه الطبقة هم سكان البلاد الأصليون وينتشرون على طول ساجل زنجبار وفي داخل البلاد ، ولم يتدخل السلطان سليد في شؤونهم بل منحهم حريتهم وولى على كل قبيلة احد زعائمها ، ويعتبر سكان زنجبار خليطاً من أجناس مختلفة أسهم فيها أهالي «شيراز» من الفرس وعرب حضرموت وقبائل «البانتسو» الأفريقية بقدر كبير من موجات الهجرة ، ولما كان «البانتسو» ليسوا زنوجا خالصين بل هم خليط من عناصر حامية وزنجية ، فأنه من السهل القول بأن نسبة مرتفعة من دماء السكان الحاليين حامية عربية ولم يبق الا عدد صغير من «الجيد» و «البانتسو» وهم أهل زنجبار الاصليون وكان للحضرميين وربما لليمنيين دور كبير في تلك الفترة " و

فقد كان لاستقرار عرب الحضارمة في شرق افريقيا اثر كبير في ظهور سمات لشعب جديد اسهم العرب ومن توافد معهم من الفرس من «شيراز» اختلاط الجنس الحامي والسامي الحضرمي «بالبانتو» وثمرة التزاوج الذي تم بين هذه العناصر'' كما لعب الاسلام دوراً كبيراً لأنه لم يعرف الحاجز العرقي الذي لايسمح للرجل الأبيض بأن يندمج ويختلط مع قرينه صاحب البشرة السوداء ، فقد كان لسمو الحضارة الاسلامية في هذا الشأن اثره في انتشار الاسلام وتكوين الشعب السواحلي

بالاختلاط بين العناصر العربية الاسلامية والفارسية بقبائل «البانتو» الأفريقية ·

وقد ظلت شرق افريقيا تتلقى حتى وقت متأخر هجرات عائلات عربية اليها من منطقة جنوب الجزيرة العربية وتكاثر غددها مع مرور الزمن وكان المهاجرون العرب الى شرق افريقيا سرعان مايندمجون مع المجتمع الأفريقى ويتخذونها وطنا ويعتبرهم سكانها مواطنين أن إن افارقة زنجبار ينقسمون الى تجمعين اساسيين الشيرازيون وافارقة القارة الذين هاجروا الى الجزر خلال المائتى عام الماضية ، ويقع موطن «الوحاديمو» في شرق وجنوب جزيرة «الواتوباتو» في جزيرة «تومباتو» و «الوابما» في جزيرة «بمبا» وبمرور الوقت انتقل كثيرون من مواطنهم أن من مواطنهم أن مواطنهم أنه أنه مواطنهم أنه مواطنهم أنه مواطنهم أنه مواطنهم أنه مواطنه أنه مواطنه أنه أنه مواطنه أنه موالي مواليون الموالية موالي مواليه موالي موال

#### الطبقة الثانية المهاجرون العرب والهنود:

يعتبر العرب والتجار الهنود الذين وفدوا الى شرق الفريقيا من الطبقة الثانية ، والمولودون أى الذين ولدوا من آباء عرب وأمهات وطنيات وكان السلطان سعيد بعيداً عن التصعب العرقي ، فقد ادرك ان مصلحة شرق افريقيا تتفق ومصلحة طبقة «البانيان» من «الهندوس» وان البانيان الواحد يجر بعده عشرة من بنى قومه ولذلك شجعهم وقدم لهم كل عون وسمح لهم بممارسة شعائرهم .

#### العادات والتقاليد:

إنَّ مجتمع شرق افريقيا معظهم من المسلمين السنيين وعلى شيء من التهذيب ، وقد تركوا كثيراً من عاداتهم القديمة ، شأنهم شأن العرب قبل الاسلام ، وقد تأثروا كثيراً بالعادات والتقاليد العربية الاسلامية وكذلك بالملابس ، فهم يرتدون الزي العربي التقليدي ، فالرجال يلبسون ثرباً طويلا يسمونه «دشداشة» يشدون فوقه نطاقا ؟ علما بأن نفس هذه الملابس تلبس في منطقة الخليج والجزيرة العربية ، وكذلك نفس التسمية وهي الدشداشة» ويبدو أن هذه الكلمة عربية مأخوذة من سلطنة عمان بحكم علاقة هذه الدولة بشرق افريقيا ، وهناك الكثير من الملابس التي تشبه ملابس الخليج

وهناك الكثير من الملابس التي تشبه ملابس الخليج والجزيرة العربية فمنهم من يلبس القفطان والعباءة وينتعلون النعال في حين تلبس النساء السراويل الطويلة ، وثوباً يتدلى الركبتين يشدون فوقه نطاقا وعلى رؤوسهن نسيج يشبه الكوفية ، يعلوها حزام كعقال الرجال ويضعن النقود الذهبية على رؤوسهن ، ويكثرن من الاسوار والخواتم ويستعملن القلائد والسلاسل الذهبية

التى توضع حول العنق وترخى الى الوسط ويختلف نوع تلك الحلى من ذهبية الى فضية حسب مركزها الاجتماعي ودخلها المادى ، ويصفرن وسط جباههن بالزعفران ويزججن الحواجب ويكحلن العيون ويصبغن ايديهن وارجلهن بالحناء ً '

وهذا نلاحظ الشبه الكثير مع النساء العمانيات اللواتي يلبسن ويتزين مثلهن الى حد كبير مما يدل على تأثير نساء شرق افريقيا بالنساء العمانيات و وتقول سلمة بنت السلطان سعيد" «فالزي الذي تلبسه النساء واحد ويتكون من قميص ينحدر الى ركبتها وسروال عريض طويل مربوطة نهايتيه عند الكاهل وعصابة من الحرير تلف بها شعرها»

وهناك عادة أخرى شبية لدى النساء العمانيات فمثلا النساء من العامة يتجولن نهارا لقضاء لوازم منازلهن والخاصة من المخضرمات كثيرات التحجب ولايبارحن منازلهن نهارا ، وربما خرجن ليلا للنزهة ، وأذا ما لقيهن رجل في الطريق عرج يمنة تأدبا منه أو وقف مختباً رعاية لحرمتهن " وتقول سالمة بنت السلطان سعيد :

«والمسلمات يتجنبن الظهور في الشوارع في وضح النهار ولذلك جرت العادة ان يكون خروجهن في الصباح الباكر أو بعد حلول الظلام ولم تكن في ايامي في زنجبار شوارع مضاءة وكان على كل مسافر في الطريق ان يؤمن من وسائل الاضاءة لنفسه وكنا نستعمل لهذه الغاية الفوانيس الكبيرة التي نتفنن في صنعها م » \*

وهناك في المجتمع السواحلي بعض الافراد يشتغلون بالتجارة والبعض الآخر بالسمسرة في حين يكتفي الآخر بما يحصل عليه من غلة ارضه اما في الأقاليم الداخلية فترزع النساء الذرة والبطاطا وينسجن الحصر وغيرها من المنسوجات الخشنة ، ويقضي اكثر الرجال اوقاتهم في الصيد والقنص معتمدين على النساء في قضاء لوازم بيوتهن وحرث الاراضي "."

ومما سبق يتضح عمق الروابط والعلاقات العربية ـ الأفريقية في العادات والتقاليد لدى مجتمع شرق افريقيا الذي تقبل وتأثر بهذه العادات والتقاليد العربية لاختلاطه بابناء الخليج العربي والجزيرة العربية ، وخاصة عرب عمان وحضرموت ، وبالمقابل فان العرب المنيضا تأثروا من المجتمع السواحلي وأخذوا عنهم الكثير من العادات والتقاليد ٠

#### منع تجارة الرقيق:

لقد لعب السلطان سعيد دوراً كبيراً في منع تجارة الرقيق عندما وقع اتفاقية مع بريطانيا عام ١٨٢٢ ،

يقضي بتحريم تجارة الرقيق من كل نوع ومنحت سلطة التغتيش والاعتقال للسفن البريطانية لأى سفينة تمارس الرقيق وخاصة اذا عرفنا بان المصادر الرئيسية لتجارة الرقيق كانت في شرق افريقيا ، والتى كانت تقع من ضمن ممتلكات السلطان سعيد ، وبمقتضى تلك المعاهدة تعهد السلطان سعيد بتحريم تجارة الرقيق خارج ممتلكات الافريقية ـ الآسيوية ، وهذه المعاهدة نصت على تحريم تجارة الرقيق للدول المسيحية ، وتعيين وكيل للحكومة البريطانية في ممتلكات السلطنة العربية \_ الأفريقية البريطانية في ممتلكات السلطنة العربية \_ الأفريقية التجارة ، وبعد مرور اربعة اشهر فقط تم ضبط احدى الشفن تحمل بعض الرقيق للدول المسيحية ، ويصور لنا السفن تحمل بعض الرقيق بعد نظر السلطان سعيد والروح النبيلة للتضحية بالذات " أو كما قال «السير ريتشارد بيرشون» فيما بعد :\_

لقد كلفته صداقته لنا ثمنا باهظا ، لقد كان هذا التنازل عن ممارسة تجارة الرقيق لم يقض على ربح دخله السنوى وقدره ٨٠ الف جنيه وكان قد فقد رعاياه من الأفريقيين ايضا ربحاً كبيراً كانوا يحصلون عليه من ممارستهم لتلك التجارة ، ولم يحصل السلطان سعيد على أي تعويض من الحكومة البريطانية مقابل منعه ممارسة تجارة الرقيق ، علما بأن بريطانيا سبق لها ان قدمت لاسبانيا تعويضا قدره ٤٠ الف جنيه عام ١٨١٧ عن قيام بعض البريطانيين لتلك الأعمال ٥٠٠٠

#### الثقافة والمؤتمرات العربية \_ الأفريقية:

لقد بدأ انتشار واستقرار الثقافة العربية الاسلامية ف شرق افريقيا مع الهجرات العربية والتي جابهت الثقافات المحلية ، الموروثة للسكان الاصليين فبرزت مشكلة الملاءمة والالتقاء فيما بين هاتين الثقافتين ونتج عنها ثقافة عربية \_ افريقية مشتركة على الساحل الشرقى من افريقيا فقد ذكر الدكتور يوسف فضل حسن بأن ما يعكس عراقة الصلة بين المنطقتين الجزيرة العربية وافريقيا شدة التشابه العرقى واللغوى والثقافي بين الشعوب الناطقة باللغات الحامية القاطنة في السواحل الشمالية والشرقية لأفريقيا والشعوب الناطقة باللغات السامية في السواحل في الجزيرة العربية ، فقبل ظهور الاسلام استقرت بعض المجموعات الأفريقية التي هاجرت الى الجزيرة العربية وانصهرت في بوتقة القبائل العربية عن طريق الولاء والانتماء الكامل ، وبعد ظهور الاسلام حمل العرب رسالتهم الجديدة باتجاء الغرب الى افريقيا متجهين بنفس الطرق التي سلكها اجدادهم من

قبل بهدف التجارة او الهجرة وكانوا فى ذلك حملة لأهم مظهرين من مظاهر الثقافة - الاسلام واللغة العربية " واستمرت هذه الهجرات خاصة من عرب حضرموت وعمان بمن سبقهم الى شرق افريقيا مما كان له أثر واضح لمؤاتمرات الثقافة والحضارة العربية التى لم تتوقف على أرض شرق افريقيا وإنما امتدت الى داخل ووسط القارة وحوض الكونغو وتزايد عدد السكان العرب بشكل مطرد فى خلال عهد الدولة العربية الأفريقية و

#### العلاقة بين اللغة العربية والسواحيلية:

وكان لانتشار الاسلام أثر كبير في نشر اللغة العربية بين الأقوام التي دخلها الاسلام برغم ان انتشاره كان بطيئًا في شرق افريقيا ويعلل «السير توماس ارنولد» على ذلك بقوله بأن العرب لم يعملوا على صبغ البلاد بالصبغة الاسلامية وان الاسلام لم يقم في شرق افريقيا نتيجة لفتح او توسع عسكري وانما الذين قاموا به في الغالب جماعات من التجار العرب كانت تعينهم التجارة اكثر ما يعنيهم نشر الاسلام ومع ذلك يمكن القول بأن عامل الدين لم يكن العامل الوحيد الذي ساهم في انتشار اللغة العربية والدليل على ذلك ، ان الدين الاسلامي دخل والستكر بين شعوب افريقيا ولم تكن تعرف اللغة العربية كل تلك الشعوب ، وانما هناك عوامل أخرى مثل التقارب الكبير في المظاهر اللفظية والنحوية بين بعض اللهجات واللغات المجلية الأفريقية كما نجد حوالي ٢٠٪ من معممالحات اللغة السواحيلية التي تتكلمها دول في شرق افریقیا حالیا مثل «تنزانیا» و «کینیا» و «اوغندا» و «زائير» و «بورندى» ماخوذة من اللغة الغربية ١٠٠٠

ويقول دكتور يوسف فضل حسن عن اللغة السواحيلية وعلاقتها باللغة العربية «ولعل من أهم نتائج التواصل العربى - الأفريقي لبضعة قرون نشأة الثقافة السواحيلية واللغة السواحيلية وقد ظهرت هذه الثقافة ف نحو القرن الثامن الميلادى ، وتمركزت في منطقة شرق افريقيا وبعض جزر المحيط المجاورة واتسعت دائرة اللغة السواحيلية «هجين عربي ـ افريقي» في العهد الاستعماري فشملت اجزاء من وسط افريقيا وفي عام ١٩٦٠ اعتمدت جمهورية تنزانيا المتحدة لغة قومية وتنتشر اللغة السواحيلية على طول الساحل الشرقى من القارة ، وهي خير مثال على تأثر العلاقات العربية \_ الأفريقية في الثقافة وخاصة اللغة ودليل على عمق هذه العلاقات وأثرها في المجتمع الأفريقي الشرقي ، وخاصة ان هذه العلاقات السواحيلية نتاج لاختلاط المهاجرين العرب بدماء «البانتو» ولغاتهم · فقد تزوج العرب من نساء «البانتو» الزنوج وسمى النتاج بالامة السواحيلية

التى تكلمت اللغة السواحيلية كما انتشرت هذه اللغة بين السكان الاصليين مثل «الديجو» و «الباود» و «الجلاء» واصبحت لغة المعاملات التجارية والمالية وتمتاز اللغة السواحيلية بخفتها ورقتها وهى لطيغة تطرب السامع ، وقد جاءت حركاتها الحلقية من اللغة العربية ، بينما الخذت بعض التعبيرات من الفارسية والهندية وتعتبر هذه اللغة حاليا كما ذكرنا اللغة الرسمية القومية على طول ساحل شرق افريقيا ، وكانت تكتب بالابجدية العربية حتى منتصف القرن التاسع عشر ، ولكن الاستعمار الأوربي قام بتغيير حروفها الابجدية العربية الى اللاتينية حتى تبعد عن اصولها العربية ، بينما توجد الكثير من المعاملات التجارية والصكوك الشرعية لدى أهائي شرق افريقيا مكتوبة بالابجدية العربية" وقد كانت هذه اللغة غنية بالادب والشعر لتأثرها بالعربية .

ولايزال يوجد الكثير من التشابه في شرق افريقيا مع الحضارة العربية الاسلامية ، وخاصة في المناصب والمصطلحات الادارية ونظم ملكية الأرض كما وجد قانون عرفي ، وقد عمل المستعمرون البريطانيون في شرق افريقيا فيما بعد على تفتيت تلك الدولة الاسلامية العربية وبدأوا يخضعون كل منطقة من شرق افريقيا لسيطرتهم ، وبدأوا يشجعونهم للنظم والتقاليد المحلية وابقائهم لنفؤذ زعماء القبائل لغرض تمزيق وحدتهم ، ولكن الذي حدث شد ازرهم ودفعهم للتمسك ببقائهم وثقافتهم العربية الافريقية الموروثة المشتركة بكل ما يملكون من امكانيات الغربية وقد اراد الاستعمار تحطيم العلاقات العربية الخوريقية ليربط الافارقة بالثقافة الأوربية ،

وكما اثرت الثقافة العربية على شعوب شرق افريقيا ، نجد أن هنالك تأثيراً أفريقيا على الثقافة العربية وحضارتها ، ونجد الكثير من المصطلحات والكلمات مأخوذة من شرق افريقيا في اللهجات المحلية والثقافة العربية المحلية في كل من ساحل حضرموت وعمان والامارات العربية ، واحياناً الى مختلف دول الخليج العربي ، وكذلك في الفن فنجد كثيراً من الأغاني والالحان والرقصات الشعبية في منطقة الخليج العربى مأخوذة من شرق افريقيا على سبيل المثال رقصة «ليو» و «الحبان» «الطنبورة» ومن ذلك يتضع لنا ما مدى التأثير المتبادل بين الحضارة العربية في الخليج وجنوب الجزيرة العربية وشرق افريقيا ، توضحت لنا أسباب تقبل الشعوب الأفريقية للثقافة العربية ، وأن تلك الاسباب كانت قد مهدت للغة والثقافة العربية الاسلامية لان تسود في ارجاء شامخة من شرق افريقيا ، ومع ذلك فان اللغات واللهجات والتقافات الوطنية للسكان الاصليين بقيت بجانب لغة القرآن ، وهذا خير دليل لروح التسامح

الحضاري العربى ـ الاسلامي في التعايش مع اخوانهم الافارقة ومعاملتهم بالحسنى ، مما جعل الشعوب ـ الافريقية تنظر للدين الاسلامي وحضارته كمنقذ لها من الجهل وفي القرآن الكريم كمنظم لمختلف أوجه حياتها المادية والمعنوية " •

# التنظيمات السياسية والادارية في الدولة العربية ـ الأفريقية الولا : حدود السلطنة :

لقد كانت حدود السلطنة العربية \_ الأفريقية متسعة إذ شملت معظم ساحل افريقيا الشرقية ، وبلغت حدود هذه السلطنة شمالا حتى حدود الحبشة الجنوبية ، وجنوبا حتى موزمبيق البرتغالية ، ولم يجد السلطان سعيد قوة اجنبية تقاسمه السلطان وتنازعه الملك • وقد ازدهرت ونمت المدن الساحلية في افريقيا الشرقية في عهده فأزدحمت واكتظت ونمت ووفدت عليها البضائع الأجنبية وازدهرت فيها التجارة وخاصة مدينتي «مقديشو» و «كلوة» وكان السلطان يهتم بعناية وتطوير مدينة «مقديشو» فلم يبخل عليها بالمال لانشاء المرافق العامة واصلاح الطرق وبناء الأسوار كما ، مد السلطان بَهِصره الى جزيرة «مدغشقر» وعمل على ضمها الى مملكته افتزوج من ملكتها عام ١٨٣٣ ، التي فتحت الطريق لتجارته ودفعت له ثلاثين الف ريال في كل عام واخذ ابناء شِرَق افريقيا يستقرون في هذه الجزيرة • وفي الوقت الذي احد فيه نفوذه يمتد الى الجنوب أخذ نفوذه يضعف تدريجيا وبخاصة في الجزء الشمالي من بلاده وقد يرجع ذلك الى التنافس بين القبائل العربية البدوية في المنطقة الواقعة جنوبي «جوب» ولم يكن لدى هؤلاء القبائل العربية البدوية ابغض من الخضوع لنظام مهما بلغ شأنه أو قوته ، وكانت القبائل الصومالية وقبائل «البانتو» من هذا النوع من البدو الاشداء المحاربين ولم تنجح محاولة السلطان سعيد في كسبهم لسيادته ١٠٠٠ أما حدوده العربية في قارة أسبيا فقد بلغت دولة عمان وظفار وبندر عباس والجزر الواقعة في مضيق هرمز في مدخل الخليج العربي اضافة الى حدوده في منطقة «مكران» «الايرانية بلوشستان» الباكستانية وخاصة منطقة الجوادر و «شهبار» ٠

#### الحكومة:

لقد كانت حكومة السلطان سعيد في غاية البساطة ، فليس ثمة مصالح ولا وزراء ولا جمع من كبار الموظفين ، حتى الضرائب لم يكن يعهد بجبايتها الى موظفى الدولة ،

وكان السلطان سعيد يمضي معظم اوقاته فى اقامة نظام سياسي واقتصادي جديد فى شرق افريقيا ، وكان قد تمكن بالقوة والسياسة من اخضاع كل ساحل شرق افريقيا لحكمه من «دوار شيخ» الى «رأس الجادو» وكان أسلطان سعيد حريصا فى ادارة ممتلكاته الشاسعة فى شرق افريقيا بأن يعين فى كل مقاطعة حاكماً محليا من أهل البلاد ، يدين له بالتبعية والولاء ، وان نراه احيانا قد يفقد الثقة بالحكام المحليين مما يدفعه بالاستعاضة قد يفقد الثقة بالحكام المحليين مما يدفعه بالاستعاضة عنهم باعوانه من مسقط ، كما كان يمدهم بحاميات من جيشه تكون بمثابة نواة ومن ثم يحاول الحكام المحليون تنمية قواتهم بانفسهم بشكل يحفظ للحاكم هيبته ومركزه وللسلطنة نفوذها ''

ولكن سعيد ترك لكل مدينة حرية تصريف شؤنها في توافق مع المدن الأخرى ، ولم يتدخل في شؤنها الداخلية إلا في حالة قيام ثورة او اضطرابات أو حرب بين القبائل، وهكذا كان نظام حكم السلطان سعيد يهدف الى حماية هذه المدن من هجوم اية دولة اجنبية ويحرم في نفس الوقت على الأهالى الدخول في صلات مع هذه الدول حتى لاتشكل خطراً على وحدة الساحل الشرقى الأفريقى و

#### ثالثًا النظام القضائي:

لقد كان القضاء في عهد سعيد على درجة كبيرة من البساطة وظل القرآن الكريم هو أصل التشريعات ومصدر الاحكام • وكان السلطان سعيد يحكم في القضايا المهمة بنفسه ، أما القضايا الأقل أهمية فكان يتركها لابنه الأكبر خالد أو لحاكم مدينة زنجبار ، أما القضايا العادية فقد تركت للقضاة الذين كان يعينهم للحكم فيما يحدث من منازعات تجارية او غيرها بين رعاياه ' ·

وهذا يعنى بأنه لم يكن هناك محاكم بالمعنى المفهوم وقد شهد الاجانب والرحالة الذين زاروا شرق افريقيا للسلطان سعيد بالعدالة والمساواة بين رعاياه ولم يعتمد ف تنفيذ سياسته الا على ثلاثمائة من افراد جنده المسلحين بالرماح والتى كان قد جاء بهم من جزيرة

#### رابعاً: البحرية

كان السلطان سعيد يهتم بأسطوله البحرى فقد شاهد «اللفتنات هارث» من الأسطول الملكى البريطاني بعض قطع البحرية لاسطول السلطان سعيد في ميناء زنجبار في شهر قبراير ١٨٢٤ ، وكانت راسية هناك سفینة حربیة مسلحة بـ ٧٤ مدفعاً تسمی «لیفربول» وفرقاطة مسلحة بـ ٥٠ مدفعاً واخرى بـ ٣٦ مدفعاً وطراد بـ ۲۰ مدفعاً وسفينة طراز «برك» مسلحة بـ ۱۰ مدافع بالاضافة الى سفينة أخرى وفي شهر سبتمبر من نغس العام قام زائر امريكي بعد السفن الراسية في ميناء مسقط فوجد بالاضافة الى السفينة «ليفربول» خمس سفن أخرى بواقع ٣٠ مدفعاً في كل منها الى جانب ست سفن أخرى من مختلف الحمولات كانت إحداها تحمل ٢٢ مدفعاً واثنتين اخريين تحملان ١٨ مدفعاً ف كل منهما ، واثنتين تحملان ١٢ مدفعاً في كل منهما ٠ وقد بلغت السفن الحربية لدى اسطول السلطان سعيد حوالي خمساً وسبعين سفينة ، وقد ذكر أحد ضباط البحرية البريطانية عندما شاهد ذلك الأسطول الكبير بقولها : «أنه لو كان قد خطر للسلطان سعيد ان يسعى من أجل التفوق البحرى في المحيط الهندي لوجد اليريطانيون أمامهم خصماً عنيداً جداً للتعامل معه » • وعندما جاء ادموند روبرت ٢٠ الى واشنطن كتب ما يلي عن السلطان سعيد يقول : «انه يمثلك قوة بحرية أكثر كفاءة من كل القوى البحرية للامراء الوطنيين مجتمعين، من رأس الرجاء الصالح حتى اليابان ٠ وموارده أكثر ما يكفى احتياجاته ، وهي مستمدة من التجارة ، حيث يملك هو نفسه عدداً كبيراً من السفن التجارية ومن الرسوم الجمركية على البضائع الأجنبية ، ومن أموال الجزية والهدايا التي يتلقاها من امراء مختلفين مما كان يدر عليه مبلغا ضخما كل عام ٠

#### خامساً : شخصية السلطان سعيد :

كان السلطان سعيد يعتبر من أقوى حكام المحيط الهندى بلا منازع فقد كان انفذهم كلمة وأشدهم بأسا وأكثرهم احتراماً ، كما اشتهر السلطان سعيد بالبساطة والتواضع وكان يرتدي الرداء العربي البسيط ويضع على رأسه العمامة الملونة ولايتحلى بالذهب والجواهر كعادة الحكام والملوك ، وكان منزله متواضعاً ذا طابقين ولم يتجاوز حرسه أثنى عشر فارسا من أهل «بومباي» في حين

كان السائحون الاجانب يستغربون عندما كانوا يشاهدون السلطان ، وما كانوا يسمعون عن صيته العظيم وما لمسوه من بساطته وكرمه واهتمامه بالوطنيين والاجانب جميعاً \* •

وكانت بنية السلطان قوية ويصف الكاتب «جويليان»

الفرنسي السلطان سعيد بقوله " : « وقامته المديدة وطلعته المهيبة تضفي عليه وقارا يفوق ما كان يتحلى به من الصفات وقد لاحظ الزائرون الاجانب انه كان من ابهى حكام الشرق واوفرهم هيبة ، ويكاد وصفهم له يرقى الى حد الشعر ومحبة اهل زنجبار له تبلغ حد العبادة » يقول د . صلاح العقاد بأن المؤلفات عن السلطان سعيد وأعماله كثرت باللغات الأجنبية خاصة الفرنسية والأنجليزية ، وساهم في ذلك الرحالة المعاصرون له وبعض المؤرخين المحدثين ، وقد انصب اهتمام هؤلاء على منجزات الحاكم العربي في شرق افريقيا ، لأن الأوربيين استفادوا من تمهيد العرب لتلك المنطقة وفتحها للتجارة العالمية ، في حين لم يحظ السلطان سعيد باهتمام كاف من المؤرخين العرب و

لقد كان السلطان سعيد يتصف باللين وحب الخبر واللباقة ، وكان افراد شعبه يعتبرونه والدا أكثر منه حاكماً ، كما تشهد دائما زياراته لخدمه وتهنئتهم عندما يتزوجون ، وكان يهتم بتطبيق المساواة والعدالة وكان صديقاً لكل انسان ويرغب في فعل الخير وان النجاح الذي اصابه يكمن في حب سعيد لشعبه وَحَمَّ للشعب له .

## الدولة العربية ـ الأفريقية والعلاقات الدولية:

لم يقتصر السلطان سعيد في اقامة علاقات بين دولته وبريطانيا وانما في توسعة النشاط الاقتصادي ادى الى الدخول في علاقات دولية مع كل من الولايات المتحدة وفرنسا وهولندا ' كما شجع الاجانب على الاقامة في بلاده ومنحهم الكثير من التسهيلات التجارية ، وتأسست القنصليات الأجنبية لعدة دول في زنجبار ورغم ان شرق افريقيا أفادت من التدخل الأوربي الاقتصادي ، ولكن نتائجها كانت وخيمة لأنها مهدت الى التدخل السياسي والعسكري الأوربي ، وليس أدل على ذلك من ان الدول الأوربية التى مارست النشاط الاقتصادي في شرق افريقيا هي التي مهدت لنفسها السبيل لاستعمار شرق افريقيا واقتسام ممتلكات السبطنة العربية – الأفريقية فيما بينها ففي حركة تقسيم افريقيا نجد تلك الدول التي قامت بالنشاط الاقتصادي هي نفسها التي اقتسمت

المنطقة فيما بينها '' وتعتبر معاهدة ١٨٣٣ مع الولايات المتحدة من أهم المعاهدات التي وقعها السلطان سعيد والتي نصت على ابقاء الصلات الودية بين البلدين والتأكيد على حرية التجارة بالنسبة لرعايا الطرفين '' وهذا ما جعل بريطانيا تعيد صلاتها مع السلطان سعيد خوفاً من انصرافه الى غيرها من الدول ولعل ما دفعها الى عقد معاهدة عام ١٨٣٩ للتهيئة الى حد كبير بالمعاهدة الأمريكية ' كما ابرمت معاهدة مع فرنسا عام ١٨٤٤"

إنَّ تلك العلاقات الدولية مع شرق افريقيا لم تقتصر على الشؤن الاقتصادية فقط، وانما تعدتها الى مجال آخر منها الحركات الاستكشافية والحركات التبشيرية ، وكثيرا من هؤلاء المكتشفين والمبشرين اشادوا بمساعدة السلطان سعيد لهم ، واعتمدوا على نفوذه في التوغل داخل الاقاليم الأفريقية ، وقد تحدث المبشر المسيحي مكرايف، في كتابه عن النشاطات التبشيرية في شرق القارة الأفريقية عن التسهيلات الكثيرة التي قدمها السطان سعيد له لنشر المسيحية ، وأنه كان يزوده بحاميات عسكرية للحراسة وبعث معه رسائل الى زعماء القبائل والرؤساء التابعين له في داخل افريقيا وأن كثيرا من المؤسسات التبشيرية الأنجليزية والفرنسية قد اضطلعت بشؤن تبشيرية في شرق افريقيا وتأسست الكثير من المدارس والمراكز التبشيرية في الساحل او الداخل \* • •

فقد كانت جمعية التبشير الكنسية قد بعثت بالدكتور «كَرِيْفِ» في عام ١٨٤٤ الى زنجبار عن طريق القنصل البريطاني الذي قدمه للسلطان سعيد وشرح المبشر «كريف» للسلطان انه يرغب في الاستيطان في ممباسة من أجل تحويل السكان الى المسيحية ، فسمح له السلطان سعيد بالقيام بذلك وسلمه توصية للحاكم العربي للساحل ، ومن ممباسة بدأ عمله في التبشير بين قبائل «نييكا» معدما كان قد فشل ولم ينجح في المناطق الشرقية من الحبشة ، علما بأن هذه الجمعية من أقدم الجمعيات التبشيرية التي وفدت الى شرق افريقيا الجمعيات التبشيرية التي وفدت الى شرق افريقيا

اضافة الى المبشرين المسيحيين فان المستكشفين الأوربيين ايضا وجدوا كل عون ومساعدة من السلطان سعيد ، والذين قاموا بكشوفهم الجغرافية مسترشدين بما اوجده التجار العرب من المراكز التجارية في داخل شرق افريقيا ، وقد اشار المستكشف البريطاني «بيرتون» إلى أهم هذه المراكز الحضارية ودور السلطنة العربية ــ الافريقية في تقدم حركة الكشوف الجغرافية في شرق افريقيا مسلمانة في شرق افريقيا مسلمانه العربية ــ المناوية المناوية

بعد دراستنا لنشاطات القوى الأوربية من اقتصادية واستكشافية وتبشيرية وما قدمه السلطان سعيد لتلك

الحركات والجمعيات التبشيرية مما سهل عملها فى تنصير الافارقة ، وعرض كافة المساعدات والتسهيلات للبعثات المسيحية ، ومع ذلك فانه تبين لنا مقدار الخطر الكبير الذي كان يتربص ليس فقط بممتلكات السلطنة العربية للأفريقية وانما على العلاقات العربية للأفريقية التى تأثرت الى درجة كبيرة بعد مجيء الاستعمار الأوربي الى شرق افريقيا والذي قام بجهود كبيرة لقطع هذه العلاقات وربط شرق افريقيا اقتصاديا وثقافيا بالدول الاستعمارية الأوربية ،

#### نهاية الدولة العربية \_ الأفريقية

كان السلطان سعيد أول من فكر في اقامة الدولة العربية \_ الأفريقية ولكن أماله واحلامه لم تلق النجاح الذي كان يتوقعه ، بل ان جهوده في تأسيس الدولة كانت مسئولة الى حد كبير من اهماله لممتلكاته في الخليج والجزيرة العربية ، وكانت المحصلة النهائية تفكك ممتلكاته في عمان وشرق افريقيا بعد وفاته عام ١٨٥٦ ، كما كثرت الثورات الاباضية في عمان وزادت الغزوات الوهابية ، وقد كان من الصعب على السلطان سعيد الاحتفاظ بالدولة العربية \_ الأفريقية بشقيها الأفريقي والأسيوي في غمار القرن التاسع عشر الذي شهد تفوق القوة الأوربية العسكرية والصناعية وشهد الرتل الطويل من المستكشفين والتجار الأوربيين الذين انتهوا الى حقيقة أن شرق افريقيا صالح للاستغلال وأنها قارة جديرة بالامتلاك والسيطرة ، وبذلك شاءت الظروف انَ تصطدم برغبة السلطان في تأسيس الدولة العربية \_ الأفريقية مع رغبة الدول الاستعمارية الأوربية في السيطرة على تك القارة واستعمارها واقتسامها فيما بينها^^ •

قد يكون السلطان سعيد ارتكب خطأ عندما ربط مصيره بمصير الوجود البريطاني منذ العقد الأول من القرن التاسع عشر ، وراح يستجيب لمطالب بريطانيا وابرم معها ومع غيرها من الدول الأوربية الاتفاقيات الاقتصادية التى فتحت أبواب افريقية الشرقية على مصارعها للأوربيين ، مما أدى فى النهاية الى الاحتلال الأوربي وكان البريطانيون وغيرهم من الأوربيين قد استغلوا هذه الفرصة فأخذوا يتسللون الى داخل القارة تحت ستار التجارة وحركات الكشوف الجغرافية والحركات التبشيرية كما عملوا بعد وفاة السلطان سعيد على تفكيك اوصال الدولة العربية ـ الأفريقية بفصل شرق افريقيا عن سلطنة عمان حتى يسهل عليهم التدخل ف شؤن كل منهما والاستحواذ عليهما^^ •

يقول وبيرس» في تعليقه على أمال السلطان سعيد بالدولة العربية – الأفريقية أنه ولد متأخراً خمسمائة عام وفي وقت غير ملائم لتحقيق تلك الرغبات والآمال التي كان يحرص عليها السلطان سعيد ومهما يقال عن فشل السلطان سعيد في المحافظة على ممتلكاته في عمان أو فشله في الابقاء على دولته في شرق افريقيا ، إلا أن الأمر الذي لاشك فيه أن تواجده واهتمامه بشرق افريقيا قد الأمر الذي لاشك فيه أن تواجده واهتمامه بشرق افريقيا شهرة السلطان سعيد في العالم الخارجي متعلقة بحكمه لشرق افريقيا أكثر مما ترجع الى حكمه لعمان العربية "شهرة العربية العربية الأفريقية الى درجة بأن اقاليمه تطوير القلاقات العربية – الأفريقية الى درجة بأن اقاليمه العربية تأثرت على حساب الاقاليم الأفريقية التي ازدهرت ، ولكن في النهاية قدمت الكثير وساهمت في تقوية اردهرت ، ولكن في النهاية قدمت الكثير وساهمت في تقوية

#### الهوامش:

- (١) على شعراوي ــ العرب والأفريقيون وجهاً لوجه صف
   ٢٠١ ٠
- (۲) د ۰ صلاح العقاد ـ التيارات السياسية في الخليج العربي ص ۱۱٦ ٠
- (٣) عصام محمد الجبوري ـ العلاقات العربية الأفريقية ص ٢٠٠
- (٤) عصام محمد الجبوري ـ نفس المرجع ص ٢٣ ٠
- (٥) عصام محمد الجبوري ـ نفس المرجع ّص ٢١٠
- (٦) رودولف سعيد روث ـ سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان ص ٦٠٠
  - (٧) رودولف سعيد روث نفس المصدر ص ٩٠٠
- (٨) محمد محمود الصواف ـ إفريقيا المسلمة ص ١٣٥٥ · ٧٣٥
- (٩) محمد محمود الصواف ـ نفس المرجع ص ٧٣٥٠
- (١٠) د ٠ حسن أحمد محمود \_ الاسلام والثقافة العربية في الهريقيا ص ٤٣٤٠
- (۱۱) رودولف سعيد روث ـ المرجع السابق ص ٥١ ٠
- (۱۲) د ٠ حسن أحمد محمود المرجع السابق ص ٤٣٥ ٠
- (۱۳) رودولف سعید روث ـ المرجع السابق ص ۹۴ 🕙
- (۱۶) د ٠ حسن ابراهيم حسن ـ انتشار الاسلام في القارة الأفريقية ص ١٩٤ ـ ٢٠١ :
- (١٥) فالح حنظل ـ الفصل في تاريخ الامارليس الجويبية المتحدة ص ٤٦٤٠
- (١٦) د ٠ جمال زكريا قاسم ـ الخليج العربي ١٥٠٧ ـ ٨٤٠ م ٨٤٠
- (۱۷) ح ح لديمر \_ دليل الخليج ص٢ \_ ص٧٠٣٠٠
- (۱۸) د ٠ جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص٢١١٠ ·
- (۱۹) د ٠ حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٢٠٣
- (۲۰) د ٠ جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص ۲۱۹ ،
- (۲۱) رودولف سعید روث ـ المرجع السابق ص ۱۰۳ ·
- (٢٢) حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٢٠٣٠
- (۲۳) رودلف سعید روث \_ المرجع السابق ص ۱۱۵ .
- (٢٤) رودلف سعيد روث \_ المرجع السابق ص ١١٧٠
- ر (۲۰) عصام محمد الجبوري المرجع السابق ص ۲۱ ·
- (۲۳) د ۰ جمال زکریا قاسم ـ المرجع السابق ص۱۰۹۰
- (٧٦) عصام محمد الجيوري ـ المرجع السابق ص ٦٣٠

- (۲۸) د ٠ جُلال يحيى ـ تاريخ افريقيه الحديث والمعاصر ص ١٠٧٠
- (۲۹) د ٠ جمال زكريا قاسم ــ المرجع السابق ص ٣٢٠
- (٣٠) د ٠ حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٢٠٣ ٠
- (٣١) د ٠ جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص ٣٢٠ - ٣٢٠
- (۳۲) د ۰ حسن ابراهیم حسن ـ المرجع السابق ص ۲۰۶ -
- (٢٣) عصام محمد الجبوري المرجع السابق ص ٦٦٠
- (٣٤) د ٠ جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص ٢٢١ ٠
- (٣٥) جون بي \_ كيلي \_ بريطانيا والخليج ص ٣٨٤ ٠
  - Ministry Of Information P.16 (٢٦)
  - (۲۷) وندل فلیس \_ تاریخ عمان ص ۱۲۱ ۰
- (۳۸) د ۰ حسن ابراهیم حسن ـ المرجع السابق ص ۲۰۳ ۰
- (٣٩) د ٠ جمال زكريا قاسم ــ المرجع السابق ص٢٢١٠
- (٤٠) د ٠ حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص
- (٤١) د ٠ جمال زكريا قاسم .. المرجع السابق ص ٢٢٢ ٠
- (٤٢) في حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ٢٠٤
- (٤٣) عامر محمد الجبرى ـ تاريخ شرق الجزيرة العربية ص ٧٩٢ ·
- (٤٤) د ٠ حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٢٠٤٠ ٠
  - (٤٥) وندل فيلبس ـ المرجع السابق ص ١٤٠٠
- (٤٦) عائشة السيار ـ دولة اليعاربة وشرق افريقيا ص ٩٢
- (٤٧) محمد فابق \_ عبدالناصر والثورة الافريقية ص
- (٤٨) د ٠ عبدالقادر زبانية ـ مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ص ٧٥٢ ٠
  - (٤٩) وندل فيلبس \_ المرجع السابق ص١٢٨٠٠
- (٥٠) رودولف سعيد روث المرجع السابق ص ١٨٧٠
- (٥١) د ٠ حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص
- (۵۲) د ٠ حسن ابراهيم حسن ـ نفس المرجع ص ٢٠٨

- (٥٣) السيدة سالمة بنت سعيد سلطان ـ مذكرات أميرة عربية ص ١٣٥٠٠
- (۵۶) د ۰ حسن ابراهیم حسن ـ المرجع السابق ص ۲۰۹
- (٥٥) السيدة سالمة بنت سعيد سلطان ـ المرجع السابق ص ٢١٦ ٠
- (۵۱) د ۰ حسن ابراهیم حسن ـ المرجع السابق ص ۲۰۹
  - (۵۷) وندل فیلبس \_ المرجع السابق ص ۱٤٠ ٠
    - (٥٨) وندل فيلبس \_ نفس المرجع ص ٣٣٧٠
- (٥٩) هدى سليم عبدالباقي \_ الروابط بين العرب والافارقة السود والأمريكيين السود ص ٢٤٠٠
- (٦٠) د ٠ رأفت غنيمى الشيخ ـ افريقيا في التاريخ المعاصر ص ٣٣٧ ٠
  - (٦١) عائشة السيار ـ المرجع السابق ص ٩٢ ·
- (٦٢) عصام محسن الجبوري ـ المرجع السابق ص
- (٦٣) هدى سليم عبدالباقي ـ المرجع السابق ص ٥٢ ٠
- (٦٤) د · أحمد ابراهيم دياب ـ لمحات من التاريخ الأفريقي الحديث ص ٧٣ ·
- (٦٥) عصام محسن الجبوري ـ المرجع السابق ص
- (٦٦) عصام محسن الجبوري ــ نفس المرجع ص ٥١ 🎙
- (٦٧) د ٠ حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق مِي
- (۱۸) د ۰ حسن ابراهیم حسن ـ نفس المرجع السابق ص ۲۰۷ ۰
- (۱۹) د ۰ جمال زکریا قاسم ـ المرجع السابق ص ۲۲۲ ۰
- (۷۰) د ۰ جلال يحيي ـ المرجع السابق ص ۲۰۵ ۰

- (۷۱) د · جمال زکریا قاسم ـ المرجع السابق ص ۲۲۲ ·
- (۷۲)د حسن ابراهیم حسن ـ المرجع السابق ص ۲۰۵
- (٧٣) جون بي كيلي المرجع السابق ص ٣٩٢ ٠
  - (٧٤) وبدل فيلبس \_ المرجع السابق ص ١٧٢٠
    - (٧٥) وندل فيلبس ـ نفس المرجع ص ١٣٧٠
- (٧٦) د ٠ حسن ابراهيم حسن ـ المرجع السابق ص ٣٠٦
- (۷۷) د ٠ حسن ابراهيم حسن ـ نفس المرجع ص ٣٠٦
- (۷۸) د ۰ صلاح العقاد ـ المرجع السابق ص ۱۰۹ ۰
  - (٧٩) وندل فيلبس \_ المرجع السابق ص ١٤٢٠
    - Ministry Of Op. cit 16 Information (A.)
- (٨١) د ٠ جمال زكريا قاسم \_ المرجع السابق ص ٢٢٣ \_
- (AY) هيرمان ايلتس ـ عمان والولايات المتحدة الأمريكية ص ١٤٠٠
- (۸۳) د ۰ جمال زکریا بشارة ـ المرجع السابق ص
- (٨٤) د ٠ جمال زكريا قاسم ـ نفس المرجع ٣٣٤ ٠
- (٨٩) احمد حمود العمري \_ عمان وشرق افريقيا ص
- (٨٦) د ٠ جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص
- (۸۷) د ۰ جمال زکریا قاسم ـ نفس المرجع ص ۲۳۶ ۰
- (۸۸) د · محمد عبدالله النقيرة ـ انتشار الاسلام في شرق افريقيه ومناهضة الغرب له ص ۳۱۸ ·
- (۸۹) د ۰ جمال زکریا قاسم ـ المرجع السابق ص ۲۲۰ ۰

#### المراجع

- ۱ ـ أحمد ابراهيم دياب ـ (دكتور) لمحات من التاريخ الأفريقي الحديث ـ دار المريخ الرياض ١٩٨١
- ٢ ـ أحمد حمود المعمري ـ عمان وشرق افريقيا ـ وزارة التراث القومى والثقافة مسقط ١٩٧٩ ٠
- ٣ جون بي كيلي بريطانيا والخليج ترجمة محمد
   أمين عبدالله وزارة التراث القومي والثقافة مسقط ١٩٧٩ ٠
- ٤ ـ جمال زكريا قاسم ـ (دكتور) الخليج العربي ١٥٠٧
   ١٩٨٥ دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٨٥٠
- ح ج ، ج لوريمر ـ دليل الخليج ـ القسم التاريخي ـ
   ح٢ مكتب أمير قطر الدوحة ـ السنة غيرة مكتوبة ٠
- ٢ جلال يحيى (دكتور) تاريخ افريقية الجديث والمعاصر المكتب الجامعي الحديث ١٩٨٤ الأسكندرية ١٩٨٤ -
- ٧ ـ حسن أحمد محمود (دكتور) الاسلام والثقافة العربية في المريقيا ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٨٦٠٠٠٠
- ٨ حسن ابراهيم حسن (دكتور) انتشار الأسلام في القارة الأفريقية \_ مكتبة النهضة المصرية \_ القاهرة ١٩٨٤ ٠
- ٩ حلمي شعراوي ـ العرب والأفريقيون وجها لوجه ـ
   دار الثقافة الجديدة القاهرة ـ ١٩٨٤ ٠
- ١٠ ـ رودولف سعيد روث ـ سلطان عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان ـ جامعة البصرة ـ البصرة ١٩٨٣ ٠
- ۱۱ ــ رأفت غنيمي الشيخ (دكتور) افريقيا في التاريخ المعاصر ــ دار الثقافة للطباعة والشنر ــ القاهرة ١٩٨٢ .
- ۱۲ ـ سالمة بنت سعيد بن سلطان ـ مذكرات أميرة عربية ـ ترجمة عبدالمجيد القيس ـ أبوظبي ·

- ١٣ ـ صلاح العقاد (دكتور) التيارات السياسية في الخليج العربي ـ مكتبة الانجلو ـ المصرية ـ القاهرة ١٩٧٤ ٠
- ١٤ عصام محسن الجبوري العلاقات العربية الأفريقية وزارة الثقافة والاعلام بغداد
   ١٩٨١ -
- ١٥ ـ عائشة السيار ـ دولة اليعاربة عمان وشرق افريقيا
   ١٩٧٠ دار القدس بيروت ١٩٧٥ ٠
- ١٦ ـ فالح حنظل ـ المفصل في تاريخ الامارات العربية المتحدة ج٢ لجنة التراث والتاريخ ـ أبوظبي ١٩٨٣ -
- ۱۵ ـ لجنة تاريخ قطر ـ البحوث المقدمة الى المؤتمرات دراسات تاريخ الجزيرة العربية ـ الدوحة ١٩٧٦
- ۱۸ محمد محمود الصواف افریقیا المسلمة الدار السعودیة للنشر - جدة ۱۹۷۶ ٠
- ١٩ ـ محمد فايق ـ عبدالناصر والثورة الأفريقية ـ دار
   ١٩ ـ ١٩٨٤ ٠ الوحدة للطباعة والنشر \_ بيروت \_ ١٩٨٤ ٠
- ولا محمد عبدالله النقيرة (دكتور) انتشار الاسلام في شرق افريقيه ومناهضة الغرب له ـ دار المريخ ـ الرياض ١٩٨٢ ٠
- ۲۱ ـ هدى سليم عبدالباقي ـ الروابط بين العرب والافارقة السود ـ دار المروج بيروت ١٩٨٦ ٠
- ٢٢ ـ هيرمان ايلتس ـ عمان والولايات المتحدة الأمريكية
   ـ وزارة التراث القومي والثقافة ـ مسقط
   ١٩٨٥ ٠
- ٢٣ ـ وندل فيلبس ـ تاريخ عمان وترجمة محمد أمين
   عبد الله ـ وزارة التراث القومي والثقافة ـ مسقط
   ١٩٨١ ٠

«ونحن نكتب التاريخ يفرض علينا أن ننصف الشهداء ، ليس من أجل استشهادهم فحسب ، وإنما من أجل الاحياء الذين نطلب منهم الاستبسال في الدفاع عن القيم التي تستوجب الاستشهاد» ،

Service of the



\*

# الاسواق التجارية الموسمية في قشتالة خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر

الدكتور : فلاح حسن عبدالحسين كلية التربية/جامعة البصرة

لازال التاريخ الاقتصادى لقشتالة فى عصورها الوسطى المتأخرة وبالذات فى الفترة ما قبل حركة الكشف الجغراف بحاجة الى دراسة وتحليل ، لأن أغلب الدراسات الحديثة تناولت ذلك التاريخ خلال القرن السادس عشر وخاصة اثر حركة الكشف الجغرافي عليها واحتلالها مركز الصدارة فى الشئون الاوربية ( وأهملت الى حد كبير تاريخها الاقتصادى خلال فترة حكم الملوك الكاثوليك (١٤٧٦ ـ ١٥١٦) الذى يرى فيه بعض المؤرخين الاسبان أنذاك «العصر الذهبى» لقشتالة وليس القرن السادس عشر وذلك لحدوث تطورات سياسية واقتصادية هام خلاله كان ابرزها ظهور بوادر «الدولة القومية» بعد عصر التوحيد ( الدولة القومية ) .

ان ما نملكه عن عصر الملوك الكاثوليك هو تلك العموميات التقليدية التي تبرز جهود اولئك الملوك ومحاولاتهم الحثيثة من اجل تطوير اقتصاد قشتالة من خلال تشريعاتهم المتعددة في المجالات التجارية والصناعية والنقدية (۱) ولكن لاتوجد حتى الآن دراسات تحليلية حول اثر تلك التشريعات على ذلك الاقتصاد آنذاك وبالرغم من ذلك ، فلا زال الاعتقاد السائد ان الزراعة بقيت بدائية في وسائلها والصناعة غير متطورة على خلاف التجارة التي شهدت نموا «ملحوظا» في قطاعيها الداخلي والخارجي وخاصة بعد نهاية الحرب الاهلية مع البرتغال واسترداد غرناطة من السيطرة العربية وسيادة نوع من الهدوء السياسي والثقة للمدن التجارية هناك ،

وعلى العكس من بعض اقاليم اوربا وايطاليا ، فأن ندرة الوثائق ذو الطبيعة التجارية في قشتالة سواء الخاصة بالعوائل التجارية وبأرشيفات المدن التجارية الهامة جعل اغلب الدراسات في التاريخ الاقتصادي لهذه الفترة تدور أما حول التاريخ المالي والضريبي كما أوردته وثائق الدولة المالية أن ، أو عن ثروات بعض العوائل الاقطاعية من خلال بعض اوراقها الخاصة التي لازالت محفوظة في الارشيف الوطني الاسباني بمدريد أن في حين لازلنا بأمس الحاجة الى دراسة شاملة عن بقية قطاعات الاقتصاد الاخرى في قشتالة في تلك الفترة وخاصة خلال النصف الثاني من ذلك القرن ، اى بعد نهاية الازمات

الاقتصادية والديموغرافية التي سببها الطاعون الاسود الذي عبرب اوربا وقشتالة على السواء ·

مثلا تناهلت بعض الدراسات الاسواق التجارية لقشتالة خلال القرن السادس عشر فقط وفي اقليم مدينة دل الكامبو في شمالها ومركزة على اوجه التجارة الخارجية مع بقية اقاليم شمال اوربا في حين اهملت نمط التجارة الداخلية فيها (١) • فما هي طبيعة تلك التجارة ؟ وهل حقيقة انها كانت تجارة ضعيفة وغير مزدهرة منذ عهد حكم الملوك الكاثوليك ، وإن قشتالة دخلت عصرها الامبراطورى باقتصاد غير متوازن كما يرى بعض المؤرخين المحدثين (١) ان النظرة الاولى لضرائب Almojarifazgoوهي الضريبة على الواردات والصادرات للتجارة الخارجية في اشبيلية تشير الى ان التجارة الخارجية كانت مزدهرة وخاصة منذ منتصف القرن الخامس عشر حيث ارتفعت من ١٨٥٥ر٥٣ ميرقيدي /سنويا اللفترة ١٤٥٦ \_ ١٤٦٠ الى ١٧٦ر٨٣٨رع ميرقيدي/سنويا، للفترة ١٤٦٨ ـ ١٤٧٢ والي غر٩ مليون میرقیدی عام ۱٤۹۹ والی ۱۲٫۲ ملیون میرقیدی سنویا «للفترة ۱۵۰۲ \_ ۱۵۰۳ · اما ضريبة الاستهلاك) في مقاطعة مدينة دل الكاميو مثلا» ، تزايدت ٥٨ر١ مليون ميرقيدي عام ١٤٤٤ الى ٣٧٥ر٤ مليون عام ۱٤٨٢ ، والى ٥ر٧ مليون عام ١٥٠٤ - ١٠٠٠

وبناء «على تلك الارقام يبدو ان قشتالة شهدت نوعا من النمو في تجارتها الداخلية والخارجية وقد ساند هذا الاعتقاد دراسة J.H. Edwards الاخيرة عن اقتصاديات قرطبة ومدينة Jerez خلال فترة حكم الملوك الكاثوليك حيث اسهمت كل من الطبقة النبيلة و«الطبقة الوسطى» في السيطرة على التجارة الداخلية للاصواف والزيتون والحبوب والنبيذ والاسماك وتحالفها مع التجار الجنويين الدين استقروا هناك لتسويقها خارجيا (۱) •

ولذلك فان هدف هذا البحث هو دراسة الاسواق التجارية الموسمية Fairs في قشتالة خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر اعتمادا «على الوثائق التي عثرت عليها في ارشيفاتها المتعددة متوخيا» هدفين هما

١٠ توضيح الدور الذي لعبته تلك الاسواق التجارية الموسمية في اقتصاد قشتالة في تلك الفترة وهل انها تتشابه مع بقية اسواق اوربا أنذاك وخاصة من حيث التنظيم والتهيئة لها ؟

٢ - دراسة موقف الملكية الاسبانية من الطبقة النبيلة والمدن اصحاب الامتيازات في عقد مثل تلك الاسواق التجارية في تلك الفترة التي شهدت برون «الدولة القومية» واضمحلال «القوة السياسية»
 للطبقة الاقطاعية •

تشير وبثائق البرلمان القشتالي في القرن الخامس عشر وان الملكية هناك وبالرغم من تذبذب قوتها وقفت بشوة ضواية جهة تحاول عقد سوق تجارى موسمي الآعن طريق فتحها امتيازاً ومن قبلها يعرف بـ Mercedes المحافظة على الضرائب الحكومية وزيادتها احيانا أو لاستخدام تلك الامتيازات كوسيلة لمكافأة العوائل الاقطاعية أو المدن لخدماتها الواضحة لها ولكن من الناحية العملية أنشأ الكثير من رجال الاقطاع تلك الاسواق في اقطاعاتهم في تلك الفترة بالرغم من شكاوى ذلك البرلمان في ١٤٣٠ ، و١٤٣١ وما بعد (١٠٠٠)

يبدو ان موقف الملكية تجاه الاسواق التجارية للاقطاع Ferias de Senorias تعرض للضعف بعد وفاة الملك جون الثاني عام ١٤٥٢ ومجيء ابنه هنرى الرابع (١٤٥٤ ـ ١٤٧٤) حيث اشتكى المجلس المالي للدولة في مذكرة رفعها الى الملك عام ١٤٦٧ من استمرار تلك الاسواق التجارية التي تعقد دون امتياز ملكي (١٠٠ حتى الغاها عام ١٤٧٣ وخاصة تلك التي أنشئت بعد ١٥ المول ١٤٦٤ (وهي بداية الحرب الاهلية مع البرتغال حول العرش) ماعدا اسواق مدينتي شقوبيه وطليطلة

لانهما من المدن المعروفة بـ acarreo (أي المقاطعات غير المكتفية ذاتيا في مؤنها الغذائية لان في ذلك ضياعا لموارد الدولة وتشتيتا لتجارتها (١٠) • لكن ذلك الالغاء بقي حبرا على ورق بالرغم من تأكيده من قبل الملوك الكاثوليك عام ١٤٨٠ و ١٤٩١ حيث نرى أن مدينة Badajoz مثلا تشتكي الى الملك على بعض المدن المجاورة لها «التي اخذت تعقد اسواقا» تجارية بصورة غير شرعية الامر الذى اثر على تجارتها الى حد كبير (١٠) •

لكن تلك السياسة يجب أن لا تحملنا على الاعتقاد من ان ملوك قشتالة خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر وقفوا موقفا سلبيا تجاه الاقطاع واسواقه التجارية بصورة عامة ، بل وهناك ادلة واضحة تؤكد عقد تلك الاسواق كما هو الحال في اسواق مقاطعة Plasencia تحت اشراف عائلة Alonso de Zuniga دوق بالنتيا ، واسواق مدينة Bejar وعائلة أل Mendoza ، واسواق Medinasidonia وعائلة آل Guzman واسواق مدينة Morales تحت اشراف فرع آخر لعائلة أل Morales واسواق مدينة Medina del Rioseco وعائلة أل Enriquez واسواق مدينة Villalon وعائلة آل دوق EI Conde de Benadente ... الخ ، والتي كانت تعقد بموافقة الملوك الكاثوليك بل ومناصرتهم احيانا لان بعض تلك العوائل كانت من العناصر الادارية والكفؤة في مجالس الدولة العديدة كما هو الحال مع دوق Plasencia الذي كان يشغل منصب رئيس القضاة واحد اعضاء مجلس الدولة والذي كانت مدينة Bejar احدى اقطاعاته الهامة (۱۱) • وكذلك الحال مع الكبونت Juan Porrecharreo ومدينته Medellin احد اعضاء المجلس الملكي ولان سوق تلك المدينة «كان يعقد منذ زمن أبينا الملك جون الثاني (١٤٠٦ \_ ١٤٥٢) وليس في نيتنا القضاء على تلك الأسواق القديمة والمعروفة في مملكتنا» كما ورد في امتياز ذلك السوق (١٠)٠

ويمكن ملاحظة تلك السياسة الموالية للطبقة النبيلة في هذا المجال منذ اواخر عهد الملك جون الثاني في منحهم امتيازا الى عائلة Almirante de Castilla الفونسو الثاني يعقد أسواقا تجارية في مدينتهم المعروفة Medina del حيث ذكر :

« ان افراد الطبقة النبيلة البارزين والذين اعتادوا عمل بعض الاعمال المشرفة والعظيمة ، لملكتنا ومن اجل ان تبقى اعمالهم تلك تقليدا دائما لذلك يجب منحهم الامتيازات والحريات ١٠٠ في عقد اسواقهم التجارية . . . ي ١١١)

وأكد الملوك الكاثوليك ذلك الامتياز في عائلة Almirante عام ١٤٧٧ ليس لكون تلك العائلة كانت ترتبط بصلة القربى مع العائلة المالكة فقط ، ولكنها كانت من العوائل النبيلة التي ساندت ايزابيلا في حربها الاهلية ولذلك جاء تأكيد ذلك الامتياز بعد معركة Toeo عام ١٤٧٦ التي انهت تلك الحرب وما ذلك التأكيد الا جزء من سياسة الملوك الكاثوليك في مكافئة العوائل النبيلة التي ساندتهم في تلك الحرب ولعل ابرز ما يمثل تلك السياسة هو ما قام به اولئك باعادة منح الكونت السياسة هو ما قام به اولئك باعادة منح الكونت في مدينته Benabente هي من الاسواق الهامة في مملكتنا

يبدو ان تلك السياسة لم تكن وليدة الحاجات الجديدة للدولة في قشتالة بعد صمود الملوك الكاثوليك بل ترجع جذورها حتى الى عهد هنرى الرابع (١٤٥٢ ـ ١٤٧٤) الذى منح بعض العوائل النبيلة امتيازات لعقد مثل تلك الاسواق: في تمام ١٤٦٥ مثلا منح دوق Roa امتيازا بعقد سوقين تجاريين كل عام ولادة ثلاثين يوما لكل سوق ، وفي نفس العام منح مدينه ثلاثين يوما لكل سوق ، وفي نفس العام منح مدينه لعقد سوق فيها سنويا ١٠ الخ بل ان تلك الامتيازات تشير صراحة الى ان تلك الاسواق او اغلبها موجود ممنذ زمن الملك جون الثاني» او حتى قبله ١٠ (١٠)

مما تقدم يبدو أن ملوك قشتالة خلال الفترة موضوع البحث لم يكونوا معادين لعقد مثل تلك الاسواق التجارية للاقطاع وانمأ حاولوا الاشراف على عقدها بصورة غير مباشرة ، وهذا جزء من سياسة عامة اتبعها ملوك قشتالة لمراعاة القوة الاقتصادية للاقطاع هناك حيث تشير بعض الدراسات الاخيرة الى ان بعض العوائل الاقطاعية لم تستمر فقط في عقد اسواقها التجارية وانما منحتها الملكية امتيازا بالحصول على بعض ضرائب الدولة كما هو الحال بالنسبة الى دوق Medinasidonia عام ١٥٠٩ (١١) والكونت Benabente الذي حصل على ضرائب El Diezmo del Mar عام ١٤٦٧ والتي تقدر بـ ٤٨٠ الف ميرقيدي سنويا (١٠) ، حتى بلغ مجموع الضرائب والواردات التي حصلت عليها الطبقة النبيلة من خزينة الدولة لعام ١٤٨٠ مثلاً ١١ مليون ميرقيدي ٢١١ وبالرغم من توفر بعض السجلات الحسابية لبعض العوائل النبيلة في تلك الفترة ، فلا زلنا بحاجة الى دراسة شاملة للضرائب والواردات الاقطاعية أنذاك وان دراسة .J.M. Moro للضرائب الاقطاعية لعائلة أل Stuniga في اواخر

القرن الخامس عشر ليست كافية : بلغت مثلاً الواردات من الضرائب لمدينة Bejar فقط واسواقها التجارية عام ١٤٥٤ \_ ١٤٥٠ ميرقيدى بضمنها واردات عن ايجارات المجلات والارصفة خلال انعقاد السوق التجارى هناك ٥٠٠٠ ميرقيدى ٠ (١١)

تشير بعض الوثائق ، وان لم تكن كافية في الوقت الحاضر ، الى ان اولئك الملوك منحوا رجال الدين الكبار ايضا امتيازا لعقد اسواق تجارية في مدنهم اسوة بالاقطاع في ١٤٦٧ مثلاً منح الملك هنرى الرابع الاسقف Gonzalo de Vivero امتيازا لعقد سوق معفية من الضرائب لمدة عشرين يوما في مدينة سلامنكا ، (١٠) ومنح الملوك الكاثوليك الكاردينال اسقف مدينة طليطلة عام ١٤٨٠ امتيازا لعقد اسواق في مدينته Henares

لكن ذلك يجب ان لا يقودنا الى الاعتقاد ان الملوك الكاثوليك ساندوا تلك الطبقات (وهي صاحبة الامتيازات التقليدية) دوما في اسواقها التجارية المعفاة من الضرائب Diego مثلاً وبالرغم من التماس الماركيز Esteban de باعفاء سوق مدينته Gormes في مقاطعة Soria من الضرائب اصر الملوك Gormes ألكاثوليك على انها ليست معفاة من الضرائب وان كل التجارة فيها تدفع ضريبة Alcabala من الضرائب وان كل التجارة فيها تدفع ضريبة Mendoza من المحال على القلعة دى اينارس (٢٠٠ حيث بقيت اسواقا عديدة واسواق القلعة دى اينارس (٢٠٠ حيث بقيت اسواقا عديدة اخرى سواء كانت اقطاعية او تابعة للمدن الحرة تملك الامتياز ولكن غير معفية من الضرائب

اما المدن الحرة في قشتالة فقد استفادت هي الاخرى من تلك السياسة في عقد اسواقها وذلك اما بتأكيد امتيازاتها القديمة او منحها امتيازات جديدة وذلك لكونها اما مدنا رئيسية هامة او انها اسدت بعض الخدمات الجليلة للملوك أنذاك و نقرأ في امتياز مدينة Zamora لعام ١٤٧٦ وهي من المدن الحدودية مع البرتغال مايل :

« بسبب الحرب مع البرتغال ، دخلت بعض العناصر غير الموالية لنا مدينتنا المسالمة ثامودا ضد ادارة سكانها الذين تعرضوا الى الدمار والسلب عدة مرات الامر الذى ادى الى ان يقود جيوشنا الى تلك المدينة التي اقسمنا واياها على الدفاع عنها • وبعد معركة Campo de (عام ١٤٧٠) التى انتصرنا فيها بفضل الله ،

وأصدرنا ارادتنا الملكية بتكريم وتشريف تلك المدينة وذلك بمنحها امتيازا لعقد سوق سنوي لمدة ٢٢ يوماً معفياً من كافة الضرائب ٠٠ (١١) ٠

وجاء في امتياز مدينة مدريد لعام ١٤٨٥ مايل :

« اعلمتنا مدينتنا الموالية لنا ، مدينة مدريد ، ان ابينا الملك جون الثاني منحها امتيازا لعقد سوقين تجاريين كل عام وذلك لزيادة ثرائها واكرامها ٠٠ ونظرا لاسهامها بقسط كبير من ضرائب خزينتنا ، فان ارادتنا هي تأكيد أهمية تلك الأسواق والتي اقر امتيازها من قبلنا اخونا الملك هنرى الرابع ٠٠» (١٠)

لم يكن الملك الكاثوليك اول من منح هذا النوع من الامتيازات فقط حصلت عليها أغلب المدن الاوربية وقشتالة منذ العصور الوسطى المبكرة ، فمثلًا مدينة بلد الوليد ، وهي مكان انعقاد البرلمان القشتالي في اغلب سنين القرن الخامس عشر ، حصلت على امتياز لعقد سوقها منذ عام ١٣٠١ من قبل الملك الفرنسو الحكيم، واقره الملك جون الثاني من بعد عامي ١٤٤٤ و ١٤٤٧ . والملك هنري الرابع عام ١٤٦٥ - ٢١١) كذلك الامر بالتسبية لمدينة قرطبة التي كانت تعقد اسواقها التجارية منذ أن كانت تحت الحكم العربي الاول في الربيع والآخرافي اعياد Quaresma لمدة عشرين يوما لكل منهما ("")، ومدينة Badajoz حصلت على امتيازها منذ عام ١٩٥٨ ٠٠٠ الخ (٣٠) ، حيث كان يشكل امتياز السوق للمديئة ونسب الاعفاء من الضرائب فيه جزءا من خصوصية Particularism كل مدينة في اوربا العصور الوسطى كما اشار پيريفه (١٠٠) ولكن ما حدث في عصر الملوك الكاثوليك هو أعادة تنظيم تلك الاسواق بغية تركيز التجارة في بعض الاقاليم المعروفة اقتصادياً في قشتالة والاشراف عليها اشرافا مباشرا كجزء من سياسة شاملة اتبعها اولئك الملوك في وضع أسس حديثه للدولة هناك -

لقد طبق الملوك الكاثوليك ذلك الاشراف على تلك الاسواق بطريقتين :

### الاولى :

اصدارهم التعليمات التي تمنع تداخل فترات انعقاد تلك الاسواق وذلك بتحريم تمديد او تأجيل تلك الفترات لكي لا تتداخل فيما بينها ومنعا لتشتت التجارة وضياع بعض الضرائب ، وفي ١٤٨٥ امر اولئك الملوك مدينة

Jerez بعدم تمديد فترة انعقاد سوقها الذي يعقد الفترة 1 - ٣٠ ايلول من كل عام حتى لاتتزامن مع اسواق مدينة الصهر التالي ، الذي لمعقد في بداية الشهر التالي ، (٣٠) وفي ضوء ذلك نستطيع فهم الاتفاق الذي تم بين الكونت Benabente ومدينة Cuenca عام ١٤٨٢ حيث تعهدت الاخيرة بعدم عقد اي سوق فيها طيلة انعقاد اسواق مدينة الكونت اعلاه (٣٠) ،

### الثانية :

تحريمهم الاتجار مع الاسواق التجارية البرتغالية وخاصة الحدودية منها دون علم الدولة خوفا من تأثير ذلك على اقتصاد قشتالة وتصدير عملتها حيث تم تشريع ذلك التحريم في تشرين الاول ١٤٩٢ (٣٠) ولكن في الوقت نفسة شجع اولئك الملوك على دخول التجار البرتغاليين الى اسواق قشتالة وتحت حمايتهم (٣٠) •

مما لاشك فيه أن ذلك الاشراف على تلك الاسواق لايهدف الى تشجيعها فقط ، بل الى تنظيمها وتركيز تجارتها بغية الحصول على كمية اكبر من الضرائب لتمويل نفقات الدولة وهذا يتناقض مع ما ذهب اليه بعض المؤرخين المحدثين (١٦) من أن ذلك التشجيع هو مجرد محاولة من جانب الملك الكاثوليكي لتنشيط تجارتها وتحفيز المنتجين في الصناعة والزراعة للاستفادة من فترة اعفاء سلعهم المباعة خلال فترة تلك الاسواق من الضرائب مستندين في ذلك على تسميتها باسم Ferias Francas «الاسواق التجارية الحرة» وهذا لا يؤيده وثائق الدولة المالية في قشتالة حيث تذكر صراحة في ضرائب مقاطعة مدينة دل الكامبو حفلًا خاصا تحت عنوان Rentas de las Ferias ضرائب الاسواق التجارية هناك وكما هو موضع في جدول رقم (١) ، ومدينة Bajarكانت تحدد نسب الضرائب في اسواقها كما هو موضح في جدول رقم (٢) ، وكانت ضريبة الـ Peso في اسواق مدينة Medina del Riosec تؤخذ كما هو في جدول رقم (٣) ٠٠٠ الم

وأغلب الظن ان تسميتها بالاسواق التجارية الحرة Ferias Francas كما اشير في تلك الوثائق هو ان الافراد احرار في الذهاب اليها حتى وان كانوا مدينين او محكومين بسبب ديونهم حيث تقوم السلطات الملكية او الاقطاعية بحمايتهم خلال رحلتهم التجارية من مدينتهم الاصلية الى تلك الاسواق وحتى عودتهم Pax Mercatum لا يتعرضون خلالها الى اية محاكمة ، وبذلك يبدو ان مفهوم «الاسواق الحرة» يتضمن المعنى القانوني وليس

الاقتصادي ومما يؤيد ذلك ، انه فيما لو اعفيت بعض السلع من الضرائب فان ذلك سيشجع المضاربين Regatones الذين يذهبون الى تلك الاسواق لشرائها باسعار ارخص ومن ثم بيعها بأسعار اعلى بعد انتهاء السوق وهذا ما اشتكى منه البرلمان القشتالي عام ١٤٣١ ، و ١٤٦٧ لان ذلك يساهم في شحة المواد الغذائية بصورة خاصة ، (١٠)

ولم تكن تلك الاسواق التجارية متساوية في نسب الضرائب المفروضة فيها وانما كانت تلك المدن في صراع مستمر مع المجلس المالي في قشتالة لتحديد او تخفيض نسب الضرائب ،



جدول رقم (۱) كميات الضرائب المستحصلة لفزينة الدولة من الاسواق التجارية الموسمية لمقاطعة مدينة دل الكامبو للفترة ۱۵۷۷ ـ ۱۵۰۸ ـ وحدة القياس/الميشيدى

1	۲۲ ۱۵۲۷۹۵۲۲	140Y0 7575 . 140.	- 1644	9779 77710	YY. 0.4V!	137316 J.A	10·V 10·V 184V
1	* 1,444,414		0 V L A 1 1 1 1 4 4 4 4 4 4 4 4 4 4 4 4 4 4 4		012VA Y1	7 7 7 7 7 6	1844
4.4144	() 68 ·J·	1	٠٢٦١١.	<.	01174	1	1891
734441	1018.0.	1	072411		37107	41600 6731	0631 1690
T. TIGT 1444ET 1191. T 11410.	: I	1	1.4.	27750	14748.	. 44433	3631
11/10.	1	1	1.4	. 1343	343001	5 191 · 5	1847
12111.	1	AVLAV	1.1.	03743	-12121	7918	1844
18414.	ı	Alry.	1022A	. 73.0	1940	1.410. 1.47AF	1891
124450	4	١٠٠٠	1000	0/		1.A10. 1.97AF	25.4
YVEABY	ı	<b>&gt;</b> ::	V   V   V   V   V   V   V   V   V   V	00)	13177	- 11 5 14 - 11 5 14 13 - 55 - 43 - 55	3731
141731	1	<b>Y</b>	Y) Y) Y	ETAVS	13177	11.614	124.
٠ ا	I	17173	m 4	~ · · · · · · · · · · · · · · · · · · ·	1440	AV0 · ·	1844
			سنوية	يدي س	۸۰۰ میرڤد	• • •	AA31-6A31
والاحذية حيوانات النقل©	الاقمشة الخفيقة الوطنية(١)	الاقمشة الثقيلة	الاحذية الاحذية الجلود والسلع الجلاية	العزيدية	والمجوهرات الكتان والاقمشة البيضاء الادوات والسلع اليدوية	الاستماك الحية والجافة العطارية والحاني	السلقة

A.G.S. sc. M.R. Legs. 21-28, 32-39, 44-49, 57, 61-68, 74-75. A.G.S. x. H. Legs. I, 4,6, 12,

١ \_ هذا المبلغ سبهلته تلك الوثائق لسوق تجارى واحد الهما خلال ذلك العام ١

٢ ـ تشير سجلات الضرائب من ان خلال علك السنين ١٤٨٢ ـ 3 6 3 1

كانت تؤجر باللزمة ولكن لم تذاكرايه اوقام ٣ ـ تلك الارقام تشمل ضرائب الاسواق التجارية وضرائب المدينة حلال السنة

ţ

تلك حيث كانت نسب التخفيض وسيلة للتنافس بين ثلك المدن لجذب التجار اليها والتي كانت ايضا تشكل جزءا من حرياتها الخاصة التي تتميز بها عن المدن الاخرى • فقد التمست مدينة بلد الوليد مثلاً من الملك جون الثاني عام ١٤٥٧ والملك هنرى الرابع عام ١٤٦٥ لتخفيض ضريبة Alcabala (وهي الضريبة الاعتيادية التي تغرض على المشتريات من السلع بنسبة ١٠ بالمائة

من القيمة الاجمالية وتُجبى اعتياديا خلال السنة وليس في اوقات تلك الاسواق) على السلع الغذائية كالنبيذ واللحوم والحبوب والطيور، والاسماك ٠٠ الخ خلال فترة انعقاد أسواقها لتأثيره على تجارتها وان عدم التخفيض يجعل التجار يعزفون عن ارتيادها ولذلك منحها الملك هنرى الرابع تخفيضنا بقدر ١٠ بالمائة من مجموع الضرائب التي تدفعها خلال تلك الاسواق التي تستمر للدة ثلاثين يوما، الى ما يعادل ١٠ الف ميرقيدى (١٠٠٠)

جدول رقم (۲) نسب الضرائب في اسواق مدينة Bejar كما وردت في تنظيماتها لعام ١٤٥٢

الللحظات	نهبية الضريبة	أ _ السلعة
	۶٬۳٫۵ ۳٪	الاقمشة الاجنبية (الاقمشة الانكليزية بالجملة) الاقمشة الايطالية المطعمة والملونة لمدينة فلورنسا
وكما هو معمول في اسواق مدينة دل الكامبو	Tel X	أقمشة الاراضي المنخفضة بالمفرد
7.8	بالمفويه و ال	الاقمشة الفرنسية أقمشة قشتالة التي يتراوح سعرها من ٧٠ الى
	۸ر۳٪	۱۰۰ میرفیدی / لَلیارد
وكما هو معمول في السنين السابقة	۸ر۲٪	الاقمشة البيضاء الثقيلة القشتالية والاجنبية الاقمشة السوداء والداكنة التي يزيد سعرها عن
	<b>%</b> £	۱۰۰ میرفیدی / للیارد
ميرفيدى للقطعة الواحدة	۲٠	الحرير الطبيعى والمطعم بالذهب للقطعة الواحدة
	7.5.0	الذهب والفضة والاقمشة الاخرى المطعمة بهما
		ب ـ عملاء الوكلاء التجاريين :
	۱ میرفیدی لکل یارد	وكلاء الاقمشة بكافة انواعها
	٣ ميرڤيدي لكل قطعة	وكلاء الحرير الطبيعي والخام
	٢ بالمائة من القيمة الكلية	وكلاء المجوهرات والذهب والفضة

المصدرة

وبالرغم من ان اسواق مدينة مدريد لم تكن معفية من الضرائب التى يجب عليها دفعها خلال فترة انعقاد سوقها ، لكنها كانت في صراع مع المجلس المالي للدولة ووكلائه من جباة الضرائب فيها ، لتخفيضها ، حيث تشير سجلات بلديتها لعام ١٤٩٠ مثلاً أن على كل تأجر يحضر لاول مرة الى تلك الاسواق دفع ثلاثة ريالات فضية (١٠٢ ميرڤيدي) ويبقى بعدها حرا في الاتجار ، واصر أولئك الجباة على عدم اعفاء حتى سلع المواد الغذائية كالحبوب والطحين والملح وذلك لكون أعفائها لم يرد في ذلك الامتياز ولذا عبن المجلس البلدي لجنة من اعضائه تضم Pedro de Herrera و Diego Gonzalez للاشراف على التجارة خلال فترة انعقاد السوق والفصل في المنازعات التجارية والضريبية (٢١)

ولجاً المجلس البلدى لمدينة M. del Rioseco الى وسيلة اخرى لجذب التجار ومنافسة الاسواق الاخرى ،

وذلك عن طريق منح تخفيضات من نسب الضرائب الى مواطنى تلك المدينة من التجار الذين يسكنون خارجها وتجار بعض المدن الرئيسية المجاورة لكى يرسلوا تجارتهم الى اسواقها ، فقد ورد في وثيقة نسب ضرائب El Peso yaver de peso كما هو موضيح في جدول رقم ( ) ان مواطنی مدینة M. del Rioseco الذین يسكنون اقليم الفلاندرز في الاراضى المتخفضة ، ومدن طليطلة ، واشبيلية ، وقالنسيا واقليم غاليسيا والذين يرسلون تجارتهم الى اسواقها تخفض تلك الضريبة لنسبة ٧٥ بالمائة منها على تجارتهم وعليهم دفع ٨ میرقیدی و ۲ کورنادو فقط ای نسبة ۲۰ بالمائة ، و کذلك الحال مع تجار مدينة دل الكامبو ، بورغس ، وڤيالون (وهي المدن الرئيسية المجاورة) الذين يشترون في اسواقها الصابون النحاس ، العبيد ، البهارات ، الزعفران ، الادوية والاعشاب الطبية ٠٠

> جدول رقم (٣) نسب ضرائب الـ Peso في اسواق مدينة دل ريوسكو في اراخر القرن المخامس عشر

السلعة

سلع السراجة ، الاوانى والقدور ادوات الفلاحة ، الاخشاب الاعشاب الطبية والادوية ، اسماك السردين

والحيوانات البحرية التي تؤكل ٠٠٠

الروائح والعطور ، زيوت الطعام ، البهارات البهارات ، الشمع ، الصابون • •

كافة السلع الواردة من اقليم الفلاندرز

السلعة المشابهة لتلك السلم اعلاه الاصواف وجلودها

الزيتون ، الكافور ، السمن الحيواني ٠٠ الخ

اللحوم بأنواعها ، الملح • •

المندر

المتعلبة

بنصفها يدفعها البائع وللنصف الآخر يدفها المشترى

٤٪ لورن ٦ أونس ما دون ٣٪ لوزن ٦ أونس فما فوق

2.1

النسبة

٤٪ اذا تم الدفع خلال تسعة ايام من تاريخ الشراء و ١٠٪ بخلاف ذلك ٥ر١٪ لوزن ٦ أونس قما دون ١٠٪ لوزن ٦ أونس قما فوق ١٠٪ وهو ما يساوي الضريبة الاعتيادية المعروفة ب

Archivo de la Real Chancelleria de Valladolid, Section : Fernando Alonso, Fenecidos, Leg. 276, Libro. 1.

بالإضافة الى تلك الضرائب التي تقرض على السلع ، كانت مجالس المدن تقرض ضرائب اخرى على التجار انفسهم وخاصة الاجانب منهم وتشمل اولا Derechos انفسهم وخاصة الاجانب التي تؤخذ من اولئك الباعة الذين يستخدمون ارض الاسواق والارصفة خلال فترة انعقاد السوق ، وثانيا Derechos de Alguaciles وهي ضرائب الحراسة التي يستحصلها المجلس البلدى للانفاق على حراسة المحلات التجارية خلال الليل اثناء فترة انعقاد الاسواق تلك (") ،

فبعد تنظيم الضرائب ، تأتي مسألة اسكان التجار الاجانب مع تجارتهم في تلك الاسواق فكيف كان يتم اسكان الآلاف من التجار الغرباء في فترة انعقاد السوق ، وخاصة في وقت كانت فيه المدينة الاوربية مصممة اساسا لايواء سكانها فقط وان كافة الافراد من وراء سورها يعدون من الاجانب لايجوز لهم الاقامة والتملك فيها ؟

يبدو أن أغلب ألمدن القشتائية التجارية هيأت أماكن محددة تتوزع حول مكان السوق فيها لاسكان أولئك التجار لقاء أجور يدفعونها ألى لجنة تشكلها مجالس ألمدن هناك للأشراف مباشرة على الاسكان على سبيل ألمثال أن أسواق مقاطعة مدينة دل الكامبو قد نظمت أسكان التجار فيها منذ عام ١٤٢١ حيث بقيت تلك التنظيمات يحتذى بها من قبل بقية ألمدن في قشتالة فيما بعد ويقوم المجلس البلدى فيها بتشكيل لجنة سنويا برئاسة أعضاء المجلس البلدى تتولى الأشراف على أسكان أولئك التجار ويسمى Aposentador Mayor (المشرف الأعلى للاسكان) موافق في ذلك عدد من المشرفين الصغار - مماك الدور والمحلات والمتعادة المحلود والمحلات والمحلاء والمحلاء

ولا تذكر المصادر شيئا عن راتب المشرف الاعلى للاسكان في اسواق مدينة دل الكامبو ، ولكن تورد ان Juan Sanchez عضو المجلس البلدى وكاتب العدل في مدينة بلد الوليد يتقاضى راتبا قدره ٢٠٠ ميرڤيدى سنويا لقاء مهمته كمشرف عام لإسكان التجار عام ١٤٤٨ (٤٠) . وفي عام ١٤٨٥ كافأ الملوك الكاثوليك Perdro de pinos عضو المجلس البلدى لمدينة Jerez وذلك بتعيينه مشرفا لاسكان التجار في اسواقها مدى الحياة وبالراتب الذي يتمتع به نظيره في أسواق مدينة دل الكامبو ٠ (٤٠)

مما لاشك فيه أن حصر تلك الوظيفة بعضو المجلس البلدى أو كاتب العدل في المدينة يعني أنها تمثل منزلة أجتماعية متميزة ، ولكن من غير الواضع هو هل

انها تبقى وراثية في المعاملة كما هو الحال بالنسبة لوظيفة عضو المجلس البلدى او وظيفة كاتب العدل آنذاك ؟ فتورد سجلات بلدية مدريد لعام ١٤٨٤ مثلاً ان Garcia de Villanueva البلدى ايضا دخل في نزاع مع ذلك المجلس مدعياً ان البلدى ايضا دخل في نزاع مع ذلك المجلس مدعياً ان البلدى العام لاسكان التجار في اسواقها منذ زمن الملك المشرف العام لاسكان التجار في اسواقها منذ زمن الملك جون الثاني وانه يرغب في الاستمرار بوظيفة والده حتى اقره المجلس بعد مناقشات طويلة وكافأه بمبلغ ستة الاف ميرقيدى لجهوده في الاتصال مع المدن الرئيسية القشمالة ولتشجيعه تجارها بالحضور الى اسواق مدينته لوينا.

ولكن يبدو ان اقتصار تلك الوظيفة على تلك العناصر تعكس رغبة الطبقة الارستقراطية في الحفاظ على مصالحها ومركزها الاجتماعي من خلال ادارتها للحياة الاقتصادية والاجتماعية في المدينة عن طريق تنظيمها لاسكان التجار وتأجير املاكها من المحلات والدور المتمركزة في مراكز تلك المدن والتي هي في الوقت نفسه مناطق عقد تلك الاسواق بالرغم من ان المصادر المتوفرة في الوقت الحاضر لاتبين حجم ممتلكات تلك الطبقة في مراكز المدن لكنه يبدو من بعض الدراسات الاخيرة في مراكز المدن لكنه يبدو من بعض الدراسات الاخيرة في المعزن السادس عشر م (منا ومن أسماء بعض المشرفين الصغار في اسواق مدينة دل الريوسكو لعام ١٥٠٦ (منحق ٢) لن تلك الطبقة كانت تؤجر املاكها الى التجار الكبار بعقود طويلة الاجل للحصول على ايرادات ثابتة الكبار بعقود طويلة الاجل للحصول على ايرادات ثابتة م

أما المشرفون الصغار والذين يساعدون المشرف الاعلى للاسكان فإنهم يتولون الاشراف على مساحة معينة من السوق أو عدد معين من الشوارع التي ينتشر فيها التجار والتي غالباً ما تكون مناطق سكناهم ويكون عددهم مناسبا مع حجم السوق وحجم الاعمال التجارية فيه كما هو الحال في اسواق مقاطعة مدينة دل الكامبو وأسواق مدينة دل الريوسكو · حيث تنحصر مهمة هؤلاء المشرفين في مراقبة الاعمال التجارية واسكان التجار والذي لايجوز اسكان أكثر من تاجر واحد لكل بيت وبخلافه تصادر املاك التاجر ودفع غرامة قدرها ١٠٠٠ ميرڤيدي لكل مرة ٠ (١٠)

لقد نجحت المدن من خلال ذلك التنظيم في حل مشكلة اسكان الغرباء خلال فترة انعقاد اسواقها ، لكنها واجهت صعوبة في الاشراف على الصيارفة واصحاب البنوك Cambiadores Publicos وعملياتهم الائتمانية

والتي كانت في غاية الحساسية وفي وقت تعددت فيه موازين وقيم النقود المعدنية ، وبالرغم من أن أغلب المدن التجارية واسواقها خصصت لاولئك التجار محلات محددة في تلك الاسواق (في مدينة دل الكامبو في شارع Las Gradas ، اشبيلية شارع ، Las Gradas Plaza Mauot بغية المراقبة ، واشترطت على كل صيرفي ان يقدم ضمانات مالية تتراوح بين ٢٠٠ الف ميرڤيدي في حالة مدينة مدريد عام ١٤٩٨ (\*\*) إلى مليون ميرفيدي في حالة بلد الوليد (ملحق ٣) امام المجلس البلدى قبل بدء مزاولته الصيرفه ، لكن نرى حالات عديدة من الافلاس والاختفاء المباشر لتلك المصارف في قشتالة خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر منها مثلًا : في اشبيلية : Gonzalo Gonzalez عام ۱٤٧٨ و Miguel Fernandez عام ۱۶۸۰ ، و Diaz de la Pueble عام ۱۶۹۲ ، في طليطلة : Fernandez de la Plama عام ١٤٨٠ ، و Lope Pedro عام ۱٤۸۱ و Fernande de Carmona عام ۱٤٩٢ ، في مدينة Juan Barlona :Jerez عام ١٤٩٢ ، في مدينة بلد الوليد Anton de Palencia عام ١٤٩٨ ، و · الخ · · الخ · · الخ · · الخ

ان السبب الحقيقي وراء تلك الافلاسات ، هو ان تلا المصارف في قشتالة في عصورها الوسطى المتأخرة ، كما هوالحال في مدينة بروج في الاراضي المنخفضة او برشلونة المعلم المنخفضة او برشلونة فقط ، وانما كانت تنوع من اعمالها وتنهمك فقط استثمارات تجارية (شراء عقارات ، الاقراض بكافة انواعه ، التجارة الدولية ن الغي كبيرة حتى تصل الى مرحلة من العمل بدون اية احتياطات من سيولتها النقدية وفي وقت لم تعد المصارف المركزية معروفة بعد حتى تهب لساعدتها في وقت حاجتها ، وبالتالي فان حدوث اية ازمة سياسية او عسكرية يعرضها الاهتزاز والافلاس وهذا ما حدث للصيرفي Available المنافلة المحدث المسيرفي مدينة اشبيلية ان الحرب الاهلية خلال السبعينات من القرن الخامس عشر هي السبب وراء العلاس الملكس :

«انه بسبب تلك الحرب ادت الى النزاع بين عناصر المجتمع في اشبيليه والذين كانوا اما دائنين او مدينين الى Miguel Fernandez الى ندرة في سيولته النقدية وبالتالي لم يستطع دفع حقوق التجار ٢٠٠٠ (٢٠)

اما افلاس الصبرفي Juan Barlona من مدينة Juan Barlona كان نتيجة للحملة الاسبانية على غرناطة عام ١٤٩٢ حيث ورد في حيثيات افلاسه :

«ان الحاكم الاعلى لتلك المدينة اجبر ذلك المصرف على تقديم القروض له لتجهيز حملات مدينته على غرناطه · والذى ادى الى افلاس Juan والذى لم يستطع دفع أموال مودعيه · · الخ · ()

يبدو مما تقدم ، ان تلك الاسواق ، من خلال حجم الضرائب وتنظيم اسكان التجار ، والاشراف الدقيق على الصيارفة واصحاب البنوك ، لاتقل أهمية عن الاسواق التجارية الاقليمية لبعض اقاليم أوربا المعروفة ولكن ما يؤخذ على وثائق امتيازات تلك الاسواق وهي كأوامر ملكية لا تهتم بحجم التجارة فيها ، وأوردت فقط اسماء بعض السلع المتداولة فيها والتي هي اما شلع استهلاكية (كاللحوم والحبوب والنبيذ ٠٠ الخ) أو سلع كمالية والاقمشة بأنواعها ١٠ الخ) ، وكان بعض تلك السلع منتجة وطنيا ، والاخرى مستوردة كما هو الحال في اسواق مدينة دل الكامبو السالفة الذكر ٠ السالفة الذكر ٠

ولا تهتم وثائق الامتيازات بتجارة الاصواف في تلك الاسواق وهي المادة الرئيسية في اقتصاد قشتالة أنذاك ، ولهذا لا يعني ان تلك التجارة غير معروفة فيها ، وسبب ذلك يعود الى طبيعة تلك التجارة نفسها ، لان مربى الاغنام كانوا يبيعون انتاجهم مقدما الى تجار مدينة مورغ مطليطلة والتجار الايطاليين في أشهر الخريف مقابل جزء رمزي من المبلغ الكلي حتى يتم موسم جزّ الاصواف في الربيع من السنة التالية حيث تفرض عليها الضرائب وتسلم في محطات الجزّ وهي مناطق معروفة ومحددة وتختلف عن مناطق المدن التي تعقد فيها تلك الاسواق (") كما يجب ان لا يفوتنا ان نذكر ان المجتمع القشتالي آنذاك والاوربي عامة ، كان مجتمعا بسيطاً غير معقد قائماً على الثقة ولايستعين بكاتب العدل الا في المعاملات الهامة والكبيرة في اسواق المدن التجارية والرئيسية في قشتالة ، لأن ذلك يكلف كثيرا (٢٥٠ ميرڤيدى لكل معاملة تسجل في دوائر كتاب العدول) ولذلك لم تصلنا كافة المعاملات التجارية المتعلقة بتلك الاسواق في الفترة موضوع البحث • فنرى في مدينة قرطبة مثلاً سجلت دوائر كتاب العدول ٢٠٠ عقد لبيع الاصواف للفترة (١٤٧١ \_ ١٥١٥) (١) وعدد غير معروف من العقود في مدينة دل الكامبو بسبب تلف تلك الوثائق في حرق المدينة لعام ١٤٩٢ و ١٥٢١ ولكن بالتأكيد ذو حجم كبير ، في عام ١٤٩٢ مثلًا ، إشتكي التاجر Juan de Sahagun الى الملوك الكاثوليك من انه اشترى من التاجر اليهودي Bien

Beniste اصوافا بمبلغ ما يقارب ثلاثة ملايين ميرڤيدى في السوق الصيفي لمدينة دل الكامبو ولكن لم يسلمه تلك الاصواف في اوقاتها المتفق عليها كما هو معتاد منذ عشرين عاماً عندما كان يتاجر معه (٧٠) •

وبالاضافة إلى ذلك ، يبدو أن بعض الاسواق الموسمية المخصصة لبيع قطعان الاغنام والاصواف كانت توجد في مناط المراعى القشتالية في خلال عصورها الوسطى المتأخرة لان وثائق الدولة المالية تشير ولو بصورة مقتضبة ، الى ان مدينة Trujillo مثلًا في اقليم استرامادورا قرب الحدود البرتغالية ومنطقة المراعى الشنوية للاغنام كانت تعقد اسواقها المخصصة لبيع (قطعان الاغنام والملابس) عام ١٤٦٨ والتي تستمر لمدة اربعين يوما اعتبارا من اليوم الاول لشهر مارس من كل عام وبلغت ضرائبه لتلك السنة مبلغ عشرة ألاف ميرفيدي (^^) اما مدينة Almagro الواقعة في قلب المراعى الجنوبية المعروفة El Campo de Calatrava كانت تعقد سبوقها الذي توصفه وثائق الدولة الضريبية صراحة بأنه (سوق جزّ الاصواف في تلك المراعى) ولكن لم تورد ارقاما واضحة عن مقدار الضرائب لكن نتيجة من استنتاج حجم الانتاج المتداول فيها اذ تدمج ضرائب الاصواف مع ضرائب المدينة عامة ٠ ١٠٠١

من الواضح ان الاسواق التجارية التي درست و الصفحات السابقة هي اسواق موسمية تعقد مرة الأ مرتين في العام كما هو موضح في ملحق رقم (١) ، وتختلف عن الاسواق الاسبوعية التي تعقد لمدة يوم واحد كل اسبوع في قشتالة ومعفية من الضرائب الحكومية بالكامل كما هو الحال في بقية اجزاء اوربا خلال هذه الفترة ١٠٠ لقد شجع الملوك الكاثوليك تلك الاسواق الاسبوعية لانها تمثل حاجة اساسية للاقتصاد الريفي والمديني على السواء حيث يجلب المزارعون انتاجهم من وراء اسوار المدن للمقايضة بما يحتاجونه من سلع وخدمات من اسواقها ١٠٠٠

لقد كانت أغلب المدن الرئيسية في قشتالة تعقد اسواقها الاسبوعية حيث اكد الملوك الكاثوليك امتيازاتها في مرات عديدة (١٠) كاحدى الوسائل لتشجيعها بالرغم من ادراكهم من ان اعفاءها يشكل خسارة ليست قليلة للخزينة الحكومية ، اذ ان عقد سوق اسبوعي معفى من الضرائب لمدينة واحدة يعني ان تلك المدينة تتمتع باعفاء ضريبي لمدة ٥٢ يوما في السنة وهذه الفترة اكبر بكثير من اية فترة سوق سنوى آنذاك ، فكيف اذا تعددت تلك الاسواق في المدن القشتالية ؟

يبدو مما تقدم ، أنه في الوقت الذي كان الملوك الكاثوليك يفرضون الضرائب على التجارة العامة الكبيرة للحصول على الموارد ، لكنهم كانوا يشجعون عقد مثل تلك الاسواق الاسبوعية كوسيلة لتحفيز الفلاحين لزيادة انتاجهم عن طريق اعفاء منتوجاتهم من الضرائب ، هذه السياسة ربما تفسر لنا الى حد ما عدم حدوث مجاعات او تكرار مواسم رديئة للحصاد بصورة ملحوظة خلال فترة حكمهم الطويل بالرغم من وجود اشارات على زيادة السكان في قشتالة أنذاك (١٠) .

والخلاصة ان قشتالة تمكنت من تطوير وتنظيم اسواقها التجارية الموسمية والاسبوعية في خلال عصاورها الوسطى المتأخرة وكانت السلع الكمالية والاساسية هي المتداولة فيها ، وهي تعكس بذلك احدى سمات الإنتاج الاهلي Demostio system الذي ميز الاقتصاد الاوربي أنذاك وبذلك فهذا لايقود الباحث الى الاعتقاد من ان اقتصاد قشتالة كان اقتصادا تجاريا فقد ظل اقتصادا ريفيا الى درجة كبيرة وان انتشرت فيه تلك الاسواق وان تشجيع ملوك قشتالة الى عقدها ، سواء كانت اسواقا اقطاعية ام مدينية موسمية او اسبوعية ، وبالوسائل المتاحة كتوفير الحرية التجارية او عن طريق اعفائها من الضرائب ، كان نابعا من ادراكهم من ان تنظيم الاسواق التجارية في المدن كان جزءا من سياسة الدولة أنذاك في تطوير اسس الدولة القومية والذي لم تشهده قشتالة وحدها بل واغلب اجزاء اوربا الغربية أنذاك

### ملحق رقم (١) بعض الاسواق التجارية الموسمية في قشتالة ١٤٥٤ ـ ١٥١٦ ـ

مكان الانعقاد	فترة الانعقاد كل عام	مدته بالايام	الملاحظ الت
١ ـ مدينة دل الكامبو	السوق الاول: اواسط مايس ــ اوائل تموز	0 4	غير معفي من الضرائب
Medina del Campo			•
	السوق الثاني: اواسط تشرين ـ اوائل كانون	٥٠	غير معفي من الضرائب
٢ ـ مدينة دل الريوسكو	السبوق الاول: أوائل الربيع	γ	غير معفي من الضرائب
**	السوق الثاني : ١ ـ ٣٠ أب	٣.	غير معفي من الضرائب
۳ ـ بيالون Villalon	٤/٣٠ _ ٤/١٠	۲.	غير معفي من الضرائب
ع ـ ثامور Zamora	١٥ يوما قبل عيد الصوم الكبير	**	معفي من الضرائب
ه _ سلامنكا Salamanca	السوق الاول : ١ - ٣٠ حِزْنِيانِ	٣.	غير معفي من الضرائب
	السوق الثاني : ١ - ١ ايلول	۲.	غير معفي من الضرائب
Valladolid بلد الوليد - ا	خلال عيد الصوم الكبير	10	غير معفي من الضرائب
۷ _ القلعة دى اينارس	٨/٢٤	-	غير معفي من الضرائب
Alcala de Henares			
	سوقان عشرين يؤما لكل منهما		
۸ ـ مدرید Madrid	۱۰_۱۰ ایلول سروی می	٧. = ١٠	غير معفى من الضرائب
۹ خیرٹ Jerez		۳.	غير معفي من الضرائب
۱۰ ــ لوس موارلس	۱ ـ ۳۰ تشرین الاول	1	
Los Morales			
اا ـ خايين Jaen	اواسط اب _ اوائل ایلول	١٥	غير معفي من الضرائب
۱۲ ـ قرطبة Cordova	السوق الاول : اوائل عيد القصيح	۲٠	غير معفي من الضرائب
	السوق الثاني : ١ ـ ٢٠ مايس	۲-	غير معفي من الضرائب
Badajoz عبدا خوث ۱۳	اواسط نيسان وحتى نهايته	١٥	غير معفى من الضرائب
۱۶ ـ شقوبیه Segovia	اوائل حزيران وحتى نهايته	٣٠	معفي جزئيا
W V W			

## ملحق رقم (٢) اسماء مشرفي الاسكان الصغار في اسواق مدينة دل الريوسكو لعام ١٥٠٦

أسم المشرف	مكان الاشراف في المدينة
Fernando Yllan y	الاقمشة التي يبيعها تجار مدينة بورغس
Alonso de Helejos	
2. Pedro Barrosa y	الاقمشة التي يبيعها تجار مدن شقوبيه وبالنسثيا
Pero Bohon	
3. Pedro Bleneer y	الاقمشة الاجنبية
Francisco de la Cadena	
4. Diego Gomez —	مناطق الاسماك الجافة والحية
5. Juan de Placios y	الحني والمجوهرات
Juan de Bienbineste	
6. Juan de la Gina y	البقالة والحلويات/المفرد
Pedro Caldiron	A 50
7. Juan de Medina ————	لموم الخنزير
8. Diego de la Frecha y	الزيوت ، عصير الفواكه
Francisco Roxo	
9. Pedro de San Esteban y —	الشمع ومنتجاته
Juan Brabo el Mozo	
10. Diego Zequero y	الكتان الكتان
Alonso Ruberto	
11. Cristobal Nunez y	البقالة والحلويات/الجملة
Bartelome Izquierdo	
12. Pedro de Castro y ———	الملابس النسائية الحريرية
Juan Galiendo	
13. Rodrigo Gonzalez y	الجلود المدبوغة
Anton Cardelan?	
14. Juan Carvajal y	الاخشاب بانواعها
Andres Rojo	
15. Alonso Rojo —	الادوات البدوية المصنوعة من الحديد
16. Lope de los Rios y —	الملابس المستعملة
June de Chaeun	
17 Diego diez	ملابس المحاكة والجواريب
19 Diego de Palencia	التحقيات النحاسية ، الاحجار الكريمة ، الورق
19. Juan Calvo y	الحدادين وصناع الاقفال والمزاليق
Juan Caesario	

### ملحق رقم (٣) اسماء الصبيارقة واصحاب البنوك في مدينة بلد الوليد الفترة ١٤٩٧ ـ ١٥١٣

	اسم الصيرفي	VP3/_PP3/#	10	10-1	10.7
1.	route de Monzon y		3000	2000	2000
	Su hijo Cristobal				
2.	Francisco de san Esteban		3000	1000	500
3.	Juan de la Haya		3000	2000	1000
4.	Fernando de Valladolid		3000	2000	1000
5.	Alonso Ramon		3000	2000	500
6.	Juan de Villalon		2000	500	500
7.	Antonio de Leon		1000	500	500
8.	Pero Lopez		1000		
9.	Francisco de Rojas y		1000	500	_
	su hijo diego			500	
10.	Alvaro de Bruelas		1000	1000	1000
12.	Anton Garcia de Aranda		800	500	500
13.	Bernaldino de Portillo		800	800	500
14.	Juan de Frias		700	500	1000
15.	Anton de Valladolid		700	500	7000
16.	Diego de la Rua	/ / / / / /	500	500	500
17.	Fernando de Atienza	مراحمها فاندور أعاوم	500	500	500
18.	Gomez de Valladolid		500	500	500
19.	Cristobal de Valladolid		500	500	500
20.	San Esteban de la		500		500
	Plaza Vieja				
21.	Francisco de san Pedro		3000		1000
22.	Francisco Morales		700	500	1000
23.	Yniego de Aranda			2000	500
24.	Pedro Gutierrez de			2000	500
,	Tordesillas				200
25.	Bartelome de Valladolid		_		500

Archivo Municipal de Valladolid, Libro I, P.263, 393, 455, 452,456.

الصدرات

Libro II, P.74.

\*\* مبالغ الضمانات اعلاه وردت بالدوكادو والذي يساوى ٣٧٥ ميرقيدي

\*\* وردت اسماء الصيارفة اعلاه ابتداء من عالم ١٤٩٧ ولكن دون ذكر مبالغ الضمانات التي قدموها للمجلس البلدى في المدينة

#### قراءة الرموز المستخدمة في الهوامش :

A.G.S. (Archivo General de Simancas, Valladolid).

R.G.S. (Registro General del Sello).

Esc. M.R. (Escribanio Mayor de Rentas).

De. C. (Diversos de Castilla).

A.H.N. (Archivo Historico Nacional, Madrid).

Osuna

A.M.V. (Archivo Municipal de Valladolid).

A.M.M. (Archivo Municipal de Madrid).

A.M.R. (Archivo Municipal de Medina de Rioseco).

Leg. : Legajo : رزمة Fol. : Folio : ورقة الارشيف العام في سيمانكس قسم سجل الاوامر الملكية في ذلك الارشيف قسم سجلات ضرائب الدولة في ذلك الارشيف قسم الاوراق المتنوعة في ذلك الارشيف الوطنى الاسبانى الارشيف الوطنى الاسبانى قسم Osund في ذلك الارشيف وهو مخصص لاوراق الطبقة النبيلة في قشتالة

الارشیف البلدی لمدینة بلد الولید الارشیف البلدی لمدینة مدرید الارشیف البلدی لمدینة دل ریوسکو



يوجد العديد من الدراسات المحلية والاقليمية لقشتالة في القرن السادس عشر يصعب حصرها في هامش واحد · اذكر اهمها ادناه ومن خلالها يمكن الرجوع الى دراسات عديدة اخرى · يأتي كتاب كرانديه الموسوم · والذي يتكون من ثلاثة اجزاء وكالاتي :

(I) Carlos Y sus Banqueros

Tome I: La Vida Económica de España en una fase de su hegemonía (Madrid, 1965).

Tomo II: La Hacienda Real de Castilla, (Madrid, 1967).

Tomo III: Los Caminos del Oro y de la Plata, (Madrid, 1967).

Pérez J., L'Espagne du XVI-siecle, (Paris, 1973)

Pike R., Aristócratas y Comerciates: La Sociedad Sevillana en el Siglo XVI, (Barçelona, 1978).

Lorenzo Sana El Comercio de España con America en el Reinado de Felipe II, 2tomos, (Valladolid, 1980).

Ruiz Martin F., "Credito y Banca, Comercio y transporte en la etapa Del Capitalismo Mercantil". en Primeros Jornadas de metodologia, (Santiago, 1975).

Vicens Vives J., Historia Economica de España, (Barçelona, 1969).

Le Flem J.P., La Frusturación de un Imperio, (1476-1714), (Barçelona, 1982).

ان تلك المناقشات المستغيضة حول تحديد الفترة الزمنية الذهبي السبانيا اوردها في بحثه الموسوم ١٠

"The Decline Of Spain: A Historical Myth?. "Past & Present, No. 81 (1981), P. 32.

- (3) Elliot J., Imperial Spain 1469-1716, (London, 1960), P. 109.
  Iradiel Murugarren Evolucion de la Industeria Textil Castillana en los siglos XII-XVI, Factores de desarroll y costes de la producción manufacturera en Cuenca, (Salamanca, 1974), P.105-15.
- (4) Ladero Quesada M., La Haciendaa Real de Castilla en el Siglo XV, (La Laguna, 1973).
  - = = La Hacienda Real Castillana entre 1480 y 1492, (Valladolid, 1963).
  - = = Algunos datos para la Historia economica de las Ordines Militares de Santiago y
     Caltrava en el Siglo XV, Hispaña, (1970), P.637-662.
  - Moxó, S., La alcabala, sus origenes, concepto, y naturaleza, (Madrid, 1964).
- (5) Carlé M., del C, "Gran propiedad y grandes propietarios", Guadernos de Historia de España, No. 57-58. (1973).
  - Solano Ruiz. Ema La Hacienda de las Casas de Medinasidonia y Arcos en la Andelucia del siglo XV, (Archivo Hispalenes), Vol. 168, P.85-176.
  - Gerbet M-C., La Noblesse dan le Royaume de Castille 1454 á 1516, (Paris, 1980).
- (6) Espejo y Paz
   Las Antiguas Ferias de Medina del Campo, (Valladolid, 1912).

   Lapeyer H., Un Famille de Marchandes: Les Ruiz. Contribution à L'étude du Commerce entre le France et L'Espagne au temps de Fhillipe II, (Paris, 1955).

Ruiz Martin F., Lettre de Marchandes échangées entre Florence et Medina del Campo, (Paris, 1965).

Vázquez de Prada Lettre de Marchandes L'Avers, (s.d). اعتمدت تلك الدراسات على الارشيف المخاص لعائلة أل روتب والمحفوظ في ارشيف مقاطعة بلد الوليد في شمال اسبانيا (قشتالة القديمة) وتناولت تجارة مقاطعة مدينة دل الكامبو وهي موطن تلك العائلة مع فلورنسا في ايطاليا ، ومدينة نانث بليون في فرنسا ، وانثويرب في الاراضي المنخفضة خلال النصف الثاني ·

(7) Valdeon J., Feudalismo y. Consolidacion de los Pueblos Hisp-anicos, los siglos XI-XV, (Barçelona, 1980), P.106.

Elliotte, Op. Cit. P.172.

- (8) Ladero Quesada La Hacienda Real de Castilla ...., P. 88 y 146.
- (9) Oligarchy and Merchant Capitalism in Lower Andelusia under the Catholic Kings: The case of Cordova y Jerez de la Frontera, in Historia, Instituciónes, y decumentos, 4 (Univ. de Servilla, 1977), P.II-33.
- (10) La Real Academia Cortes de los antigues reinos de León y Castilla, de la Historia II, P. 89.
  - (11) A.G.S. De. C. Leg. 48, fol. 3.
- (12) Carlé M.C., Mercaderes de Castilla (1252-1512), Cuadernos de Historia de España, No. 15 (1951), P. 152.
- (13) A.G.S. R.G.S. 28 Marzo 1485 fol: 31.
- "nuestro justicia mayor y de nuestro conejo" A.G.S. R.G.S. 4 Julio, 1485, fol. 4.
- (15) A.G.S. R.G.S. 28 Marzo 1485. fol. 18.
- (16) Villar Angeles, Approximación a las ferias de Medina del Rioseco 1476-1567. (Unpublished M.A. Thesis, Univ. de Duesto, Bilbao, 1974), P.62.

لكن في دراسته حول اقطاعيات Almiranto بان الملك جون الثاني منع ذلك الاقطاعي امتيازا بعقد اسواقه منذ عام ١٤٢٧ · Almirante راجع كتابه الموسوم ·

El Estado Senorial de Medina del Rioseco bajo el Almirante Alfonso Enriquez (1389-1430), (Valladolid, 1977), P. 154.

- (17) A.G.S. R.G.S. 25 Marzo, 1485, fol. 3.
- (18) Valdeavellano L., El Mercado en León y Castilla durante la Edad Media, (Sevilla, 1975), P.100.
- (19) Quesada M. La Hacienda Real ....., P.82-83.

حيث يذكر أن هنالك تفاصيل وافية عن تخمينات الضرائب التي كان يحصل عليها النبلاء من اقطاعاتهم وخاصة للفترة ١٤٥٩ \_ ١٤٦٢ في قسم ا

ì

- A.G.S., Esc. M.R. Leg. 5
- (20) A.G.S. Esc. Mr. Leg. II.
- (21) Highfield, J.R., "The Catholic Kings and the Titled Nobility of Castile," in Europe in the Late Middle Ages (ed. By John Hole), London, 1970), P.383.

نتوفر في قسم Ousuna في الارشيف الوطني بمدريد عشرات السجلات الحسابية لبعض العوائل النبيلة والتي يعود تاريخها الى اواخر القرن الخامس عشر والقرون التالية وخاصة حسابات عائلة •

#### Almirante de Castilla

A.H.N. Legs. 525-527, 214-217, 418-424.

- (23) La Renta Feudal en la Castilla del Siglo XV: Los Stúñiga, (Valladolid, 1977), P.53 y as.
- (24) Garcia y Villar. Historia de Salamanca, Libro V (Salamanca, 1973), P.17.
- (25) A.G.S. R.G.S. 18 Febrero 1480, fol. 18.
- (26) A.G.S. R.G.S. 16 Febrero 1490, fol. 289.
- (27) A.G.S. R.G.S. 22 Sebtimbre 1489, fol. 287.
- (28) A.G.S. R.G.S. 20 1489, fol. 271.
- (29) A.G.S. R.G.S. 17 Mayo 1476, fol. 249.
- (30) A.G.S. R.G.S. 13 Abril 1485, fol. 45.
- (31) A.H.N. Osuna Leg. 526, Carpeta 3, fol. 28.
- (32) A.G.S. R.G.S. 10 Febrero 1490, fol. 80.
- (33) Valdeavellano Op. Cit. P. 60
- (34) The Medieval City: their origins and the revival of trade, (trans. by F. Halsey), New Jersey, 1974,
- (35) A.G.S. R.G.S. 24 Seb. 1485, fol. 152.
- (36) A.M.V. Libre de Actas II, fol. 6.
- (37) A.G.S. R.G.S. 30 Oct. 1492, fol. 33, y 19 Dec. 1492, fol. 46
- (38) A.G.S. R=G.S. ? Mayo 1484, fol. 97.
- (39) Espejo y Paz Op. Cit. P.

Ulloa M., La Hacienda Real de Castilla en el Reinado de Felipe II, (Roma, 1963), P.173.

- (40) Academia de la Cortes de los Antiguos reinos de León y Castilla Real Historia tomoto II, P.89.
- (41) A.H.N. Osuna, Leg. 526, Carpeta 3, fol. 28.
- (42) A.M.M. Libro de Acuerdos II, P. 230.

ومن الاسواق غير المعفية من الضرائب هي اسواق Belálcazar (قرطبة) ، واسواق مدينة · Tendilla

A.G.S. R.G.S. 12 Junio 1476, fol. 402. Tendilla

A.H.N. Osuna Leg. 2068, carpeta 2, fol. 22.

(43) Vives, V., "The Economies of Catalonia and Castile", in the Spain in the Fifteenth Century, (London, 1972) P.44.

(44) Al-Hussein F.H. Trade and Business Community in Old Castile: Medina del Campo 1500-1575, (Unpublished Ph.D. thesis, Univ. of East Anglia, Norwich, 1982) P. 11-12.

Espejo y Paz Op. Cit. P.

- (45) A.H.N. Osuna Leg. 525, carpeta 3, fol. 28.
- (46) A.G.S. R.G.S. II Feb. 1477, fol. 58.
- (47) A.M.M. Libro de Acuerdos I, (1464, 1485) P. 353.
- (48) Al-Hussein Op. Cit. P. 267-68.
- (49) A=M.R. Leg. 16, tol. 323, y. Leg. 17, tol. 322.
- (50) A.M.M. Libro de Acuerdos 4, tol. 89.

من كتب عن تجارة الاصنواف في القرنين السنادس عشر والسابع عشر ومعالجتها من الناحية الفقهية والقانونية هو الفقيه الاسباني في كتابه الذي نشره عام ١٧١٦ موسوم :

عن تلك الافلاسات في مدينة بروج وبقية اجزاء اوربا في اواخر العصور الوسطى ٠

Tratadi, y doctrinas practicas sobre comprasy ventas de lanas y otros generos y sobre el juego de naypes y dados con un suplemento de 26 contratos dados a luz, (Toledo, sd).

(52)

Roover, R. de., Money, Banking and Credit in Medieval Bruges:Italian-Merchant Bankers. Lombards and Money-Changers, (Oamb., Mass., 1948), P.419, passim.

- (53) A.G.S. R.G.S. ? Feb. 1478, fol/36.
- (54) A.G.S. R.G.S. 26 Nov. 1492, fdl.170

(55)

- (56) Edwards J.H., Op. Cit. P. 20.
- (57) A.G.S. R.G.S. 22 Marzo 1492, fol.407.
- (58) A.G.S. Esc. M.R. Leg. 16 antigua.
- (59) A.G.S. Esc. M.R. Leg.68, fol. 18, y Leg. 126.
- (60) Heers, J., Occidente durants los siglos XIV y XV, (Barcelona, 1976), P.121-128.

Combes J., Les foires en Languedoc au Moyen Ages, A.e.S.C., (1985), P.231-259.

- (61) Gerber, M-c. Op. Cit. P.100.
- (62) A.G.S. R.G.S. 3 Abril 1485, fol. 3. Villaion

A.G.S. R.G.S. 25 Julio 1475, fol. 494. Cuidad Rodrigo

A.G.S. R.G.S. II Febr. 1477, fol.401. Murcia

A.G.S. R.G.S. 3 Marzo 1475, fol. 339

A.G.S. R.G.S. 2 Feb. 1476, fol. 585. Yecla

السبت من كل اسبوع كان سوق

الثلاثاء من كل اسبوع كان سوق

الخميس من كل اسبوع كان سوق

السبت طليطلة

الثلاثاء طليطلة

1

بالرغم من اننا لانملك احصائيات عن عدد سكان قشتالة خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر لكن هنالك بعض التقديرات (63) تشير الى عدد سكانها •

Carande, Op. Cit. tomo I, P.57.



.

«التاريخ هو الجزء الحيوي والهام من عقيدة الامة التي ننهل منها قيم الشجاعة والفروسية والأقدام»



F

## دار العلم في حماة مؤسسة ثقافية فريدة

بقلم : نزار سعيد ـ المحامي دار الكرمل/دمشق

دخلت الجيوش العربية والبريطانية البلاد الشامية غبّ هزيمة الجيوش العثمانية في الحرب العالمية الأولى وراح قائد القوى العربية الأمير فيصل بن الحسين شريف مكة ، وبعض إخوته ، يجوسون خلال الديار ، مستطلعين وكان أهالي البلاد المتعطشون للتحرر من الحكم العثماني واستعادة وحدتهم ومجد أمتهم العربية ، يرون في الشريف حسين وأبنائه أملهم لتحقيق كل ذلك و

وجاء الأمير فيصل مدينة حماة السورية العريقة في التاسع من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٨م / التلاثين من شهر محرم سنة ١٣٣٧هـ/ واستُقبل استقبالاً حافلاً عند دار البلدية التي كانت قائمة على ضفة النهر «العاصي» ، قبالـة أحـد النواعير ، فوق الجسر الواصل بين شُطْري المدينة • واجتمع إليه بعض وجوم المدينة • وكان فيهم المفتي السيد بدر الدين الكيلاني ووكيله السيد نورس الكيلاني وتبادل هذان والأمير عصيرا حول ما كان الناس يتصورونه عن غرض حديثا قصيرا حول ما كان الناس يتصورونه عن غرض الزيارة وعن مبايعة الاهالي لوالد الأمير بالخلافة معمر عن أن يستأنفا الحديث بعدئذ حول بعض الشؤون التي أن يستأنفا الحديث بعدئذ حول بعض الشؤون التي أن يستأنفا الحديث بعدئذ حول بعض الشؤون التي

وحل الأمير ضيفا في «قصر العظم الذي كان قد أمر ببنائه أسعد باشا العظم ، مُتَسَلَم (") حماة ثم دمشق في القرن الثامن عشر الميلادي • وفي الاحتفال بالأمير هناك ، القي السيد نورس الكيلاني كلمة ترحيبية أورد فيها مطلبا للمدينة هو الاستعانة على تأسيس مدرسة عامة • فتقبّل الأمير الفكرة تقبّلاً جيدا • وافتتح باب التبرعات لإنشاء المدرسة بدفعه ألف جنيه مصري • وكان الجنيه المصري من جملة العملات التي يتعامل بها المواطنون •

وتحمّس الحاضرون للتبرع ، فتبعوا الأمير بما جادت به نفوسهم ، واقترح بعضهم تسمية المدرسة باسم الأمير ولكن الأمير رفض واقترح تسميتها باسم «دار العلم والتربية» وهو الاسم الذي لازمها طُوالَ حياتها ، وشهر في استعمال الناس المختصر ب «دار العلم» ، ومن يدري ، لعلّه قد عنّ للأمير آنئذ اسم «دار الحكمة» التي انشأها المأمون في بغداد ؟ ، ، وقد وضعت «دار العلم والتربية» التمور وعاية الأمير ،

ونقرا في وثائق الدار أن أكثرية التبرعات تراوحت بين خوسين وخسمئة ليرة عثمانية ذهبية ، وأن قسما منها دُفع بالليرات الفرنسية الذهبية ، وأنه قد أضيف بعدئذ إلى التبرعات قيمة كميات من مادة السمن خلفها الجيش العثماني المنسحب ، ووضعت هيئة الدار يدها عليها واستأذنت الحاكم العسكرى العام رضا باشا الركابي في بيعها وأخذ ثمنها ، وبيعت بدعر ٢٧٤٩ جنيها مصريا وأضيف الثمن إلى التبرعات ، فبلغ المجموع بوأضيف الثمن إلى التبرعات ، فبلغ المجموع بوأضيف الثمن إلى التبرعات ، فبلغ المجموع بوأضيف الثمن إلى التبرعات ، فبلغ المجموع بوشيت هذا بقرار لهيئة أمناء الدار مؤرخ ٣٠ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٢٣ ()

ونقرأ في قائمة المتبرعين اسماء اشخاص من أُسرَ حماة المعروفة بأنها ذات املاك زراعية أو مناشط تجارية. (١)

<sup>(</sup>١) من حديث السيد فخرى الكيلاني ابن السيد نورس الكيلاني لكاتب البحث ٠

<sup>(</sup>٢) المتسلم : يقابل ، في المنزلة الاجتماعية والادارية ، المتصرِّف والوالي والمحافظ · ولكنه يختلف عن هؤلاء قانونيا ·

<sup>(</sup>٢) و (٤) عن وبثائق الدار · ومنها وثيقة بخط ناظر المدرسة السيد احمد الوتار الذي استلم الإدارة مؤخرة وحملها بقية حياته · ومنها نسخة بخط والده السيد سليم الوتار ·

### ونلمح بينها اسم المستشار الفرنسي «موربيو» (٠) ٠

وكان الأهلون قد أنشأوا حكما محليا للء القراغ بعد انسحاب السلطة العثمانية ، في ذمشق ، وحلب وحماة ، وغيرها • واختار الحمويون ، بموافقة الأمير فيصل ، المفتى السيد بدر الدين الكيلاني للء منصب «المتصرف» في الحكم المحلي لديهم • وتلقى هذا من الأمير كتابا تاريخه الخامس عشر من تشرين الثاني \_ نوفمبر \_ سنة ١٩٢٨م/ العاشر من صغر سنة ١٣٣٧هـ/ يحتُّه فيه فيصل على مباشرة العمل فورا لخلق المؤسسة العلمية المطلوبة ، ويوضع الغرض منها بقوله : «مدرسة تبثُّ في نفوس الناشئة الجديدة مبادىء الخير والوطنية والأخلاق الحسنة ، وتحتُّهم على السعي والعمل ليكونوا أعضاء خير وفلاح لأمتهم ووطنهم» (١) واحال المتصرف الكتاب إلى السيد نورس الكيلاني بوصفه رئيسا لمجلس الدار التأسيسي المسمى أعضاؤه ب «الأمناء» وذلك في ٣ صفر سنة ١٣٣٧هـ/ ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٨م تحت رقم ١٣٢ قائلًا في إحالته «أنقل إليكم صورة الأمير العالي الذي تلقيتُه من ملاذنا المعظم قائد الجيوش العربية الشمالية سمو الأمير فيصل أعزّ الله أنصاره ، سيروا على منواله ، وفقكم الله تعالى لما فيه الخير والفلاح · والسلام عليكم» · ويليه إمضاء - أأو توقيع \_ المتصرف المذكور (۱) -

وقبل الحرب العالمية الاولى ، كان نفر من أهل البرّ قد تبرعوا بأموالهم لتأسيس مدرسة أهلية ، عقب العَلاَق الحرية والدستور العثماني سنة ١٩٠٨م سمّوها (ترقّي الوطن) ، وكان موقعها فوق (تل الدباغة) المشرف على

ميدان المدينة الرئيسي وعاصيها • وقد تولى إدارتها أول الأمر شاب من بيروت يدعى (نجيب بليقة) نحوا من سنتين وتلاه في الإدارة الشيخ طاهر النعساني الحموي • وعقب إعلان الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م دُعي مديرها وأكثر أساتذتها إلى التجنيد في الجيش العثماني فأخذت المدرسة تتلكأ وتضعف ، حتى آل امرها إلى الإغلاق سنة ١٩١٧م تقريبا •

ذكرى تلك المدرسة كانت عالقة في خاطر المتنورين والمتعطشين للعلم والمعرفة ، وكانوا يتحينون الفرص لإحيائها أو إقامة بديل عنها ، فلما وضعت الحرب أوزارها أو كادت ، حانت فرصة بمجيء الأمير فيصل إلى حماة ، فافترصها الحمويون ، وكانت ولادة المدرسة الجديدة «دار العلم والتربية» ،

ولم يقتصر الأمر على حماة · ففي تلك الفترة الزمنية وبُغيْدَها وتُبنيلُها ، راح الناس المتعطشون للمعرفة بتنادون لإقامة المدارس والمؤسسات الثقافية · وإنّا لنقرأ في جريدة (العاصمة) التي كانت الجريدة الرسمية للسلطة العربية الجديدة (٨) مقالًا افتتاحيا للسيد فخري البارودي أحد زعماء الحركة الوطنية وصاحب النشيد المعروف (بلادُ العُرب اوطاني : مِن الشامِ البُعْدانِ) يحتّ به الناس على إنشاء المدارس الأهلية وترك الاتكال على الحكومة · ثم يخصّص فيرى ضرورة إنشاء مدرحثين إحداهما تجارية والأخرى زراعية ، ويدعو إلى استجلاب الأساتذة الاخصائيين لهما «من مصر وأوروبا ، إذا لم يكن بيننا من يستطيع أن يعمل أعمالهم» – على ، إذا لم يكن بيننا من يستطيع أن يعمل أعمالهم» – على

<sup>(</sup>٥) مثل الحكومة الفرنسية المنتدبة في حماة · وعرف بالكياسة وحسن الخلق · ومن كياسته وخلقه تبرعه للدار · وقد وُضَعَتُه الحكومة الفرنسية خلّفا لضابط الاستخبارات النقيب «ميك» · وكان هذا شديدا عنيفا أساء للاهائي جدا ، فنقلته الحكومة الفرنسية بناء على شكوى السيد نورس الكيلاني (من حديث للسيد فخري الكيلاني المذكور سابقا) ·

<sup>(</sup>١) عن وثائق الدار "

<sup>(\*)</sup> السيد محمد نورس الكيلاني من مواليد ١٨٨٧م درس في مدينة حماة ، وكذا في مدينة زحلة اللبنانية والتحق سنة ١٨٩٩م بالكلية الملكية في استانبول وعاد الى حماة سنة ١٩٠٤م حيث تابع دراسة الفقة الإسلامي واشرف خلال الحرب العالمية الأولى على تموين المنطقة الوسطى في سوديا وعاون المفتي بدر الدين الكيلاني ، ثم خلفه في الإقتاء بعد أن أسندت لبدر الدين رياسة الحكومة المحلية وفي سنة ١٩٢٠ عُينُ نورس متصرفا على حماة وظل في منصبه حتى سنة ١٩٢٥م وانشأ دار العلم موضوع البحث ، والمستشفى الوطني ، وبقابةً للعمال واجتذب الشبّان المثقفين للشؤون العامة ، فساهموا في السير بدار العلم ، واسسوا ناديا أدبيا وجمعية خيرية للإسعاف ، ومكتبة دار العلم وقد ردّ عن مدينته حماة عُنتُ بعض الإفرنسيين وعسفهم وفي الربع الأخير من سنة ١٩٢٥م عين متصرفا على دمشق وقد رفض تأليف حكومة عقب ثورة ١٩٢٥م وفي سنة ١٩٢٢م (من بيوغرافيا له بقلم ولده السيد فخري)

<sup>(</sup>٧) عن وبائق الدار ٠

 <sup>(</sup>٨) هي جريدة صغيرة بحجم يقارب حجم (الرسالة) المصرية القديمة المحتجبة ٠ كانت تصدر مرتين في الأسبوع ٠ وقد صدر العدد الأول منها بتاريخ ١٧
 شباط (فبراير) ١٩١٩م ٠ وكان العدد الواحد بتألف من بضع ورقات ٠ ويحتفظ مركز الوثائق التاريخية في دمشق بنسخ من اعدادها مجلدة ٠ شباط (فبراير)

حدّ تعبيره ـ وارتأى أن تكون نفقات المدرسة التجارية من المتجار ونفقات المدرسة الزراعية من المزارعين (١)

ونقرأ ، في عدد أخر بعد سنة تقريباً من انشاء دار العلم ، خبراً عن النهضة العلمية في حلب ، وعن مساهمة الأمير فيصل أيضا ٠ وقد جاء فيه أن بعض المفكرين من شبان حلب أجمعوا على القيام بتأسيس جمعية لمؤازرة الحركة العلمية · «فأمدّهم سموّ الأمير بمعونته ، ودعا كثيراً من رجال الحاضرة إلى اجتماع خُطْبَ فيه خطبةً هزَّت أريحيَّة القوم ، وكان قدوة لهم بالتبر ع · فتسارعوا · للاكتتاب • وحصل مبلغاً يمكن به الشروع في العمل • ولم تلبث الهيئة العامة أن عقدت جلسة خاصة انتخبت فيها بضعة رجال منها ناطَتْ بهم سَنَّ نظام لجمعية سمَّتها (النهضة العلمية) • وبعد إنهاء النظام والمصادقة عليه ، انتخبت عشرة رجال منها عهدت إليهم العمل به ، ومنهم يتألف مجلس الإدارة الذي انتدب لتأسيس مدارس باسم الجمعية ٠ وقد قرر مبدئيا افتتاح مدرسة ابتدائية للذكور وأخرى للإناث وحديثة للأطفال وسينهى معدّات ذلك قبل حلول أيلول» (١٠) •

وفي العدد نفسه مقال بقلم راشد البلاني يشير إلى الحلي الذهبية في أيدي وأجياد الدمشقيات والسوريات ويرى الكاتب أن ما لدى نساء دمشق من الحلي تربو قيمته على مليون ليرة ويحت على أنه لو جمع هذا المبلغ ووضع في صندوق توفير «لكان من ناتجه ، دون أن يمس راس المال ، ما يساعد على إقامة معهد علمي وحسب قوله» ((1) .

ونقرأ في عدد أخر عن تأليف لجنة علمية في حلب لتنشيط إرسال نجباء الناشئة إلى مدارس أوربا ويضيف الخبر أن اللجنة راحت تعقد جلساتها يوميا (١١٠٠م

وفي عدد أخر خبر عن سعي شبان من حماة لتأسيس (غرف قراءة) يستنير الشعب بما يطالعه فيها من كتب ومجلات وصحف ويضيف الخبر «وقد جادت أيدي الغيورين على الوطن من إخواننا الحمويين بالمال اللازم لإتمام هذا المشروع» (١٠) •

وفى عدد أخر ، خبر عن تأليف جمعية (الإسعاف الخبري في حماة» أيضا ، عرضها إرسال النابغين من التلاميذ الفقراء إلى أوروبا ، لإكمال تحصيل العلوم والفنون (11) .

ويتحدث عدد آخر عن افتتاح مدرسة الحقوق العربية وعن احتفال بذلك الافتتاح خطب فيه السادة نجيب الأرمنازي وفارس الخوري وعيسى اسكندر المعلوف (۱۰) •

حتى أن الشيخ سعيد النعسان \_ مفتي حماة لاحقا \_ أسس وحده ثماني مدارس للذكور والإناث ، في تلك الفترة ، وقد أعجب به الاستاذ ساطع الحصري \_ وزير المعارف في عهد فيصل \_ وقال له حين لقيه مامعناه : أنت وحدي حكومة العثمانية التي لم وحدي مدرستين في حماة (١١١) .

<sup>(</sup>٩) العدد السابع من جريدة (العاصمة) الرسمية وتاريخه ١٠ أذار (مارس) سنة ١٩١٩م · ١٠و١١ العدد الرابع والخمسون من الجريدة المذكورة في ٢٨ ِ أب (اغسطس) سنة ١٩١٩م ·

<sup>(</sup>١١٥١٠) العدد الرابع والخمسون من الجريدة المذكورة في ٢٨ أب (اغسطس) سنة ١٩١٩٠٠

<sup>(</sup>١٣) العدد الخامس والخمسون من الجريدة المذكورة • ونقرا بين اعضائها اسماء السادة : عاكف الجابري مدير المعارف ، ومحمود نديم الحريري مقتش المعارف ، وفاتح المرعشي ، ووجيه المدرس ، وراغب الطباغ •

<sup>(</sup>١٣) العدد السابع والخمسون من الجريدة المذكورة ، وتاريخه ١١ ايلول ـ سبثمبر ـ سنة ١٩١٩م · ومنه نفهم أن المراكز الثقافية الحاضرة والمكتبات العامة في أيامنا ليست بالجديدة علينا ·

<sup>(</sup>١٤) العدد الثاني والسبعون من الجريدة نفسها ، وتاريخه ١٣ تشرين الثاني .. نوفمبر .. سنة ١٩١٩م ، وقد تولى الأرمنازي والخوري التدريس في المدرسة وعرفت فيما بعد باسم (معهد الحقوق) ثم (كلية الحقوق) وماتزال قائمة إلى يومنا ، والدكتور الأرمنازي المذكور هو من أبناء حماة ، وقد تولى في زكن لاق ، إبّان الحكم الوطني ، منصب الأمين العام لرياسة الجمهورية ، أما فارس الخوري السياسي الوطني المخضرم المعروف ، وقد تولى عدة وزارات ورياسة مجلس الأمن في منظمة الأمم المتحدة وأما عيسي إسكندر المعلوف فهو معروف وعضو المجمع العلمي العربي سابقا ،

<sup>(</sup>١٦) الرواية للاستاذ فخري الكيلاني · ولعلها واردة فيما كتبه الحصرى ·

وإلى هذا الحماس لنشر التعليم والثقافة ، أشارت الدكتورة خيرية قاسمية في كتاب لها ، فقالت : إن الأمير فيصل لحظ في أثناء زيارته حمّاة «شعاع نهضة شعبية من أهمّ مظاهرها الاهتمام بنشر التعليم بين أبناء الشعب فاستنهض هِمَم الأهلين لجمع التبرعات من أجل نشر العلم واقتتاح المدارس ، فجمع في جلسة واحدة ٤ ألاف جنيه ذهبية ، ووعد الآخرون بإبلاغها حتى ١٢ ألف جنيه اخرى ، لسدّ هذا النقص ٠٠ (١١) ، والمقصود هو التبرع لإنشاء (دار العلم) ٠

تلك هي الظروف التي سبقت ورافقت ولحقت ولادة (دار العلم والتربية) في حماة ، وكان السبق والريادة لمدرسة حماة التي نهض بها القوم قبل سنة ، أي منذ ١٩١٨م بل منذ عام ١٩٠٨م عام الدستور العثماني وشعار التحرر ، حين أنشأوا مدرسة (ترقي الوطن) التي اغلقت بسبب الحرب وظلوا يحنون لاستعادتها ، كما رأينا ،

بُیْدَ ان مدرسة حماة كانت فریدة فی بابها: فی اسمها، و وتشكیلها، وغرضها، ونهجها كانت اكثر من مدرسة او مؤسسة كبرى، كما سیتضلح من البحث ولم یطلق علیها اسم (دار العلم والتربیمً) عبثًا \*

فقد رأينا كيف تولدت من قلوب وجوه المدينة المجتمعين بالأمير فيصل ، وكيف أقاموها على تيرعاتهم وتبرعات أهل البرّ والإحسان التي توالت على الرّمان وقد انتخب الحاضرون الأولون لها مجلسا عاما من ستة اشخاص أو سبعة ، سُمّي مجلس الأمناء أو هيئة الأمناء وهو بمنزلة الهيئة العامة وهذا المجلس يختار من ذاته رئيسا له وأمينا للصندوق ويختار لإدارة المدرسة هيئة أو مجلسا يسمى مجلس العمدة ، ومن أعضائه مدير المدرسة الذي هو حُكما عضو أيضا في مجلس الأمناء ولم يكن يسمح لأحد بأن يجمع بين أمانة المجلس ووظيفة لدى الدولة ولم يكن الأمناء يتناولون مرتبّات ؛ أي ان عملهم كان لوجه الله والعلم والتثقيف و

أما عن هيئة التدريس ، فكان المدرّس يتناول أنذاك أجرا مقداره عشر ليرات ذهبية فرنسية شهريا ، في حين يتناول المدير أربعين ليرة ذهبية شهريا ويسكن مسكنا في السدار بالمجّان \*

اشتملت الدار على مدرسة حضانة ، ومدرسة ابتدائية وأخرى إعدادية تلاها قسم ثانوي فيما بعد واشتملت أيضا على قسم داخل ليلي • ولكى يتشجع أبناء الأقاليم والأرياف على الالتحاق بالقسم الداخلي ، التحق به نفر من أبناء حماة وفي طليعتهم أولاد السيد نورس الكيلاني على الرغم من أن منازلهم في المدينة (١٨٠٠-وتألفت في الدار فرق رياضية وكشفية وموسيقية ومسرحية ٠ وأنشئت ، فيما بعد ، مكتبة ضمَّت اليها مكتبة شهيرة للسيد نوري باشا الكيلاني نقيب الأشراف وغُذيت المكتبة بتبرعات الأصدقاء ، ومنهم الأمير عمر طوسون وأحمد زكى باشا المصريان اللذان زارا الدار وقدما إليها عددا من الكتب النفيسة • وصارت المكتبة مرجعاً أول لشُّداة الثقافة استفادوا منها كل الفائدة • وبعد أن انتقلت الدار إلى قصر العظم ، باتت قاعاته الأثرية الشهيرة مرادأ وملقى للأشخاص البارزين والوافدين

واتخذت الدار مقرا لها ، بادىء ذي بدء ، في مبنى وسط المدينة يطلّ على ميدانها الرئيسي قريب من النهر العاصي (١) وجهزت بجهاز معجل أتي به من مدرسة الترقي المغلقة ومن جهات آخرى ، ولم تلبث هنا مدة سنتين حتى انتقلت إلى قصر العظم ، وكان القصر في ملكية السيد ناصح المؤيد العظم حفيد باني القصر أسعد باشا العظم ، وكان السيد ناصح مقيما في الخارج وله وكيل في حماة ، وبعد جهود بذلتها هيئة الأمناء مع المالك ووكيله ، أفلحت في شراء القصر سنة ١٩٢٠م باسم مؤسسة دار العلم والتربية ، وعندئذ انتقلت المؤسسة إلى هذا القصر الذي صار يعرف باسم (دار العلم والتربية) أو (دار العلم) اختصارا ، كما قلنا ، ورحب القصر الكبير لاستيعاب مناشط الدار المتسعة ،

<sup>(</sup>١٧) كتابها (الحكومة العربية في دمشق) طبعة ثانية ص ٢٤ وذكرت الكاتبة في الهامش أن فيصلا ذكر هذا الحادث في خطابه في حلب ـ نوهمبر أو تشرين

الثاني سنة ١٩١٨م • وأحالت إلى مؤلّف للأستاذ ساطع الحصري • (١٨) كان من جملة المتحقين بالقسم الداخلي السادة : طالب ورشاد وعادل الحراكي من معرّة النعمان • وسيّد من آل البلّاني • كما يذكر زميلهم السيد فخري بن نورس الكيلاني • كما يذكر زميلهم السيد فخري بن نورس الكيلاني • .

سبري بن سيب مسلم. (١٩) هو مبنى السيد حقي العظم ، وكان مرهونا لدى السيد احمد أغا البرازى · فافتكت هيئة الامناء الرهن وشغلت المبنى · وقد عرف فيما بعد باسم (فندق العاصي) وهو يقابل الآن مبنى فندق أبي الفداء الشهير ·

وقد راينا أن أول رئيس للامناء كان السيد نورس الكيلاني المبادر الأول الذي فاتح الأمير فيصل في شأن المؤسسة وظل رئيسا مدة أشغاله لمنصب المفتي فالمتصرف خلفاً للسيد بدر الدين الكيلاني في حماة (۱۰) م ثم لمنصب متصرف دمشق ، وحتى وفاته سنة ١٩٣٤م وتولى أمانة الصندوق الحاج أحمد المنشوق الذي ظل في منصبه طوال حياته ، لمكانته في عالم التجارة وكانت اجتماعات الأمناء الأولى تعقد عنده .

وأول من تولى إدارة المدرسة المعلم السيد توفيق الأحدب وقام بتدريس العلوم فيها وأزره الشيخ محمود جميل العباس بتدريس اللغة العربية والشيخ محمود العثمان بتدريس الأمور الدينية وبذل السيد الأحدب جهودا كبيرة للنهوض بالمدرسة ثم تركها بعد أشهر لمتابعة دراسة الهندسة الزراعية في فرنسا (۱۱) فخلفه السيد عمر ترمانيني (۱۱) ثم حمل الراية الدكتور الشهيد صالح قمباز وكان قد أنهى دراسة الطب في تركيا وعاد إلى حماة تَمُور في رأسه أفكار عن التقدم ومشروعات الإصلاح وكان أحد أمناء مؤسستنا وكذا عاد الدكتور توفيق الشيشكلي طبيب العيون من (زحلة) ليساهم في النهضة الوطنية و

رأى الدكتور قمباز في المؤسسة \_ وفي المدرسة على التخصيص \_ مجالًا عظيما لتثقيف الناس بالعلم والعرفان والثقافة القومية • فأكبّ على مهمته وبنل لها كل جهوده • وانشأ جمعية كشفية ، واخرى مسرحية وثالثة تعاونية للطلاب • وراح يبث تعاليمه في نفوس الطلاب ، وحتى في نفوس أبناء المدينة من خلال الحفلات التي يحضرونها بدعوة من المدرسة • وقد قصد فرنسا لاستكمال معارفه الطبية • وهناك كان يهتم بكل ما يفيد المؤسسة ، ويتصل بالساسة الفرنسيين ويدافع عن المقضية العربية • واستقدم من فرنسا الوسائل الحديثة لدار الحضانة والأدوات المخبرية للمدرسة ولما عاد ظلت الدار والمدرسة ديدنه ، إدارة وتدريسا • كان مثالًا رائعا في كل شيء رفع ذات يوم بين إصبعيه بقيةً من قلم

رصاص من نوع (الكوبيا) عليه الوان العلم العربي ، وقال لطلابه : «هذا القلم عمره خمس سنوات» ، موحيا \_ وهو الطبيب \_ بدرس في الاقتصاد للأمة الفقيرة التي تريد النهوض ، حين لم يكن لحرمة الأقلام الكاملة ثمن يذكر • ورأى مرةً حَوْجَلةً مكسورة من الأدوات المخبرية فغضب ، وراح يسئل عن كاسرها • ولما عرفه أصر على الزامه بجلب بديل عنها من اوروبا •

لذلك ، لا غرو أن تضيق السلطة الفرنسية ، المستعمرة ، بالمؤسسة وبالدرسة وأن تسعى لإلغائها ومثلما ضاقت بحكومة الاستقلال العربية الأولى وتذرعت بذرائع لتدخل البلاد وتقضي على استقلالها ولكن متصرف حماة ، وراعي المؤسسة الأول ، السيد نورس الكيلاني ، كان يحميها من تهجم الفرنسيين و بل كان يدعمها بما يستطيع من نفوذ و ومن ذلك أنه ، بسبب منصبه ، عمل على تحويل سوق صغيرة من ملكية الدولة إلى ملكية (دار العلم) معروفة باسم (سوق المعارف) موقعها في منطقة (الحاضر) شرقي النهر . وتضم عددا من المخازن ، وكانت المؤسسة تستفيد من ربعها ومن ربع عقارات أخرى تملكتها في مواضع مرموقة من المدينة وعقارات أخرى تملكتها في مواضع مرموقة من المدينة و

ولم يطل عمر الدكتور قنباز ، هذا الرائد العظيم ، فسقط شهيد الثورة السورية سنة ١٩٢٥م • وعرف مواطنوه مقدار الخسارة بفقده ، فبكوه ، وتداولوا صوره وطبعوها على الدفاتر والكتب المدرسية • وما تزال إحدى المدارس تحمل اسمه حتى اليوم • واختار الأمناء أمينا جديدا ، بديلًا عن الدكتور الشهيد ، أخاه الصيدلاني السيد عبدالحميد قنباز ورئيسا للعمدة الدكتور توفيق الشيشكلي زميل الدكتور الشهيد ·

وبعد الثورة تولى إدارة المدرسة التاجر والصحافي المتنور السيد عبدالرزاق الأسود صاحب جريدة (الشعب) ثم خلفه السيد راشد طبارة من بيروت ، ولم يطل به العهد لما لقي من مضايقة بسبب شدته وبعده استسمى السيد نورس الكيلاني الذى غدا متصرفا على

<sup>(</sup>۲۰) كان السيد بدر الدين قد توجه الى بيروت العالجة مرض عضال المّ به ٠ وهناك طلبه الجنرال الفرنسي (غورو) أن يجتمع به ، وبحدد له موعدا ٠ ولم يلبث أن توني ٠ فخلفه السيد تورس في منصب المتصرف عام ١٩٢٠م (من معلومات السيد فخري الكيلاني) ٠

<sup>(</sup>٢١) التحق الأحدب بوزارة الزراعة بعدئذ ؛ وشغل فيها مناصب عالية ، منها التقتيش والأمانة العامة للوزارة •

<sup>(</sup>٢٢) كذلك حصل الترمانيني على شهادات زراعية ، والتحق بوزارة الزراعة ، وأدار بنشاطٍ معاهد زراعية وأصدر مجلة (الزراعة الحديثة) ٠

دمشق ، لإدارة المدرسة ، الأديب المربّي الشاعر الاستاذ عمر يحيى (٢٠) • فاتخذ هذا من المدرسة سكنا له • ولم يكتف بالإدارة ، بل زاول التعليم ، وعلم أكثر الدروس العربية ، والفرنسية ، والعلوم ، حتى الرياضة البدنية • وظل في مهماته أربع سنوات رائدا ثانيا وجنديا في سبيل الواجب ، كما كان شأنه طوال حياته •

وقد توالى على الإدارة والتدريس في المدرسة كثيرون من الرجال المعروفين في سوريا ولبنان وغيرهما من البلاد العربية ، نذكر منهم السبيد سرّى الأتاسى ، من مدينة حمص وابن رئيس الجمهورية السورية الأسبق السيد هاشم الأتاسى • ومنهم الأديب والمربّى المعروف السبيد عبدالله المشنوق ، من بيروت ، وصاحب جريدة (بيروت المساء) ، وهو من أصل حموي ، وقيل إنه كان متشددا في شروطه على مجلس الأمناء ٠ ومنهم المجاهد الكبير المعروف السبيد عثمان الحوراني ، وكان يدرّس التاريخ والجغرافيا • ومنهم الشيخ أمين الكيلاني (٢١) وكان يدرّس العربية • ومنهم السيد أحمد الأوبرى الموسيقيّ من حلب ٠ وقد درس الموسيقى ، وألَّف فرقة موسيقية منه ومن الشيخ أمين الكيلاني مدرس العربية نفسه ومن السيد توفيق حمدون مدرّس الموسيقي بعدئنا في مدارس حماة ، ومن السيد هاني الكيلاني بن نوري باشا الكيلاني نقيب الأشراف وهو الذي قدم مكتبة والده فرري باشا فضمَّت إلى مكتبة الدار - على ما تقدم ﴿ يَ وَمِنْهُمْ السبيد عادل العلوائي ، وكان يدرَّس اللغة الفرنسبية﴿ إِنَّ وَ

وقد تتلمذ في مدرستنا وتخرج منها أفراد شغلوا مراكز كبرى في مستقبل حياتهم ومنهم على سبيل المثال والسيد أكرم الحوراني السياسي المعروف والعقيد أديب الشيشكلي حاكم سوريا الفعلي في أوائل الخمسينات من قرننا العشرين والدكتور رفيق الفرّا أستاذ العلوم في جامعة دمشق والدكتور عبدالعزيز العثمان أستاذ التاريخ ومدير (دائرة التأمين والمعاشات) في سوريا سابقا والاستاذ فخرى الكيلاني والمعاشات)

في هذه الدراسة ، والمدرّس للغة الفرنسية في الثانويات من قبل ·

هذه هي مؤسسة (دار العلم والتربية) الفريدة وانشاها أهل البرّ ومحبّو العلم والتعليم وعاشت بجهودهم وجهود من ساهموا فيها وعلى تبرعاتهم والتبرعات المتصلة وعلى أقساط الطلاب وثمرات أملاكها العقارية وظلت أيدى وجوه من مدينة حماة وسواها تتوالى عليها وإشرافا وإدارة وتدريسا وكانت تطبع في كل عام صورة عن (ميزانيتها) تنشرها في الناس.

لم تكن ملكا لشخص ، ولا للحكومة • ولم تكن تابعة لأي جهة حكومية • ولم يدّع أحد ، لا في السابق ولا في اللاحق ، أنه مالكها أو أنه وارث لمالك لها • كانت وظلت ملك الأمة • وكأني بمجلس أمنائها ، الذين كانوا يدفعون من أموالهم ولايتناولون أجرا ، أشبه بمجلس سوفييتي أثا ويقينا أنه لم يستوح أحد من المؤسسين أي فكرة من الثورة الاشتراكية السوفييتية ، لأن الثورة المذكورة التي قامت سنة ١٩١٧م كانت ماتزال وليدةً تحبو عندما برزت فكرة (دار العلم) في حماة سنة ١٩١٨م • ولم تكن أصداء التطبيق الاشتراكي في الدولة الاشتراكية الأولى قد بلغت مسامعنا • ومن المؤكد أيضا أن الذين أسسوا الدار ونهضوا بها لم يكونوا يدينون بالاشتراكية ، فهم إما أهن الملاكين الزراعيين وإما من التجار •

هذا الطراز الفريد والرائد من ملكية الأمة نشأ طواعية ولم ينشأ قَسُرا ـ وبين الحالين فرق كلي ـ فلم تُنتزع أملاك أو تُصادر ، ولم يحدث عنف ، في سبيل تكوين هذا الشكل من ملكية الأمة •

وقد حاوات الحكومة ، في بعض الظروف ، أن تضع يدها على المؤسسة ، في غمرة الصراع بين الأمة المناهضة للمستعمر والفئات الداعية إلى التفاهم معه • فعندما

<sup>(</sup>٢٣) من رجال الأدب والتربية المعروفين - درّس الآداب واللغة العربية في ثانويات متعددة · وأصبح مديراً للتربية · أقام شطراً طويلاً من حياته في حلب تُتَلَّمَذُ له آلاف الطلاب ·

<sup>(</sup>٢٤) هو والد السيد هيئم الكيلاني رئيس التحرير حاليا في مجلة «شؤون عربية» التي تصدرها الجامعة العربية ٠

ر (٢٥) وقد أصبح محامياً ثم قاضياً شرعياً أول في دمشق ·

<sup>(</sup>۲۱) كلمة (سوفييت) تعني لجنة ٠

أصبح السيد حسني البرازي وزيرا للمعارف سنة ١٩٣٤م ألغى مجلس الأمناء ومجلس العمدة الأهليين (٢٧) وكان السيد نورس الكيلاني قد انتقل إلى جوار ربه ٠ والف الوزير المذكور مجلس أمناء جديدا : من أقراده الحاج أحمد المشنوق أمين الصندوق الدائم ، والصيدلاني السيد عبدالحميد قنباز ، والمالكين الزراعيين السادة فريد العظم ومخلص الكيلاني ورفقي طيفور . وعين هذا الأخير رئيسا لمجلس الأمناء ، كما عين السيد مظهر الكيلاني مديرا للمدرسة (١١) ٠

ولكن ، عندما تألفت الحكومة الوطنية غب عقد معاهدة بين الوطنيين والفرنسيين سنة ١٩٣٧م ٠ احتج أهل المدينة ، لدى وزير المعارف الجديد الدكتور عبدالرحمن الكيالي ، على افتئات السلطة السابقة وعدوانها ٠ فألغى هذا الوزير مجلس الأمناء المعين ، وكلف محافظ حماة أن يدعو المؤسسين الذين مازالوا أحياء إلى معاودة تسنَّم العمل وفق نظام المؤسسة (١١) • واختير السيدان رفقي طيفور وجميل البارودي لإكمال نصاب الأمناء بدلاً من المرحوم نورس الكيلاني ومن السيد توفيق الأحدب الذي عُدُّ مستقيلًا بسبب إشغاله وظيفة لدى الدولة خلافا لنظام المؤسسة الذي يرفض الجمع بين الأمانة والوظيفة • واختار مجلس الأمناء المجدد الدكتور توفيق الشيشكلي رئيسا له • وكان زعيم (الكتلة الوطنية) في حماة ٠

ولم يطل عهد الازدهار ، رغم إعادة الأمور إلى نصابها بذلك التدبير الجديد • فقد تُعاوَرَتِ المؤسسةُ صروفً الدهر ، وتخَرَّمُ رجالُها واحدا بعد آخر ، واخذ الإشعاع يخبو · وفترت حماسة الرجال التالين · ولعله من قوانين الرجود أن الجماعات التالية ، في أكثر المؤسسات ، لا تكون على مثل حماسة الطلائع الأولى واهتمامها!

وألت مقاليد مؤسستنا إلى الباقي على قيد الحياة من رجالها القدامي ، وهو الناظر ثم المعلم السبيد احمد الوتار وتدارس هذا والعقيد أديب الشيشكل \_ ابن المدرسة \_ أمر تحويل قصر العظم إلى ملكية الدولة • ولكن الشيشكلي نَحَى عن الحكم عام ١٩٥٤م قبل تنفيذ الفكرة وفي عام ١٩٥٦م اشترت الإدارة العامة للمتاحف

والآثار السورية قصر العظم بثلاثمئة الف ليرة سورية فقط ، وهو مقدار قد يبدى غير بخس إذا قورن بأثمان العقارات في ذلك الزمن ، ويُعدُّ بخسا بالقياس إلى القصر ومكانته التاريخية وارتباطه بالمؤسسة المحكي عنها ٠

واتخذت المؤسسة دارا جديدة من الأبنية الحديثة المألوفة ، الخالية من الرونق والبهاء ، تقوم عند مدخل حماة الجنوبي في طريق المسافرين إلى حمص ٠ حتى هذا البناء ، حدث تنازل عنه أيضا إلى وزارة التعليم العالي السورية كي تقيم فيه كلية للبيطرة ، أملًا في استفادة المواطنين منها (٢٠) واستعاضت المؤسسة عنه مكانا قصيًّا في طرف المدينة · وتقاصر ظلُّها كثيرا ، وخمد صيتها ، ولم يبق لها شأن يذكر ٠ وعملها اليوم منحصر في دار حضانة بسيطة ٠ ولها هيئة امناء قائمة منذ سنة ١٩٨٣م • وبعض الأمناء كان \_ ولعله مايزال \_ من الموظفين لدى الدولة ، خلافا لمبدأ المؤسسة الذي يحظر الجمع بين الوظيفة والأمانة ٠ ولا ندري الطريقة المتبعة حديثًا في اختيار الامناء ، وما عساهم يفعلون بعد تقهقر المؤسسة • أما المكتبة ، فلم تبق مُسْتُراداً لرواد المطالعة والثقافة الذين كانوا يعبون منها ومن موسيقى النواعير السُّجية وخرير المياه المتدفقة في قنواتها -

هكذا قضي على المؤسسة الجليلة النادرة • وما كان لأحد أن بيتنازل عنها وعن مقرها \_قصر العظم \_فهي وهو ملك الأمة الله وإذا قيل إن الأنظمة تسمح لإدارة المتاحف والآثار بأن تستملك ما تراه ذا قيمة أثرية وتستبقيه متعة للمشاهدين ، وإن الحال واحدة في ملكية الدولة وملكية الأمة ٠٠ إذا قيل هذا ، فجوابه هو أنه لايجوز لأحد ــ مهما كان شأنه - أن يتنازل عن ملكية الأمة إلى الدولة ، وعلى الأخص بعد تناثر عقد الأمناء المؤسسين • وإن ثمة فرقاً صارخاً ، حقوقياً وسياسيا واجتماعيا ، بين ملكية الأمة وملكية الدولة ، وهما ملكيتان يحصل الخلط الشديد بينهما ، ويا للاسف ! ٠٠٠

وقد كان الاصح ان يبقى القصر في ملكية الأمة ، وان يفتح الزائرين ، وهو في الحقيقة لم يكن مغلقا في وجوههم "

<sup>(</sup>٢٧) بموجب الأمر الوزاري ذي الرقم ٢٤٠٦/١٤٠ والتاريخ ٢٠/٨/٣٠م • وكذا الأمر الوزاري ذي الرقم ٢٥٨٤/١٤٩ والتاريخ ٢٧/٩/٤/م (٢٨) وقام ايضا بتدريس العربية والفرنسية واصبح بعدئذ قاضيا وتدرّج في القضاء حتى صار نائبا لرئيس محكمة النقض

<sup>(</sup>۲۹) قرار الوزیر برقم (۷/۲۹ه) وتاریخ ۱۹۳۷/۱۲/۲۹م ۰

<sup>(</sup>٣٠) وفق تصريح الأديب السيد وليد قنباز ، مدير المؤسسة منذ سنة ١٩٨٣م ٠

وبعد يظل البحث أبتر إذا لم يلحق به نبذة عن القصر.

قلنا إن القصر أمر ببنائه أسعد باشا العظم يوم كان متسلّما لحماة • وذلك في سنة ١١٥٢هـ حسب ما هو ثابت على جدران قاعته الرئيسية • وهي توافق سنة ١٧٤٠م (٣) •

ثم أمر ببناء صِنْوَه في دمشق ، بعد أن انتقل اليها وذلك سنة ١٧٥٠م (٣٦) • وجدد بناء القصر الحموي نصوح باشا العظم سنة ١٩٩٤هـ • حسب ما هو مثبت ايضا في جدران القاعة •

ويفترق القصران بعدة فوارق ، فقصر حماة يقوم بجانب النهر بين المغاني والبساتين والنواعير التي تغرّد من حوله ، وحجارته أصلب ، وبناؤه موحد في الطراز ، لا يندّ عنه إلا عمود من أعمدة الرواق المفضي إلى القاعة يُشكُ في تجانسه وبقية الأعمدة ، أما قصر دمشق ، فهو أوسع ، ويقوم بين الأسواق المتفرعة عن سوق الحميدية خلف الجامع الأموي ، وحجارته أقل صلابة ، ولذا بدا عليه التأكل ، وهو يفتقر إلى وحدة الطرز ، لأنه يضم حجارة ومنحوتات ومنقوشات مختلفة منتزعة من أبنية أخرى ، ولكنه أجمع للسائحين ، لقيامه في العاصمة ، وهو اليوم متحف للتقاليد الشعبية ،

يتألف قصر حماة ، أو دار العلم ، من قبو ودور أول أرضي ودور ثان علوي ، ويشتمل على عدر من الغرف والاقنية والأواوين ، وفي الدور الأول غرف الصنفوف الدراسية (الفصول) والطعام والمناشط الأخرى الرياضية الكشفية والمسرحية والموسيقية ، والمكتبة ، وفي الفناء بركة يصب فيها الماء من نوافير على هيئة سباع ، وشجرة «ملونيا» أو «متوليا» – نادرة ضخمة معمرة يعود تاريخها إلى ما قبل إنشاء دار العلم ، وما تزال قائمة إلى يومنا ، والشجرة يتيمة في المدينة أو كاليتيمة ، لامثيل لها إلا شجيرة من نوعها غرسها أحد الوجهاء في حديقته وترتبط شجرة دار العلم بتقليد لازمها السنوات الطويلة ، ذاك أنه عند تفتح أزهارها الكبيرة الرائعة الفاغمة ، كانوا يقدمونها هدايا إلى الأمناء والعمد وقد أبطل في الزمن الأخير هذا التقليد الحسن ، وقد أبطل في الزمن الأخير هذا التقليد الحسن ،

أما الدور الثاني ، فيتألف من فناء وغرف ، ومن رواق على أعمدة ، أمامه بركة ليست بذات زخارف تشدّ النظر والرواق يفضي إلى قاعة رئيسية كبيرة شهيرة هي أجلً وأجمل ما في القصر ، تضمّ طُرفا من الفنّ في البناء والنحت والنقش والخط والرسم • وهي في الحقيقة ثلاث قاعات أو ثلاثة أجزاء ، ولكنها عرفت بالقاعة اختصارا •

يقتح باب القاعة الرئيسي على إيوان أرضه من الرخام رفعت فيها أعمدة حجرية ورخامية ثمينة يعتمدها السقف وتستقبل الداخل إلى الأيوان فسقية رخامية في عتبته تتوسطها فوّارة رخامية من حجر واحد حفرت فيه أنابيب متعددة يندفع منها الماء بقوة وتَشَّأبكِ فيلوح كأنه ثريا من البلّور تكسرت عليها أشعة الشمس \*

ويرتفع عن الإيوان قليلاً ، عن يمين ويسار ، جناحان أو قاعتان ثانويتان متقابلتان مبنيتان بالحجر الرخامي الملون الموشح بالجبس الذي وشاه الذهب والأصباغ وتفتح نوافذ القاعتين على النهر العاصي والحدائق والمغاني والنواعير المجاورة وفوق الجدران ، نقشت أيات واحاديث وأشعار ورسوم هندسية عربية وأزهار وفواكه ؛ إلى جانب مناظر طبيعية ، منها منظر القرن الذهبي في استانبول (أو إسلامبول) ومنظر لمدينة حلب لوقاعتها الأثرية وفي طرف القاعة الغربي ، مخدع أو منظرة تسمى (الكشك) تطل على فناء الدار السفل وشجرة الملونيا الأخاذة ،

ومما يجلب نظر المتأمل في جدار القاعة الخارجي ، أن الملاط الذي يمسك حجارته هو من مادة الرصاص المسكوب بدلًا عن الكلس والجبس أو عن الاسمنت الذي لم يكن معروفا في القديم -

ولا يحسبن القارىء هذه الصورة للقصدر راهنة ، إنما هي من الماضي ، وقد حالت بتطاول الزمان والحدثان عليه وعلى «سوق المعارف» وبات القصر ولا سيما قاعته ، محتاجا إلى الترميم والأصلاح ، وهو يستحث همم المغيورين على التراث والأثر ، ولا بدّ لذلك من رصد مال واف ، ومن الاستعانة بأهل الخبرة في التاريخ والفن ،

فهل من مُصْغ ِ ؟ وهل من مُجيب ؟

رد التاريخ الميلادي على لسان مدير لآثار في حماة الأستاذ عبدالرزاق زقزوق • ولكن وزارة الساحة ذكرت في نشرة لها انه ١٧٤٢م • وهذا خطأ ناشيء عن تحويل التاريخ الهجري الى الميلادي •

عن تحويل التاريخ الهجري الى الميعدي الله الميعدي الله المعادر (دمشق تاريخ وصور) الصادر (٢٢) حسب تصريح الأستاذ زقزوق المذكور وفي نشرة وزارة السياحة أنه سنة ١٧٤٩م وكذا كتاب الدكتور الشهابي (دمشق تاريخ وصور) الصادر

التاريخ مهم في تكوين الوعي وفي التوجيه نحو الوحدة ، وفي تخطي الكثير من السلبيات



F































م ر محقیق ت کامیتو کر علوم برس روی









اضواء على العلاقات السوفيتية بدول اوربا الشرقية

الدكتور عبداللطيف حسن الرميحى رئيس قسم الدراسات العامة جامعة البحرين



# اضواء على العلاقات السوفيتية بدول اوربا الشرقية

ان طبيعة العلاقات التي تربط الاتحاد السوفيتي بدول أوربا الشرقية طبيعة معقدة ، تتداخل فيها اعتبارات سياسية واقتصادية واجتماعية ، وفوق كل هذا وذاك اعتبارات استراتيجية تحكمها المصالح الضخمة للاتحاد السوفيتي في القارة الاوربية ، وهي المصالح التي قدم الاتحاد السوفيتي من اجلها تضحيات جسيمة خلال الحرب العالمية الثانية ٠ لقد استحوذت العلاقات التي تربط الاتحاد السوفيتي بالدول الصغري في حلف وارسو على اهتمام العالم في السنوات الاخيرة نتيجة لظهور اتجاهات تحررية في واحدة من اكبر دول المنظومة الاشتراكية حجما ونفوذا ، وهي بولندا التي سمى الحلف الدفاعى الذى يربط الدول الشيوعية باسم عاصمتها ٠ لقد ادى ظهور نقابة العمال تضامن تحت دائرة الضوء ووصول كاردينال بولندى الى منصب البابوية الى تساؤلات عديدة وجادة في الاوساط السياسية والصحفية حول مستقبل العلاقات بين هذه الدولة الاشتراكية ودولة القيادة الاتحاد السوفيتي ٠

ان التطورات التي أثارت الاهتمام في بولندا تدعونا لمحاولة تسليط الضوء بصورة اعمق على الخط الذي اختطته العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وجيرانه من دول اوربا الشرقية منذ منتصف الخمسينات ، مركزين ، بشكل خاص ، على الاحداث التي وقعت في اربح دول اوربية شرقية هي : هنغاريا ، بولندا ، ورومأنيا ، وتشيكسلوفاكيا ، والتي سببت ، بلاشك ، شرخا خطيرا في مسار العلاقات بين دول المنظومة الاشتراكية بعضها مع بعض وبين هذه الدول والاتحاد السوفيتي .

# أزمة في هنغاريا :

ارتبطت هنغاريا بعلاقات وثيقة بالاتحاد السوفيتى منذ وصول الشيوعيين الى السلطة فيها في اعقاب الحرب العالمية الثانية ولكن عام ١٩٥٦ جاء ليخلق تصدعا في هذه العلاقات ، الامر الذي فرض على الاتحاد السوفيتي اتخاذ اجراءات صارمة تجاه الاحداث التي وقعت في اراضي جارته الغربية وفي اواخر فبراير من عام المنغارية بودابست بشكل غير عادى ، عصفت بالعاصمة الهنغارية بودابست بشكل غير عادى ، عصفت بالعاصمة من اقصاها الى اقصاها صبت فيه الجماهير جام غضبها على التمثال الضخم للقائد السوفيتي الشهير ، جوزيف ستاليز حيث أحالته الى حطام متناثر الاوصال (١) ولكى نتفهم دوافع الجماهير الكامنة وراء ذلك العمل

الخطر لابد لنا من التذكير بان هنغاريا كانت قد ذاقت الامرين من جراء السياسات المتشددة التي طبقها الاتحاد السوفيتى فيما يتعلق بالحريات العامة واستقلالية القرار السياسي ابان فترة حكم جوزيف ستالين • ولكن الفترة التي تلت نهاية حقية حكمه شهدت تراجعا ملحوظا عن السياسات التي كانت قيد التطبيق في الاتحاد السوفيتي ٠ وفي الفترة ما بين ١٤ \_ ٢٥ فبراير من عام ١٩٥٦ ، انعقد المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفيتي وسط ظروف غير عادية ٠ وخلال جلسات المؤتمر ، القى سكرتير الحزب الشيوعينيكيتا خرتشوف الذي كان قد خلف ستالين ، خطابا شهيرا كرسه للهجوم على ستالين واعماله ومنجزاته وما اسماه بمبدأ عبادة الشخصية الذي خلقه وعززه ستالين على مدى مايقارب ثلاثين عاما (٢) ٠ لقد هاجم خرتشوف كل ما هو ستاليني ونسب كل الاخطاء والتراجعات التي شهدها الاتحاد السوفيتي خلال السنوات التي سبقت حكم خرتشوف الى سياسة ستالين ، الرجل الذي بني الاتحاد السوفيتي بالنار والحديد (٣) - أما في هنغاريا فقد تلقت الجماهير انباء خطاب خرتشوف بكثير من الغبطة والابتهاج وكان اندفاعها الى الشوارع مؤشرا الى النوايا التحريرية التي سيطرت على عقول المواطنين المجريين ٠ وابعد اقل من شهر من اختتام الحزب الشيوعي السوفيتي لؤتمره الشهير ـ والذي على ضوئه سادت دول المعسكر إلاشتراكي معطيات جديدة اضرت بوحدة هذا المتسكر لل واحديدا في ١٢ مارس من عام ١٩٥٦ عقدت اللجنة المركزية الحزب العمال الهنغارى (الحزب الشيوعى الحاكم في هنغاريا) اجتماعا خاصا لتدارس قرارات وتوصيات مؤتمر الحزب الشيوعي السوفيتي ٠ وقد استمعت اللجنة المركزية الى تقرير اعده سكرتيرها الاول ماتيوس راكوسى الذي كان قد ترأس الوفد الهنغارى الى مؤتمر الحزب الشيوعي السوفيتي حيث عرض للقرارات التي اتخذها المؤتمر وتحدث عن الدروس والعبر المستقاة من روح هذا المؤتمر الشهير ٠ وقد اكدت اللجنة المركزية ف ختام اجتماعاتها على مصادقتها على ماتم اتخاذه في المؤتمر ، واكدت تأييدها لكل القرارات نصا وروحا ٠ وبعد ايام من اجتماع اللجنة المركزية خطت السلطات الهنغارية خطوات اخرى التعبير عن التزامها بروح المؤتمر العشرين بان قررت اطلاق سراح عدد من المسجونين السياسيين ممن كانوا قد اعتبروا اعداء للحركة الشيوعية في هنغاريا ممثلة في حزب العمال الهنغاري الحاكم (٤) ٠

لقد كان المحللون السياسيون جازمين بان بيان اللجنة المركزية سيفتح الباب على مصراعيه لمزيد من الاجراءات

الليبرالية في المجتمع الهنغاري وهذا ما حدث بالفعل اذ ظهرت مرجة قوية من المطالبات ، اشتركت فيها قطاعات مختلفة من المجتمع ، تدعو كلها باتجاه تمرير مجموعة من التشريعات الجديدة الخاصة باطلاق الحريات العامة ومن بينها حرية الكتابة والتعبير • ففي ٣٠ مارس ١٩٥٦ عقد المؤتمر العام للاتحاد العام للكتاب الهنغاريين الذي خرج بتوصية بالسماح بحرية أوسع للكتاب للتعبير عن أرائهم • وعلى الفور انعكست توصية المؤتمر على الصحافة الهنغارية التي بدأت بنشر مقالات سياسية تنطوى على نقد للوضع السائد في البلاد في ظاهرة الم تعرفها هنغاريا من قبل منذ استلام الشيوعيين للحكم فيها •

وفي الواقع فان احدا لم يسلم من هذه الموجة الانتقادية ، حتى زعيم الحزب الحاكم ماتيوس راكوسي \* وقد اوتى راكوسى شجاعة بالغة عندما اقر بان ممارسات الحزب قد سادها بعض الاخطاء في الماضي ، وإن النية تتجه نحو اصلاحات حقيقية في الخط العام للحزب وسياساته ١٠ لكن راكوسي في الوقت ذاته حذر من أن بعض القوى اليمينية تنتهز الفرصة للتهجم على انجازات الحزب والتقليل من كل نجاح حققه النظام الحاكم • وفي مافهم على انه هجوم مضاد ، هاجم راكوسي اتحاد الكتاب قائلا: أن بعض الكتاب استغلوا جو الحريات المتاحة وانطلقوا من شعار حرية النقد للتعبير عن معاداتهم لايديولوجية الحزب الحاكم وبث الفرقة بين صفوفه (٥) الا أن حملة راكوسي المضادة لم توقف مسان آلفناخ التحرري الذي بدأ يسود كافة الاوساط في هنغاريا - وقد ظهرت موجة جديدة من المطالبات تنادى بوضع حد لعزلة هنغاريا عن باقى دول العالم المختلفة ، وبخاصة الدول الغربية • كما تمت المطالبة في الاوساط المثقفة بضرورة الانفتاح على الثقافات المختلفة ، وتأسيس علاقات ثقافية مع دول الغرب وتوزيع الكتب والمطبوعات الصادرة في

كان واضحا لراكوسى - الذى تحمس فى البدء لقيام اصلاحات فى الحزب والحكومة - ان زمام الامور يكاد يفلت من يده وخصوصا بعد ظهور زعيم للمعارضة وهو ايمر ناجى الذى بدأ يكتسب شعبية كبيرة .

الدول الغربية في هنغاريا ٠

ورغبة من الحزب في التصدي للحملة الشعبية المضادة فقد عقدت اللجنة المركزية للحزب اجتماعات مطولة وخرجت ببيان الى الشعب الهنغاري دعته فيه الى وضع ثقته في الحكومة التي لازالت متمسكة بالمبادي والقرارات التي تبناها المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفيتي وقال بيان الحزب ان الحكومة ملتزمة التزاما قاطعا بما سبق وان اعلنته بخصوص رغبتها في

الاصلاح والتغيير، وانها بصدد اقرار مجموعة جديدة من الاصلاحات الحقيقية (٦) ·

ولكن الامور في هنغاريا سارت على غير ما توقعه الحزب واراده ، اذ ان كل محاولاته لاحتواء التطورات التي بدأت هنغاريا تشهدها ، أخذت تسير نحو الفشل وقد خرج نطاق المهارضة عن المطالبة ببعض الاصلاحات عندما أصبح الحزب الحاكم ذاته محل نقد وتساؤل وفي ظروف كهذه ، اتجهت الحكومة والمعارضة نحو صدام مباشر ، الامر الذي حتم اجراء تغييرات داخل مؤسسة الحزب ذاته و

في ١٨ يوليو ١٩٥٦ قرت اللجنة المركزية لحزب العمال الهنغاري تنحية راكوسي عن زعامة الحزب وعينت ايرنو غيرو خلفا له ٠ وكان الحزب الحاكم يأمل من وراء خطوته هذه ، ان ينجح في امتصاص النقمة الشعبية المتزايدة ٠ وقد اعتبر المراقبون ماتيوس راكوسي كبش الفداء الذي قدمه الحزب من اجل انقاذ نفسه والمحافظة على وجوده في السلطة ٠ الا ان التغيير الجديد لم ينقذ الحكومة الهنغارية من المعضلة التي كانت تمر بها وذلك بدخول قطاعات جديدة من الشعب الهنغاري في تيار المعارضة ٠ فقد انضم اتحاد الطلاب الهنغاري وهو من الاتحادات القوية الى قائمة المطالبين بالاصلاحات • وبعد سلسلة الجتماعات عقدها الاتحاد خرج بيانه الختامي بمطالبات «واديكالية» · فقد طالب اتحاد الطلاب الهنغاري الحكومة باتخاذ اجراءات فورية لتأمين انسحاب القوات السوفيتية من الاراضي الهنغارية ، والتحضير لانتخابات ديمقراطية سرية ٠ كما طالب الطلاب حكومتهم بضرورة السماح للاحزاب السياسية الاخرى ، من غير الحزب الحاكم ، بتنظيم نفسها واعطائها الشرعية المطلوبة لمارسة العمل السياسي على قدم المساواة مع حزب العمال الهنغاري · وقد ادى هذا البيان «الخطير» الى ردود فعل قوية في الشارع ، اذ انطلقت المظاهرات على الفور في مدن عديدة وبقوة كبيرة في بوادبست حين هاجم متظاهرون قدر عددهم مائتى الف متظاهر ، مبنى الاذاعة رغبة في احتلاله تمهيدا لاذاعة بيان الى الشعب حول الاوضاع السيئة التي تمر بها البلاد ١ الا أن قوات الامن لجأت الى اطلاق الرصاص لتفريق المتظاهرين ورقف هجرمهم (٧) ٠

وفى موجة من الحماسة الوطنية وبتأييد من جميع القوى الفاعلة في الساحة بما قيهم بعض الجماعات الشيوعية تنحى ماتيوس راكوسى عن رئاسة الوزارة لصالح ايمر ناجى الذى اصبح رئيسا للوزراء في هنغاريا (٨) ١ الا ان سكرتير الحزب الحاكم ايرنو غيرو وجد في ناجى منافسا خطيرا لنفوذه ، ومع ذلك كان اعجز من ان

يتخذ اى اجراء ضده بالنظر للشعبية العارمة التى تمتع بها الرجل ولذلك لم يجد غيرو اى بديل سوى طلب العون من الاتحاد السوفيتى للمساعدة على حل المشكلة سياسيا او عسكريا وكان الاتحاد السوفيتى قد بدأ يدرك عمق المعضلة التى أخذ الجزب «الشيوعى» فى هنغاريا يعانى منها ، مما دفعه الى الاستجابة فورا للطلب الذى تقدم به غيرو ، بان ارسل عضوين بارزين من الحزب الشيوعى السوفيتى وهما ميكويان وسوسولوف لتدارس الوضع فى هنغاريا واقتراح ما يمكن القيام به وكخطوة اولية اقترح المبعوثان السوفيتيان القيام ببعض الاجراءات الاصلاحية داخل جسم الحزب ، وعلى رأس هذه الاجراءات استبدال غيرو بقائد آخر هو جانوس كادار الذى كان السوفيت يؤمنون بقدرته على التعامل مع الزمة فى هنغاريا بمستوى المسئولية (٩) .

وفي الجانب الآخر كان ناجى الذي كان يأمل في ان يستفيد من الزخم الشعبى لتمرير سياساته الاصلاحية ، بدأ يواجه مشاكل حقيقية في ادارة دفة الامور في البلاد ، فالاضطرابات التي سادت الشارع الهنغاري حالت دون ممارسات ناجى سلطاته في اجواء طبيعية ، ولذلك فقد وجدت حكومته أنه لابد من أعلان الاحكام العرفية (١٠) ،

لكن ناجى مع ذلك كان مصمما على الاستمرار أف سياساته المستقلة فأعلن الغاء نظام الحزب الواحد ف هنغاريا مما مهد السبيل للسماح لكافة الاخزاب السياسية بممارسة العمل السياسي ثم قرر ناجى ألى خطوة أخرى ، اشراك بعض العناصر الحزبية من غير الشيوعيين في الحكومة ليشكل فيما بعد عدد الاعضاء غير الشيوعيين الغالبية في الحكومة الهنغارية (١١) وفي خطوة استفزازية خطيرة للاتحاد السوفيتي اعلن ناجى ان بلاده قررت ان تصبح محايدة وانها بصدد الانسحاب من منظمة حلف وارسو (١٢) وارسو (١٢)

كانت القيادة السوفيتية مقتنعة بان مجمل التطورات في هنغاريا مسئلة غير ايجابية ، بيد ان النوايا الاخيرة للقيادة الهنغارية بخصوص الموقف من حلف وارسو ، واتجاهاتها لاعطاء غير الشيوعيين اليد الطولى في ادارة دفة الامور في البلاد ، كل ذلك جعل القيادة السوفيتية تنظر اليها كتهديد لوحدة المعسكر الاشتراكى ، وخشيت ان تشجع ذلك الدول الاشتراكية الاخرى على السير في نفس الاتجاه اذا لم تتم مواجهتها باجراءات رادعة ، من نفس الاتحاد السوفيتي التدخل عسكريا في شئون هنغاريا بان ارسل وحدات مقاتلة في الرابع من نوفمبر لوضع نهاية للحركة الشعبية التحررية (١٣) ، وقد اعلن زعيم الحزب الحاكم في هنغاريا جانوس كادار بان القوات

السوفيتية قد تدخلت في بلاده بناء على طلبه بهدف اقرار الامن والاستقرار واعادة النظام • وعلى الفور تشكلت حكومة جديدة بقيادة كادار ، وكل اليها مهمة اعادة الامور الى مسارها الاشتراكي «الصحيح» (١٤) •

لقد تمخض عن التدخل العسكرى السوفيتى فى هنغاريا اجتثاث جذرى للقوة المضادة للشيوعية على الساحة السياسية فى هنغاريا ومنذ تلك الاحداث حتى وقتنا الراهن استمرت الحكومات المتعاقبة فى تلك الدولة الاشتراكية الصغيرة على ولائها للاتحاد السوفيتى ويث أن درس التدخل العسكرى فى شئونها كان قاسيا لدرجة ردعت أية قوة سياسية من التفكير فى شق عصا الطاعة والخروج عن دائرة نفوذ الدولة التى أخذت على عاتقها قيادة المعسكر الاشتراكى والتقادة المعسكر الاشتراكى والتقادة المعسكر الاشتراكى والتقادة المعسكر الاشتراكى والتحديد المعسكر الاشتراكى والمنابقة التي المنابقة المعسكر الاشتراكى والمنابقة التي المنابقة المعسكر الاشتراكى والمنابقة المعسكر الاشتراكى والمنابقة المعسكر الاشتراكى والمنابقة المعسكر الاشتراكى والمنابقة المنابقة المعسكر الاشتراكى والمنابقة المنابقة المنابقة

## انتفاضة عمالية في بولندا:

لكى نتمكن من اعطاء تحليل واقعى للاسباب التى دفعت الاتحاد السوفيتى الى التدخل العسكرى ف شنغاريا ابان تلك الفترة ، يتحتم علينا ان نعطى مثالا أخر لاحداث شبيهة وقعت ف دولة شرق اوربية اخرى وفي نفس الفترة تقريبا ، والمقصود بتلك الدولة بولندا ، ان المقارنة بين احداث البلدين تبدو هامة هنا لكى تصبح الضورة اكثر وضوحا ،

ف بولندا لم تكن البداية مختلفة عنها في هنغاريا اذ بعدات بيتظاهرات واعمال شغب في مدينة بوزنان ، وهي واحدة من اكبر مدن بولندا ، وتقع في غرب البلاد بالقرب من الحدود مع المانيا الشرقية • كانت المدينة التي تعد مركزا صناعيا هاما تشهد معرضا تجاريا دوليا خلال شهر يونيو من عام ١٩٥٦ ، وقد وجد العمال البولنديون الفرصة مناسبة لعرض مطالبهم في تحقيق اصلاحات عمالية خلال فترة انعقاد المعرض التجاري

اتهمت السلطات البولندية المسئولين عن المظاهرات بانهم «عملاء الامبريالية» يرمون الى تقويض الامن والنظام في البلاد واكدت نيتها على التصدى لهم • كانت التظاهرات التى اندلعت في بوزنان والتى قادها عمال مصنع شركة ستالين بوزنان التى يقدر عدد افرادها بخمسة عشر الف عامل قد اتخذت منحى خطيرا بعد ان عمد بعض العمال الى ارتكاب بعض اعمال التخريب في الشوازع وهاجموا عددا من المبانى الحكومية في المدينة حيث ترتب على ذلك وقوع اضرار مادية جسيمة • كما وقعت تصادمات واعمال عنف بين الشرطة والمتظاهرين ، وسقط نتيجة لذلك ما يزيد على ثلاثمائة وخمسين شخصا بين قتيل وجريح (١٥) • كانت الحكومة البولندية تنظر

لهذه التطورات بجدية تامة لانها تمثل تحديا سافرا اسطاتها المركزية عن هنا اخذ رئيس الوزراء البولندى على عاتقه شخصيا مهمة عرض موقف الحكومة من الاحداث بان هاجم القادة المسئولين عن الاضطرابات متهما اياهم بالتأمر لتمزيق وحدة البلاد وتهديد الامن والاستقرار فيها وقد دعا رئيس الوزراء شعب بلاده التى وقعت فى بوزنان لم تكن عفوية ، ولم تنطلق من رغبة التى وقعت فى بوزنان لم تكن عفوية ، ولم تنطلق من رغبة صادقة فى اصلاح اوضاع العمال بل ان هذه الاحداث مخطط لها ، بحيث تندلع فى نفس موعد المعرض الدولى بهدف زج اطراف دولية فيها للضغط على الحكومة البولندية ولذلك قامت الحكومة البولندية باعتقال ما يزيد على ثلاثمائة شخص اشتبه ان لهم علاقة بالاحداث (١٦).

لم تقتصر احداث بوزنان على طبقة العمال فقط بل اشترك الى جانبهم المثقفون الذين وجدوا فى الاحداث مناسبة لاظهار عدائهم المستالينية بما تحمله من تسلط وسيطرة ولذلك فقد احتوت المطالب التى رفعها المتظاهرون على شقين يكمل كل منهما الآخر: اولهما يتعلق بالاصلاحات فى مجال العمل النقابي العمال وتحسين اوضاع واجور العمال وثانيهما يتعلق بتوفير مناخ ديمقراطي فى البلاد والانفتاح على العالم (١٧) الا ان السلطات البولندية نجحت فى احتواء المرقف ولم تتطور الاحداث الى الحد الذى هدد السلطة الحزبية

ولم تتطور الاحداث الى الحد الذى هدد السططة الحزبية الشيوعية ، كما حدث مثلا في هنغاريا \* من جهة الخرى فان احداث بوزنان ، وان اظهرت قوة معارضة لا يمكن الاستهانة بها ، الا ان مركز هذه القوة ظل مقتصرا على التجمعات العمالية ، ولم يهدد وحدة الحزب الحاكم من الداخل ، كما ان ثقل المعارضة اقتصر على بوزنان ، الامر الذى سبهل على السلطات التصدى للاحداث ، ولم يشكل اى تهديد للامن على صعيد بولندا بشكل عام \*

لكن القيادة البواندية كان يتوجب عليها ، مع ذلك ، ان تطمئن الحليف السوفيتى الى سلامة نهجها العام وسيطرتها على زمام الامور (١٨) • كما يتوجب عليها ، من جانب آخر ، ان تخاطب افراد الشعب البولندى بما يضمن امتصاص اى تمرد مستقبلى • من هنا فقد اختار فلاديسلاو غومولكا ، السكرتير الاول لحزب العمال البولندى المتحد ، وهو الحزب الشيوعى الحاكم في البلاد اختار الزيارة التي قام بها وفد رفيع من الحزب الشيوعى السوفيتى بقيادة نيكيتا خرتشوف لبولندا في خريف عام ١٩٥٦م ليتحدث عن احداث بوزنان من حيث ابعادها وانعكاساتها • وقد اكد الزعيم الشيوعى البولندى في خطاب القاه امام الوفد السوفيتي الزائر ان

احداث بوزنان ـ وان امكن احتواؤها والسيطرة عليها قبل ان تصبح ثورة شعبية عارمة ـ الا ان المنطق يقتضى الاعتراف بوجود بعض الاخطاء في ممارسات الحزب والحكومة ١ الا ان غومولكا اكد ان بلاده مع ذلك تؤمن باقامة اوثق العلاقات مع باقى دول المنظومة الاشتراكية وتؤمن كذلك بالنضال الموحد للطبقة العاملة في كافة دول العالم ، وتؤكد حرصها على ضرورة قيام ثقة متبادلة بين حكومات وشعوب دول الكتلة الشرقية ٠ كما اكد المسئول الحزبى البولندى ان بلاده ترى ان قيام نقد بناء متبادل ظاهرة صحية يجب تشجيعها ، وفي نفس الوقت ترى انه من الضرورى ان تزداد مساعدات الدول الاشتراكية مغضها بعضا ٠

كما قام غومولكا بعد عدة شهور من احداث بوزنان بزيارة للاتحاد السوفيتى يرافقه وقد رفيع المستوى يمثل الحزب والحكومة للتعبير عن العلاقات المتطورة بين البلدين وقد اكد المسئولون السوفيت خلال الزيارة على تقتهم الكبيرة في قيادة غومولكا وفي النهج العام لحكومته وقد فهم المراقبون من التصريحات السوفيتية المتتالية أن الاتحاد السوفيتي لايزال يثق في القيادة الحزبية في بولندا نظرا لانتهاجها «خطا اشتراكيا سليما» ونظرا لقدرتها على المحافظة على سلامة المسار الاشتراكي في البلاد بعيدا عن أي انحرافات يمينية ويرافات يمينية والاشتراكي في البلاد بعيدا عن أي انحرافات يمينية ويرافية المسار

ويحق لنا الآن بعد ان استعرضنا الاحداث التي وقعت في كل من هنغاريا وبولندا والتي اتفقت في الدوافع الاولية واختلفت في طريقة التعبير عن تلك الدوافع ، يحق لنا أن نتساعل عن العوامل التي دفعت الاتحاد السوفيتي الى التدخل عسكريا في هنغاريا ، والاكتفاء بالضغط من وراء الكواليس فيما يتعلق باحداث بولندا ٠ ويشير المطلون الى أن السبب الرئيسي ف ذلك يعود ألى البعد الذي اخذته الاحداث ف هنغاريا وطبيعة المطالب التي رفعها الثائرون والحكومة فيما بعد ، وألتى تقوم على اعلان هنغاريا دولة محايدة بما يعنيه ذلك من فك لكل ارتباط يربطها بدول الكتلة الشرقية بما في ذلك ارتباطها العسكرى من خلال حلف وارسو ٠ وهذه مسألة لم يكن الاتحاد السوفيتي مستعدا ان يقف مكتوف الايدى ازاءها - اما في بولندا فان الحزب الحاكم نجح في احتواء الاحداث ، وحافظ على المسار الاشتراكي للنظام ، الامر الذي أهلَّه لكي يحصل على ضمانات بعدم تعرض بولندا لغزو عسكرى ، وبدلا من ذلك تجديد علاقات الصداقة القائمة مع الاتحاد السوفيتي (١٩) • وكانت القيادة السوفيتية قد اكدت على هذا التوجه وبينت بانها تثق كل الثقة في قدرة الحكومة البولندية على المحافظة على الارضاع في البلاد ضد اي انحراف (٣٠) ١

# دوبتشك وشيوعية ذات وجه انسانى:

منذ ان اصبحت تشيكسلوفاكيا دولة اشتراكية ، حافظت على ولائها للاتحاد السوفيتى واعتبرت من اقوى حلفائه داخل دول المنظومة الاشتراكية • غير ان رياح التغيير عصفت بها كما عصفت بغيرها من دول اوربا الشرقية الاخرى وظهرت الحاجة الى قيام نظام اشتراكى ذى صبغة جديدة يحفظ للبلاد استقلاليتها •

وكانت تشيكسلوفاكيا تحكم من قبل انتونين نوفوتنى سكرتير الحزب الشيوعى التشيكى منذ عام ١٩٥٦ وكان الرجل يظهر كثيرا من الولاء للقيادة السوفيتية الامر الذى اهله لكى يطلق عليه رجل موسكو القوى غير ان نوفوتنى ومنذ الستينات بدأ يفقد شعبيته على الصعيد الداخل بين اوساط المثقفين من الكتاب والصحفيين والطلبة واساتذة الجامعات (٢١) كما ان تصلبه ومركزيته الشديدتين باعدتا بينه وبين انصاره داخل الحزب ،

كان المناخ العام ف تشيكسلوفاكيا مهياً لقيام حركة معارضة للسلطة الرسمية وبالاضافة الى الاسباب السياسية التي يعود لها الدور الأكبر في التطورات التي شهدتها البلاد ، فان المشاكل الاقتصادية التي كانت تشيكسلوفاكيا تعانى منها منذ منتصف الستينيات ساهمت في خلق جو من التذمر الشعبي وكان مؤتمر الكتاب التشيك الذي عقد في صيف عام ١٩٦٧ منعطفا هاما في مسار المعارضة الشعبية للسلطة عندما سيطرت على اعمال المؤتمر القضايا السياسية التي اخرجته عن على اعمال المؤتمر القضايا السياسية التي اخرجته عن جو المسائل الادبية وقد خرج المؤتمر ببيان سياسي انتقد سياسات الحكومة على الصعيد الداخلي ومواقفها الخارجية وقد كان لهذا البيان صدى واسع داخل الخارجية ، وقد كان لهذا البيان صدى واسع داخل السرية الى الجهر بالمواقف السياسية المناهضة للحكومة على السرية الى الجهر بالمواقف السياسية المناهضة للحكومة علنا ،

لقد واكبت حملة الادباء التشيك التى امتدت الى قطاعات نقابية اخرى ظهور الزعيم التشيكى المعارض الكسندر دوبتشك على الساحة السياسية فى تشيكسلوفاكيا وكان دوبتشك قد بدا يكتسب شهرة واسعة فى الاوساط الشعبية بسبب مواقفه المبدئية من السلطة والسياسات التحررية التى كان ينادى بها ويدعو اليها وكما حدث فى بعض اقطار اوربا الشرقية فان دوبتشك بدأ يدعو الى سياسة اكثر استقلالية للدول دوبتشك بدأ يدعو الى سياسة اكثر استقلالية للدول الاشتراكية الصغيرة بعيدا عن المركزية التى كان يطبقها الحزب الشيوعى السوفيتى فى تعامله مع الاحزاب الشيوعية الصغرى فى دول حلف وارسو وقد كان لآراء دوبتشك المطالبة بالاصلاح انعكاسات واضحة ، ليس

على الصعيد الشعبى فحسب ، بل على صعيد الحزب الشيوعي الحاكم ، وقد ظهر الانقسام بشكل واضح داخل اللجنة المركزية للحزب ، لكن الامور كانت تسير لصالح دوبتشك الذي نجح في نهاية المطاف من تنحية نوفوتني عن زعامة الحزب ليصبح سكرتيرا عاما للحزب الشيوعي التشيكي في مطلع عام ١٩٦٨ (٢٢) .

لم يتخذ دوبتشك عند تسلمه زعامة الحزب ، اى موقف معاد للاتحاد السوفيتى ، بل تميزت سياسته بالاعتدال في تعاملها مع تلك الدولة القيادية في المعسكر الاشتراكى ، وفي اواخر يناير من عام ١٩٦٨ قام دوبتشك بزيارة لموسكو بهدف تاكيد التزام بلاده بتعزيز علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى وباقى دول الكتلة الشرقية ، وفي خطابه الذي القاه في موسكو خلال تلك الزيارة اكد دوبتشك على الاهمية التي تعلقها بلاده على قيام اوثق دوبتشك على الاهمية التي تعلقها بلاده على قيام اوثق العلاقات بينها وبين باقى دول المنظومة الاشتراكية ، واعلن الزعيم التشيكى ان تشيكسلوفاكيا تقف بحزم الى واعلن الزعيم التشيكى ان تشيكسلوفاكيا تقف بحزم الى المانيا الشرقية في وجه ما اسماه باحياء النازية في المانيا الغربية (٢٣) ،

ولكن ومنذ الشهور الاولى لوصول دوبتشك الى السلطة ف تشيكسلوفاكيا ، ظهرت علامات التصدع في العلاقات بين بلاده والاتحاد السوفيتي خصوصا عندما بدأ دوبتشك يتحدث عن وجود مسار خاص التشكساوفاكيا وعن ضرورة خلق طريق مستقل لتحقيق الاشتراكية فيها ٠ كما ايد دوبتشك قيام التشريعات التي تكفل خرية التنظيم والاجتماع ، ودعا الى وجوب حماية الاقليات في بلاده - كما اسهم في اقرار بعض التشريعات ف الحقل الاقتصادى والتي اعتبرت حينذاك مخالفة لروح الاشتراكية العلمية الصحيحة (٢٤) ازاء هذه التصريحات والتطورات بدأ القلق يساور الاتحاد السوفيتي الذي خشي ان يفلت زمام الامور من يد دوبتشك كما حصل مع قادة أخرين في أوربا الشرقية ٠ وكان الاتحاد السوفيتي يخشى بالدرجة الاولى ان يفقد الحزب الشيوعي السيطرة على الاوضاع لصالح قوى «يمينية» ٠ كما كانت موسكو تخشى ان تنهج تشيكسلوفاكيا نهجا مختلفا في سياستها الخارجية عن باقى دول اوربا الشرقية ، الامر الذي سيضعف من وحدة الصف في دول المعسكر الاشتراكي (٢٥)٠

كان الاتحاد السوفيتي ، ومن وراثه الدول الاشتراكية الاخرى ، يراقب تطورات الاوضاع في تشيكسلوفاكيا عن كثب ، وقد تولدت لدى تلك الدول قناعة راسخة من ان استمرار تشيكسلوفاكيا في خطها المستقل الذي بدأت تسير عليه من شأنه ان يعرض مصالح جميع الدول الاشتراكية للخطر ، ولذلك بدأت سلسلة من الضغوط

تمارسها تلك الدول ـ من وراء الكواليس ـ على حكومة تشيكسلوفاكيا وعلى دوبتشك بشكل خاص ٠ وق ٣ مارس من عام ١٩٦٨ عقدت الدول الاعضاء في حلف وارسو اجتماعا هاما في تشيكسلوفاكيا حضرته جميعا ، باستثناء رومانيا ، لمناقشة تطورات الاوضاع في تشيكسلوفاكيا وتم الحديث عما اطلق عليه بالانحراف الذي بدأ يظهر في المسار الاشتراكي لتشيكسلوفاكيا ٠ وقد اعلن ، اثر هذا الاجتماع ، عن مناورات تنوى دول حلف وارسو اقامتها فوق الاراضي التشيكية ٠ ويبدو ان الهدف من وراء ذلك كان يكمن في اختبار نوايا تشيكسلوفاكيا تشيكسلوفاكيا تشيكسلوفاكيا عن خطها والجهود لم تقلح في ثنى تشيكسلوفاكيا عن خطها المستقل الذي بدأت تسير فيه ، والذي يتعارض جملة المستقل الذي بدأت تسير فيه ، والذي يتعارض جملة وتفصيلا مع سياسة الاتحاد السوفيتي ٠

في يوليو من عام ١٩٦٨ اجتمعت قيادات الاحزاب الشيوعية لدول حلف وارسو في بولندا لتدارس تطورات الاحداث في تشيكسلوفاكيا ثم ليخرجوا منه بتوجيه خطاب مفتوح الى الحزب الشيوعي التشيكي وجاء في الخطاب أن دول أوروبا الشرقية تشعر بقلق بالغ لما يجرى في تشيكسلوفاكيا ويؤسفها ما ألت اليه الاوضاع هناك 🍟 وقالت الاحزاب الشيوعية ان القوى الرجعية ، مدعومة من الامبريالية العالمية ، لها مصلحة في الاضرار بالمباديء الاشتراكية التي تسير عليها تشيكسلوفاكيا ، لانها تهدف في نهاية المطاف الى اخراج تشيكسلوفاكيا تمامآت عن طريق الاشتراكية ، مما يشكل تهديدا خطيرا على دول المنظومة الاشتراكية جميعها • واضاف البيان أن دول أوربا الشرقية ليس لديها النية في التدخل في شئون تشيكسلوفاكيا الداخلية او فرض اي حلول لمشاكلها ٠ كما إنه ليس لديها النية ف خرق مبادىء الاحترام المتبادل والمساواة التي تحكم العلاقات بين دول اوربا الشرقية جميعها • ولكنها مع ذلك لن تقف مكتوفة الايدى ازاء المحاولات التي تجرى في تشبكسلوفاكيا ، والتي تهدف الى سلخ تلك الدولة الحليفة عن باقى الاقطار الاشتراكية • كما حذر البيان ان تلك الدول لن تسمح على الاطلاق ، وتحت أي ظرف من الظروف أن تتعرض المكاسب التي تم تحقيقها لصالح الطبقة العاملة والقوى الاشتراكية ف تشيكسلوفاكيا لاي خطر او اعتداء من قبل القوى الامبريالية ، سواء اكان مصدر هذا الخطر من الداخل او من الخارج (٢٦) ٠

فى الفترة مابين ٢٩ يوليو حتى ٤ اغسطس عقدت سلسلة من اللقاءات بين القيادات الشيوعية فى الحزب الشيوعى السوفيتي والحزب الشيوعي التشيكي كان

اهمها الاجتماع الذي عقد في بلدة شيرنا ناد تيسو التشيكية التي تقع على الحدود مع الاتحاد السوفيتي وقد مهد هذا الاجتماع للقاء موسع عقد في مدينة براتيسلافا التشيكية حضره ممثلون عن الاحزاب الشيوعية في الاتحاد السوفيتي ، وبلغاريا ، وهنغاريا ، وبلانيا الشرقية ، بالاضافة الى الدولة المضيفة تشيكسلوفاكيا وقد خلص البيان الذي صدر عن هذا اللقاء الى ان دول اوربا الشرقية تعي الاخطار التي تحيط بها والمؤامرات التي تحاك ضدها ، ولكنها مع ذلك بها والمؤامرات التي تحاك ضدها ، ولكنها مع ذلك التخلص من كل عائق او عقبة تقف في وجه التعاون المشترك فيما بينها (٢٧) .

وفي اعقاب هذا البيان الايجابي الذي اعتبره المحللون نهاية للازمة ، قرر الاتحاد السوفيتي سحب قواته العسكرية من الاراضي التشيكية وكان ذلك مؤشرا آخر لانفراج الموقف وزوال التوبّر ولكن القوات السوفيتية سرعان ماعادت بصحبة وحدات عسكرية من اربع دول هي بلغاريا ، وهنغاريا ، والمانيا الشرقية ، وبولندا ، ف عملية غزو منظمة لتشيكسلوفاكيا تمت في العشرين من اغسطس وقد تم اعتقال دوبتشك على الفور وتم ترحيله الم الاتحاد السوفيتي كما تم تشكيل حكومة «ثورية» جليدة في تشيكسلوفاكيا .

وقد اعلن الاتحاد السوفيتى ان تدخل الدول الاشتراكية العسكرى في تشيكسلوفاكيا جاء «بطلب من رصاء التمكومة هناك بهدف توفير مساعدة عاجلة للشعب التشيكى الشقيق» • كما اكد ان هذا التدخل املته الظروف الخطيرة التي كان النظام الاشتراكي يمر بها بتدبير من «العناصر المضادة للثورة ، بالتحالف مع بعض القوى الخارجية المعادية للاشتراكية» (٢٨) •

لقد قضى التدخل العسكرى السوفيتى في تشيكسلوفاكيا على كل امل لاقامة «شيوعية ذات وجه انسانى» كان دوبتشك يطمح الى تحقيقها وتماما كما حدث في هنغاريا في عام ١٩٥٦ ، نجح التدخل العسكرى الجديد في فرض واقع جديد في تشيكسلوفاكيا عندما اعادها الى المسار الذي رسمه لها الاتحاد السوفيتي ولكن النتائج على اية حال كانت ايجابية بالنسبة ولكن النتائج على اية حال كانت ايجابية بالنسبة للاتحاد السوفيتي ، لانها حافظت على وحدة المعسكر الاشتراكي وابعدت «التهديد الامبريالي» ولو مرحليا عن اوربا الشرقية .

فى مايو من عام ١٩٧٠ وقع الاتحاد السوفيتى وتشيكسلوفاكيا معاهدة صداقة «تعبيرا عن رغبة البلدين فى توثيق اواصر الصداقة والتضامن بينهما» (٢٩) 1

ومن الملاحظ ان التدخل السوفيتي في تشيكسلوفاكيا وما اعقبه من اتفاقيات منظمة للتعاون بين البلدين حقق للاتحاد السوفيتي الهدف الذي طالما سعى اليه بابقاء الدول الاشتراكية الصغرى في موقع الحليف الموالى لدولة القيادة ٠

# شاوشيسكو ومسالة الهوية الوطنية :

كان لاحداث هنغاريا عام ١٩٥٦ صدى واسع فى رومانيا ارتبط بالرغبة فى التأكيد على الجانب الوطنى من الشيوعية وقد تبنى هذا الاتجاه ودافع عنه سكرتير الحرب الشيوعى الرومانى جورجيو ديج ، الذى ادرك انه لكى تلقى الشيوعية القبول والدعم الشعبى ، فانه يتعين عليها ان تصطبغ بالصبغة الوطنية وقد عمل ديج على تعزيز هذا التوجه ، وهو التوجه الذى ازداد رسوخا فى رومانيا بوصول نيكولاى شاوشيسكو الى السلطة فى عام

اصبح الحديث عن الهوية الوطنية للحزب الشيوعي الرومانى مسألة شائعة في الصحف ووسائل الاعلام المختلفة • وكان واضحا أن القيادة السياسية كانت حريصة على أن تغرس هذا المفهوم لدى الناس ، ومن ثم تسير باتجاه الاستقلالية في نهجها عن باقى دول اورابا الشرقية ٠ وقد بدت ملامح هذه السياسة تتضح عشية احتفالات رومانيا بالذكرى الخامسة والاربعين لتأسيس الحزب الشيوعي الروماني • وبهذه المناسكة القي نيكولاى شاوشيسكو خطابا هاما خصصه للحديث عن انجازات الحزب الشيوعي ، والاصلاحات التي حققها لجموع الشعب • ثم تعرض شاوشيسكو لموقف بلاده من القضايا الدرلية قائلا: ان الاحلاف العسكرية وما يرتبط بها من اقامة وجود عسكرى لدولة ما على اراضى دولة اخرى ، أو أنشاء قواعد عسكرية في أراضي الآخرين ، يشكل حاجزا هاما في طريق التعاون بين الشعوب المختلفة . واضاف شاوشيسكو ان انشاء الكتل العسكرية وارسال القوات الى الدول الاخرى ، يعد عملا غير مقبول يتنان مع مبادىء الاستقلال والسيادة للشعوب الاخرى ويعوق اقامة علاقات طيبة بين الدول (٣٠) ٠

كان واضحا ان كلمات شاوشيسكو كانت مُوجهة ضد الاتحاد السوفيتي ولها علاقة بالاحداث التي جرت ق هنغاريا • غير ان الحكومة السوفيتية قررت نجاهل الموضوع ولم يصدر عنها اى بيان حول خطاب شاوشيسكو • وبدلا من ذلك اعلن الاتحاد السوفيتي از زعيم الحزب الشيوعي السوفيتي ليونيد بريجنيف قرر زيارة رومانيا لاجراء مباحثات مع شاوشيسكو حول أفاق التعاون بين الاتحاد السوفيتي ورومانيا ورؤية رومانيا

لدورها في حلف وارسو (٣١) • ومع أن زيارة بريجنيف لرومانيا كان لها صلة مباشرة بالآراء التي صدرت عن شاوشيسكو وتعكس نوايا الحكومة الرومانية أزاء العلاقة التي تريد أن تربط رومانيا بالاتحاد السوفيتي ، ألا أن الزيارة لم تسفر عن أي نتائج أيجابية بالنسبة للجانب السوفيتي ، ولم يتبعها أي خطوة لاظهار أي درجة من الانفراج في العلاقة بين الجانبين •

ومنذ مطلع عام ۱۹۹۷ بادرت رومانیا الی تبنی مجموعة من السياسات التي اغضبت الاتحاد السوفيتي وعمقت الهوة بينها وبينه ٠ ففي فبراير من عام ١٩٦٧ قررت رومانيا الاعتراف بدولة المانيا الغربية وهى خطوة لها مغزاها ، اقدمت عليها بدون استشارة الاتحاد السوفيتي ٠ وعندما عقد في ابريل من عام ١٩٦٧ مؤتمر للاحزاب الشيوعية الاوربية احجمت رومانيا عن المشاركة - كما أن الرئيس شاوشيسكو ، الذي شارك في الاجتماع الذى عقدته الدول الاشتراكية لمناقشة العدوان الاسرائيلي على الدولة العربية ، ابان حرب الايام السنة ، غادر دون أن يوقع على البيان الختامي للمؤتمر والذي ادان سياسة اسرائيل • وعندما عقدت الدول الاشتراكية لجتماعا لها في بوادبست عاصمة المجر في يوليو من عام ١٩٦٧ لمناقشة المساعدات التى يمكن تقديمها للدول العربية المتضررة من العدوان الصهيوني لم توجه الدعوة لرومانيا للمشاركة في هذا الاجتماع على اعتبار أن موقف رومانيا قياه الصراع العربى الاسرائيلي كان يختلف عن باقى الدول الاشتراكية ٠ كما ان رومانيا هي الدولة الوحيدة التى احتفظت بعلاقات دبلوماسية مع اسرائيل وخرجت عن اجماع دول المعسكر الشرقى (٣٢) . كانت هذه المواقف المختلفة تهدف الى محاولة اثبات

كانت هذه المواقف المختلفة تهدف الى محاولة اثبات استقلالية القرار الرومانى و ونتيجة لذلك احس الاتحاد السوفيتى بكثير من الحرج لان سياسة الوحدة الظاهرية لدول المعكسر الاشتراكى اثبتت بطلانها بتكرار المواقف المستقلة لرومانيا في سياستها الخارجية ويبدو ان الاتحاد السوفيتى فضل سياسة النفس الطويل مع رومانيا ولم يقدم على تنفيذ خطوات شبيهة بما تم اتخاذه مع هنغاريا وتشيكسلوفاكيا

م اما شاوشيسكو الذى يقال انه يفهم اصول اللعبة ويدرك الى اى مدى يمكن ان يسير ، فانه لم يشأ ان يوصد الابواب تماما فى وجه الاتحاد السوفيتى بل فضل ان يبقى على قنوات للحوار والمشاورة ، وفيما يتعلق بحلف وارسو ، فقد اكد شاوشيسكو ان بلاده ستحافظ على عضويتها فى الحلف طالما استمر الحلف قائما ، كما امتدح شاوشيسكو ما اسماه بالعلاقات المتعددة الجوانب التى تربط رومانيا بالاتحاد السوفيتى ، وخلال

سنة ١٩٦٧ ، وهي سنة الازمات في العلاقات السوفيتية الرومانية ، بادر شاوشيسكو الى تبنى مواقف تبقى على وشائج العلاقات بينه وبين السوفيت ، ومن ذلك موافقته على اشتراك رومانيا في المناورات التي اجراها حلف وارسو خلال اغسطس من عام ١٩٦٧ (٣٣) .

ولكن المراقبين فسروا سياسات شاوشيسكو على انها اقرب الى التحدى منها الى الاستقلال و فقد فيهدت السنوات التى اعقبت التدخيل السيوفيتى في تشيكسلوفاكيا مواقف متشددة من قبل رومانيا تيكاه الاتحاد السوفيتى وحلف وارسو و فقد اعلن شاوشيسكو ان الاوامر التى تصدر من الحزب والحكومة في رومانيا والقيادة العليا للقوات المسلحة في بلاده هى وحدها التى ستنفذ ، متجاهلا بذلك السياسة الرسمية الحلف والتى تعطى الكلمة العليا للقيادة المشتركة لقوات الحلف والتى تعطى الكلمة العليا للقيادة المشتركة لقوات الحلف مكما ابدت رومانيا بعض التحفظات ازاء التكامل الاقتصادى والسياسي مع باقى دول اوربا الشرقية وجعل البعض يعتقد ان العلاقات من دول اوربا الشرقية وجعل البعض يعتقد ان العلاقات بين الجانبين وصلت الى نقطة اللاعودة و

وعلى الرغم من كل ذلك الا ان الاتحاد السوفيتى لم يقدم على اتخاذ خطوة عسكرية ، حتى الساعة ، ضد رومانيا لتصحيح الاوضاع ، كما فعل فى تشيكسلوفاكيا وهنغاريا ويفسر المحللون ذلك الى قناعة القيادة السوفيتية بان الموقف فى رومانيا لايزال تحت سيطرة قيادات شيوعية ولا يوجد تأثير جوهرى لما يطلق عليه السوفيت «القوى الرجعية او اليمينية» • كما ان الاتحاد السوفيتى كان ينظر الى الاحداث فى تشيكسلوفاكيا وهنغاريا على انها بمثابة محاولة جذرية للاطاحة بالنظام

السياسي القائم على الايدلوجية الشيوعية ، بينما لم يحدث الشيء ذاته في رومانيا • كما انه من الضروري التذكير بان توجهات الحكومة في رومانيا لم تطرح بديلًا افضل 11 هو قائم في الاتحاد السوفيتي وباقي دول أوربا الشرقية • صحيح أن القيادة الرومانية كانت دائما تسعى في ترجهاتها الى الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي ولكنها في الواقع لم تحقق للجماهير في الداخل اي مناخ ايجابى على صعيد الحريات السياسية والانفتاح على ثقافات العالم • وعلى الصعيد الاقتصادي لم تحقق رومانيا تقدما من شأنه ان يشجع باقى الدول الاشتراكية على السير في نفس الاتجاه ولذلك لم يجد الاتحاد السوفيتي ق مثل تلك التطورات ما يشكل تهديدا يستدعى التدخل ، لان رومانيا فشلت في خلق نموذج يدفع الآخرين للاحتذاء به • واخيرا لابد من الاشارة الى ان وجود نيكولاى شاوشيسكو على رأس السلطة في رومانيا كان له دوره في تثبيط همة الاتحاد السوفيتي للتدخل العسكرى في تلك الدولة الاشتراكية على اساس ان شاوشيسكو ظل لسنوات طويلة يعتبر رمزا للامة ف رومانيا ورائد! من رواد المحافظة على الهوية الوطنية ، تماما كما كان الحال بالنسبة لتيتو في يوغسلافيا

#### خاتمسة

ترتكز سياسة الاتحاد السوفيتي تجاه دول اوربا الشرقية على مبدأ الانضباط والولاء من جانب هذه الدول تجاه القيادة السوفيتية وقد عمل السوفيت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على تعزيز هذا التوجه بدعم قيام قيادات موالية للكرملين في تلك الدول بكل الوسائل المتاحة لهم ورغم كل الانتكاسات والازمات التي مرت بها العلاقات بين الاتحاد السوفيتي وباقي دول المنظومة الاشتراكية ، الا ان السوفيتي نجحوا في المحافظة على مركزهم المتميز في تلك الدول يساعدهم على ذلك التغلغل الذي وصل اليه النفوذ السوفيتي داخل مؤسسات الدول الشرقية سواء على صعيد الحزب او الحكومة وكان من الواضح ان الاتحاد السوفيتي عمل على تشجيع قيام طيف ثان على مستوى القيادة الحزبية لكي يقوم بممارسة الحكم اذا ما تعرض الصف الاول لانتكاسة او فشل في معالجة اوضاع معينة و

ان الاتحاد السوفيتي يؤمن ايمانا تاما بأن الدول الصغرى في المعسكر الاشتراكي يجب ان تحافظ على ولائها وصداقتها للقيادة السوفيتية وحيث أن هذا الاتجاه يعد بمثابة هدف رئيسي من اهداف السياسة السوفيتية تجاه الدول الاشتراكية في اوربا ، فأن الاتحاد السوفيتي يضع نصب عينه دائما ضرورة المحافظة على

الاوضاع الراهنة في تلك الدول بشتى الوسائل وبما في ذلك التدخل العسكرى ومع ذلك يبقى الخيار العسكرى بمثابة الرد الاخير اذ تسبقه عادة مناورات سياسية بعضها يتم علنا وبعضها في الخفاء وان جوهر السياسة السوفيتية يقوم على استمرارية الأنظمة الشيوعية في تلك الدول بدون منازع او منافس من شأنه ان يفتح الابواب للنفوذ الغربي وعندما يدرك الاتحاد السوفيتي إن زمام الامور يكاد ان يغلت من يد القيادة الحزبية لصالح قوى ويمينية ولي كما حدث في هنغاريا الحزبية لصالح قوى ويمينية وليار العسكرى امرا لا مفر وتشيكوسلوفاكيا ويصبح الخيار العسكرى امرا لا مفر منه حتى وان ادت خطوة كهذه الى خلق ازمة او تصدع في علاقات الاتحاد السوفيتي مع الدول الاخرى ذات الميول الغربية او غيرها وذلك لأن الاتحاد السوفيتي

يعطى اهمية خاصة للاوضاع فى منطقة شرق اوربا اذا ما قورنت بمناطق اخرى ·

ان دول اوربا الشرقية تمثل الخط الفاصل بين الاتحاد السوفيتي والدول الرأسمالية في اوربا الغربية ، ومن ثم فان السوفيت يدركون اهمية المحافظة على الاستقرار في هذه الدول بما يخدم مصلحة الاتحاد السوفيتي ووحدة المعسكر الاشتراكي بشكل عام ٠ كما يؤمن الاتحاد السوفيتي بان ترك الامور في تلك الدول تأخذ مسارها الطبيعي من شأنه ان يباعد بينه وبين حلفائه لصالح دول الغرب ٠ وهكذا فانه يصبح من غير المستغرب تفهم دوافع السوفيت من وراء متابعتهم الدؤبة لما يجرى في دول اوربا الشرقية خشية من ان يأتي اليوم الذي دول اوربا الشرقية خشية من ان يأتي اليوم الذي تنكشف فيه حدود الدولة التي اخذت على عاتقها قيادة المعسكر الاشتراكي امام رياح التغيير القادمة من الغرب،



# هوامش البحث

Isaac deutcher, Russia, China and the West (London: Hazell Watson and Viney, 1970) P.91. \_ \

H.C. Hinton, China's Turbulent Quest (New York: The Macmillan Company, 1972) pp. 82 - 83. \_ Y

٣ ـ لقد كان لخطاب خرتشوف التاريخي والهجوم الذي شنه ضد ستالين انعكاسات خطيرة على العلاقات السوفيتية الصينية التي لا
 تزال تعانى من فتور وقد رأت القيادة الصينية ممثلة في ماوتسى تونغ أن الهجوم السوفيتي على ستالين غير مبرر وغير عادل على
 الاطلاق ٠ أنظر لذلك ٠

J. Gittings, A Survey of the Sino — Soviet Dispute (London: Burtter and Tanner, 1968) pp. 59 - 62. C. L. Sulzlerger, The Coldest War (New York: H.B. Jovanovich, : وكذلك: 1974 pp. 51 - 52.

P.E. Zinner, National Communism and Popular Result in Eastern Europe (columbia: Columbia University Press 1956) \_ & pp 317 — 322.

٥ \_ المرجع السابق، ص ص ٣٢٧ \_ ٣٢٧٠

٦ \_ المرجع السابق، ص ص ٣٢٧ \_ ٣٢٠ ;

M. Donaldon and M. Grieve, International Disputes (London: Europe Publications, 1973) pp 131 — 132. \_ V

٨ ـ تشير بعض المصادر أن تنحى راكوسى عن السلطة جاء بضغط من الاتحاد السوفيتي الذي كان يؤمل أن يؤدى وصول ناجي الى
 السلطة الى امتصاص غضب الجماهير والمحافظة على الاستقرار في البلاد ، انظر لذلك .

R. Leslie, The History of Poland Since 1863 (London: Cambridge University Press, 1980) p. 331.

Nikita Khrushchev, Khrushchev Remembers, Translated by S. Talbot : فكالك : (Canada: Little, Brown and Company, 1970) p.415.

• ۱۳۲ م Donaldon and Grieve \_ ۹

۰ ۲۰۸ ص P. Zinner \_ ۱۰

• ۱۳۲ م Donaldon and Grieve \_ ۱۱

۱۲ ـ المرجع السابق، ص ص ١٣٢ ـ ١٣٣

١٢ \_ كان ناجى قد بعث ببرقية عاجلة في الاول من نوفمبر الى الامين العام للامم المتحدة السيد هامرشولد اشتكى فيها من ان بعض الوحدات من القوات السوفيتية بدأت تعبر الحدود الى بلاده وان وزير خارجيته قدم شكوى رسمية بهذا الصدد الى السفير السوفيتى في بودابست السيد اندروبوف مطالبا بسحب القوات السوفيتية فورا من الاراضى الهنغارية • كما كرر ناجى للسيد هامرشولد نوايا

بلاده الخاصة برغبتها في الحياد والانسحاب من حلف وارسو داعيا السكرتير العام للامم المتحدة بأن يطلب من الدول الاربع الكبرى دائمة العضوية في مجلس الامن التعهد بالدفاع عن حياد بلاده · انظر لذلك نص برقية ناجى الى هامرشولد في

H. Hanak, Soviet Foreign Palicy Since The Death of Stalin (London Routledge and Kegan Paul, 1972) p. 158.

16 - يؤكد خرتشوف في مذكراته ان حكومته كانت حريصة عند بدأ الازمة على عدم التدخل عسكريا في هنغاريا - بل وقامت بسحب قواتها من العاصمة بودابست - الا ان تدهور الاوضاع في البلاد واحساس الاتحاد السوفيتي بان الموقف قد يشكل تهديدا خطيرا لدول المعسكر الشرقي الاخرى ، وخصوصا تشيكسلوفاكيا ورومانيا ويوغسلافيا ارغم السوفيت على التدخل عسكريا · ويشير خرتشوف ان قرار ارسال قوات عسكرية لسحق ما اسماء بالقوى المضادة للثورة اتخذ بعد استشارة دول اوربا الشرقية الحليفة والصين الشعبية · وكان هناك شبه اجماع من هذه القوى على ضرورة التدخل العسكري ، بل وطلبت بعض هذه الدول كرومانيا وبلغاريا اشراك وحدات عسكرية من جانبها في العملية العسكرية المرتقبة ·

#### N. Khrushchev

المرجع السابق، ص ص ٤١٦ \_ ٤٢١ ٠

۰ ۳۵۰ \_ ۳٤٩ ص ص ۳٤٩ \_ ۳۵۰ . R. Leslie \_ ۱۵

۱٦ ـ اكدت صحيفة برافدا السوفيتية ان ما حدث في بوزنان لم يكن امرا عفويا بل كان مخطططا له ليتصادف مع المعرض التجارى الدولي ٠ انظر ٠

H. Hanak المرجع السابق ، ص ص ١٥١ \_ ١٥٢ إ

I. Deutcher \_ ۱۷ المرجع السابق ، ص ٨٦ وربما يفسر شعار (الخبز والحرية) الذي رفعه المتظاهرون طبيعة المطالب التي كانت تشغلهم ٠ انظر R. Leslie المرجع السابق ، كُنْ ٢٥٠٠٠

۰ ۱۹ مالرجع السابق ، ص ۱۹۹ ، N. Khrushchev \_ ۲۰

Adam Bromoke, The Communist States in Disarray (Minnesota: The University of Minnesota Press, 1972) p. 43. \_ YV

۲۲ - A. Lindemann - ۲۲ المرجع السابق ، ص

R. A. Remington, the Warsaw Pact (Massachusettes: Mit Press, 1971) p. 94. \_ YY

۱۰ ۲۷۲ ملجع السابق، ص ۲۷۲ Doneldon and Grieve \_ ۲۶

۰ ۱ ما که ۱۰ A. Bromoke ـ ۲۰ الرجع السابق ، ص

۲۱ ـ انظر نص البيان المطول ف. H. Hanak المرجع السابق، ص ص ۲۲۱ ـ ۲۲۸

۲۷ - ۲۲۸ م المرجع السابق ، ص ص ۲۲۸ ـ ۲۲۹ ·

۲۸ ـ المرجع السابق، ص ص ۲۲۹ ـ ۲۷۰ ۰

۲۹ ـ المرجع السابق، ص ۲۸۰۰

۳۰ ـ R. Remington ـ ۳۰ الرجع السابق ، ص ۸۵ ـ ۳۰ مارجم السابق ، ص ص ۸۵ ـ ۸۵ مارجم السابق ، ص

۲۲ - H. Hanak - ۳۲ المرجع السابق ، ص ۲۱۹

۹۳ \_ ۹۱ م ص ص R. Remington \_ ۳۲

A. Bromoke ... ٣٤ ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ ،



بحوث التاريخ العربي الاسلامي والعصور الوسطى



.

.

# العرب والخزر في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الاموية

الدكتور حسين علي الداقوقي كلية التربية - جامعة بغداد

دولة الخزر هي اولى دولة قوية ومنظمه لعبت دورا سياسيا وعسكريا وتجاريا في تاريخ شرقى اوربا() وهي واحدة من الدول التي لعبت دورا بارزا في العصور الوسطى بين القرنين السادس ومن العاشر الميلاديين كانت عاصمة الخزر إتل (علي وزن ابل) أو ايتيل اوأئل ، قرب شمالي مدينة استرخان الحاليه في حوض الفولفا الاسفل حيث تلتقى الطرق التجارية الكبيرة ، وتنساب في تلك المنطقة اربعة انهر : الفولفا وياييك ودون وكوبان واذا القينا نظره على خريطة الحكم الخزري نجد أن لهم أمبراطوريه تمتد خلال القرن السابع من بحر أزوف الي بحر قزوين ، ومن القنقاس ألي نهرى الفولفا ودون () وهي بلاد شاسعة كثيرة المشاهد ، فيها جبال ووديان وفيها بحار وخلجان في «يتصل من أحدي جنباتها جبل عظيم يمر إلي بلاد تقليس أو حدود أرمينيا» () وبلغت حدودها من بعض جهاتها إلى منطقه خوارزم ، ومن جهة أخري وصلت حدودها الجنوبيه إلى دربين (باب الابواب) () .

اما ما يتعلق باصلهم فقد وردت حوله اراء كثيره ومتنوعه احيانا ، غير ان معظم المباحثين الحديثين يرجعونهم الي الاتراك الغربيين المختلطين بالهون وبالسلالات الفنيه ـ الاوغريه " ·

للعلاقات بين العرب والخزر تاريخ طويل امتد عبر العصور ، ذلك بعدما توسع الفتح الامسلامى في انحاء ايران وعندما اخذ اولا الصحراء الشجعان يجتازون ما يعترضهم من الحواجز ، صحارى كانت ام جبال ، صاروا لا يتوانون ابدا في اقتحام جبال القفقاس الشاهقة الوعرة المسالك والدخول عندها في معارك طاحنة مع الخزر .

صرف البيزنطيون ما وسعهم من جهود للتعرف الى الخرز واكتساب صداقتهم لان المقاومة الخزرية امام العرب كانت تحمل الهمية كبيرة بالنسبة لبزنطية التى كانت تعانى المخاطر من الجانب الغربي والاكثر من ذلك يرى عدد من المؤرخين ان الحروب الخرزية العربية صرفت العرب عن فتح اوربا الشرقية فقد وجد العرب انفسهم على خط القفقاس امام جيوش منظمة وفتية قدر لها ان تعوق تقدمهم الى حد ما نحو شرقى اوربا ، لذلك يحملوا لهؤلاء المؤرخين ولغيرهم اضفاء الهمية كبيرة على هذه الحروب والمقارنة بين ما قام به الخزر في شرقى اوربا

أما قام به فرننجه شارك مارشل في اقصى غربي اوربا ضد القوات العربية الزاحفة عبر البرانس على فرنسا (١١٤هـ/٧٣٢م)(١) •

لقد كانت جبهة الخزر معقدة ومتداخلة وصعبية التضاريس ، فعلى الرغم من الانتصارات التى حققها العرب وصلوا الى العاصدمة الخزرية على نهر الفوليفا واخفوها الى ادارييهم ، كما سوف نرى الا ان المنطقة كانت تعود وتتسلط ، وتتحدى اطراقها من جديد ومن ثم اتخذت الحروب العربية الاسلامية في هذا الجزء من العالم احيانا طابع الحرب الوقائية والتأديبية .

لا شيء يحير الباحثين الاوربيين بقدر ما يتحرهم الفتوحات العربية الاسلامية متحيرهم بواعثها وسرعة اندفاعها واتساع رقعتها(\*) ، ومن هؤلاء الاوبيين البروفسور كوسكي الذي يشك في سرعة الوثيقة العربية الاسلامية عام ٢٢هـ وتدقق العرب بتلك الحملة الى ما وراء القفقاس(\*) في عام ٢٢ هـ/١٤٣م تقدمت القوات العربية نحو مدينة باب الابواب (دريد) بقيادة سراقة بن عمرو ، وبصحبته شخصيات عربية مهمة امثال عبدالرحمن بن ربيعه الباهي ، وسلمان بن ربيعه ، وحذيقة بن اسيد الغفاري وغيرهم(\*) وجرت مفاوضات بين قائد الجيش عبدالرحمن بن ربيعه وبين ملك الباب بين قائد الجيش عبدالرحمن عن عقد مفاهيم بين الطرفين بومئذ شهر براز اسفرت عن عقد مفاهيم بين الطرفين يومئذ شهر براز اسفرت عن عقد مفاهيم بين الطرفين

وكتب سراقة عامل امير المؤمنين عمر بن الخطاب كتاب الامان ووافق الملك على دفع الجزية ، فداف بعد ذلك سكان المنطقة عدل الاسلام ، ومكانة الفتح ، وفي هذه الاثناء توفي سراقة واقر الخليفة عمر عبدالرحمن بن ربيعه على الباب عندما بلغه خبر وفاة سراقة (۱۱) وتبعا لرواية ذكرها الطبري ان عبدالرحمن قرر التقدم فسخر صديقه بضجر «فغزا بلنجر في زمن عمر لم تئم فيها امراة ، ولم ييتم فيها صبى» وفي رواية الطبري هذه ان الحملة بلغت العاصمة (البيضاء) اثيل بعد بلنجر والمسافة بينهما ۲۰۰ فرسخ (۱۱) فالرواية الاخرى بتداونها لا يمكن الاخذ بها(۱۱) لاسباب واضحة ،

استمرت هذه القرات على هجمات ففى عام ۱۹۳هـ/۱۹۰ مستعد الخزر، وذلك عندما «تتابعت الغزوات عليهم، تذمروا وتعايروا وقالوا كنا امة لا يقرن بنا احد حتى جاء هذه الامة القليلة فصرنا لا نقوم لهم» فقال بعضهم ان هؤلاء لا يحوقون وما اصيب احد فى غزوهم، فنصبوا كمينا وقتلوا اربعة الاف مسلما وتجمعوا باعداد كبيرة، ولم يقدر عبدالرحمن قوتهم الجديدة فهجم على بلنجر دون ان يأخذ يرى الخليفة عثمان الذى خدره من التقدم خذرا شديدا فى علمه بعدم الحام المسلمين فى المخاطر، ويفهم من رأى الخليفة أن

الجيش في هذه المنطة لم يكن مستعدا لقلة تمارينه وممارساته في المعارك خلال الاعوام العشر الماضية وكذلك بعد المسافة بين مقره وبين الخزر مضافا الى ذلك ما يفهم من نص لصاحب النجوم الزاهرة القائل ان صاحب بلنجر كان نازلا قريبا من باب الابواب ولما ابعث عبدالرحمن يطلب من عامل الكوفة سعيد بن العاص المدد فقد امده بجيب بن مسلمة العزى فأبطأ جيب على عبدالرحمن الذي سار نحو بلنجر وحاصرها!" فاستشهد عبدالرحمن وكان يقال له ذو النور وهو اسم سيفه عزيخذ اهل بلنجر جسده وجعلوه في تابوت يستسقون به ويستنصرون به (۱۰) .

يفهم من رواية ابن الاثير (٦٦/٣) ان الخزر اكتسبوا خبرات خلال الاعوام السابقة واستعانوا بقبائل اخرى من غيرهم(١٠) حاربت بجانبهم فخططوا للمعركة المرتقبة مع سكان بلنجر فلم تقو والحالة هذه قوات عبدالرحمن من مقاومتهم ، وبعد استشهاد عبدالرحمن بن ربيعه الباهلي عهد امير الكوفة سعيد بن العاص الذى حل محل الوليد القيا توالى سلمان بن ربيعه الباهلي لحماية الجيش النسحب(١١) فقد نجا سلمان بهم فعلا ٠

حارب سلمان في قفقاسيس واحرز انتصارات مهمة (۱۷) الا الله استشهد هو الآخر في خلافة عثمان (۱۷) وحل محله حديقة بن سليمان العبسي (۱۱) •

## هوامش وتعليقات

- (1) Prof.I. Kafesoglu.
- (2) Merit. Stud. Emc. Vol. 10, 381
- (٣) الحموى الروض المعطار ، تحقيقق احسان عباس ، ص ٢١٩ ٠
- (٤) قداسه ، الخراج ، تحقيق محمد حسين الزبيدي ، بغداد ١٩٨١ ، ص ٢٥٩
- (٥) راجع : مادة الخزر في دائر المعارف الاسلامية الطبعة الجديدة ، يقلم كولدن ، وبارتولد ، تاريخ الترك في اسيا الوسطى ، من ٦٥ وللمستشرق E.kunik نفس الرأ ي ويماثل هذا الرأي ما ورد في دائرة المعارف الامريكية (الانجليزية) المجلد ١٦ ، ص ٣٩١ ويكاد اكثر الباحثين الجدد يستشهرون بزأي الجغرافي العربي الشهير المسعودي في كتابة «التبنية والاشراف» تحقيق عبد الله الصاوي ص ٧٢ ·
- (٦) مقالة : الدكتور محمد محمد موسى الشبيخ ، الخزر وعلاقاتهم بالامبراطورية البيزنطينية مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، الرياض ، العدد (٤) ١٩٨٠ -
  - (٧) محاضرات الدكتورة ليلي الصباغ ، مطبوعة على الاستنسل ، ص ٨٩ في مجلة
- (8) Kimosko, Michael, Aroplar ve Hazarlar, TM. III, Lot. 1935. 133-155
  - ٩) الطبرى ٤/١٥٥ وفي ط · اوربا ، ٢٦٦٣/١ ، ٤ ـ ٥ ·
  - (١٠) الطبري ١٥٦/٤ \_ ١٥٧ ، ابن الاثير ، اسد الغابة ، ابن مسكويه ، تجارب الامم ط ١٩٠٩ ، ١٩٠٩ ٠
    - (۱۱) الطبري ، ۱۵۸/۶ ، تجارب الامم الى ٤٤١ ـ ٤٤٢ ابن خلدون ، ١٩٨٤ ٠
  - J. Marguart, Osteuropaesche und Ostansiatische Streigfzuge, Leipzeg, 1903, p. 491 (\frac{1}{2})
  - ص ۵۰ وما بعدها ۰ ويرى ان الحملات العربية استهدفت بلنجر والبيضاء في عام ٣٢ (١٥٢ - ١٥٣) وراجع Dunlop apad, H. Dursun, Turkler ve Islamiayt, s. 25 الما بعدما
    - (۱۳) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ١/ ٨٩ اخبار سنة ٣٢هـ وقبله . ذكر قدامه في هذه (ص ٣٢٥) .

      - (۱۶) الطبرى ، ۱/۳۰۶/۵ \_ ۲۸۸۹ ، ابن الاثير ، الكامل ، ٦٦/٣ ; (۱۵) ابن الاثير ، ٦٦/٣ · (١٦) الطبرى ، ٢٠٦/٤ ، ابن الاثير ٦٧/٣ ابن مسكويه ، ٢٤٣/١ ·
    - J. Wellhausen, Ulamin En Eski Tarihine Girio trc. Prof Fikret Iseltan, Ist. 1960, s. 93-99. (\v)
- (١٨) راجع عنه : ابن فيتيه ، المعارق ، تحقيق ثروت عكاشه ١٩٦٠ ص ٤٣٣، اليعقوبي ، التاريخ ١٥٦/٢ ، قدامه الخراج ، ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ، خليفة ابن خياط، تحقيق العمري ١/ ١٣٩ ـ ١٣٩ البلاذري، الفتوح ٢/ ٢٤١٧، ابن عبدالبر، الاستيعاب ق ٢٠ على محمد البجاري مصر ص ١٣٢ ـ ٦٣٣ وغرة
- (١٩) قدامه ، الخراج ، ص ٣٢٩ ، ورد في كتاب الفتوح لابن اعثم ١٠٨/٢ ـ ١١٤ تداخل والتباس بين غردة عبدالرحمن داخيه سلمان ، ويذكر ان سبب غلية الخزر ان الخاقان هاجمه بـ (٣٠٠) الف شخص ، كذلك يذكر قبور المسلمين بأنها معروف بالبلنجر يقال ها قبود الشهداء الى يومنا هذا (ص ١١٤) وراجع حول حذيف وكتابه المصحف الشريف : محمد بن علي القضاعي ، مخطوطه استنبول ورقة ٨٠ الموسمة بكتابه الانباء بابناء الانبياء عليهم السلام وتواريخ الخلفاء ٠
  - والمليم الخزر خلال حكم الراشدين ، مجلة التربية والعلم ، العدد الرابع ايلول ١٩٨١ ص ٥٧ ٠

### التحدى الخزرى خلال خلافة بنى أمية

استطاع بنو أمية ان يوطدوا حكمهم ف جنوبى قفقاسيا اعتبارا من الربع الاول من القرن الثامن، واظهروا التفوق على غيرهم و ومن الجهة الاخرى أخذ البينزنطيون بسياسة الاستناد الى الخزر و

جرى الصراع العربى الخزرى حول مدينة (دربن) باب الابواب ، فانتقلت هذه القلعة من يد الى اخرى عدة مرات بين ٨٨ \_ ٢٠٦/٩٥ \_ ٢٠١٧(١) • جاء فى الطبرى ان مسلمة بن عبدالملك غزا الخزر (٢٠١/٨٩) حتى بلغ الباب (دربند) بن ناحية اذربيجان وفتح حصونا ومدائن هناك الفلم يقدم فكرة واضحة عن طبيعة هذه الحملة • وفى اخبار ٢٩/٩٠٧ ذكر ابن الاثير : "عزل الوليد عمه محمد بن مروان عن الجزيرة وأرمينيا واستعمل عليها اخاه مسلمة بن عبدالملك فغزا مسلمة [الخزر] من ناحية اذربيجان حتى بلغ الباب وفتح مدائن وحصونا ونصب عليها المجانيق الله المجانيق الله المجانيق الله وفتح مدائن وحصونا ونصب عليها المجانيق الله المجانيق الله المجانيق الله المجانيق الله المجانيق الله المجانية الرسيجان حتى بلغ الباب وفتح مدائن وحصونا ونصب عليها المجانيق الله المجانيق الله المجانيق الله المجانية المحانية المجانية المجاني

وفي السنة التالية (٩٢/ ٧١٠ – ٧١١م) حارب مسلمة البيزنطيين في جهة ملاطية ، وكذلك كان مسلمة نقسه القائد العام للحملة العربية التي حاصرت القسطنطينية عام ٧١٦/٩٨ ، والتي كانت نتائجها وخيمة اللجانب الاسلامي مما دعا الخليفة الزاهد عمر بن عبد العربية السندعي مسلمة ويطلب اليه القفول بمن معه من المسلمين ، ووجه اليه خيلًا عتاقا ، وطعاماً كثيراً وحث الناس على معونتهم ،

ويذكر أبن الاثير في حوادث ٩٩هـ ان الخزر اغاروا على اذربيجان فقتلوا جماعة من المسلمين فوجه الخليفة عمر بن عبدالعزيز جيشا عليهم بقيادة حاتم بن النعمان الباهلي فنكل المسلمون بهم ولم يقلت منهم الا اليسير ثم ارسلوا الى الخليفة بخمسين اسيراً من هؤلاء (١) و

يعتقد الاستاذ كموسكى ان هذه الغارة الخزرية كانت بتدبير من الامبراطور البيزنطى الماكر الجديد ليو وقد جرى البينزنطيون منذ زمن الامبراطور ثيودوسيوس الثانى على تأليب جموع الاقوام المتحالفة على الاعداء الخارجين عند تهديدهم بيزنطة والامثلة على هذه السياسة كثيرة (١) و

فقد حدث في هذه الاثناء ان الامبراطور البيزنطي استنجد بملك البلغار Terve الذي وجه جموعا كبيرة من البلغار مددا لبيزنطة واضرب المسلمين فكان ما كان من أمر فشل الحصار مما دعا بالخليفة عمر بن عبدالعزيز --

كما اسلفنا ... من استدعاء مسلمة ورفع الحصار عن القسطنطنية فتنفست بيزنطة الصعداء(١٠)٠٠

كان الموقف في بلاد الشام والجزيرة ذا علاقة حساسة بخطر خارجى حقيقى يتربص بالعرب الدوائر ذلك خطر الغارات التى يشتها الخزر بين فترة وأخرى على حدود الاسلام(١٠) -

ذكر ابن اعتم صاحب الفتوح : لما فرغ يزيد بن عبدالملك من مشكلة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وخضعت له البلاد ٠ دعا برجل من أهل حمص يقال له ثبيت النهراني فولاه بلاد «ارمينية» ، و«اذربيجان» وزوده بقوات من أهل الشام واهل الجزيرة حتى دخل بلاد ارمينية ولما سمعت به الخزر جمعت شملها وبلغ عدد قواتها (٣٠) ألفا تجمعت في موضع يقال له «مرج الحجارة» سنة ١٠٤٥ وقد أعان الخزر في هذه المعركة القفجاق وغيرهم من انواع الترك(١٠) فاسفرت المعركة عن خسارة المسلمين فقتل منهم عدد كبير واقبل المنهزمون الى الشام فقدموا على يزيد بن عبدالملك بينهم ثبيت فوبخهم يزيد على الهزيمة فاغتم لذلك غماً شديداً(١١١) • على اثر هذه الخسارة جمع الخزر حشداً كبيراً وطمعوا في البلاد(٢١) وعادوا للعمل بعنف شديد الأمر الذي اثار ابدوره رد فعل عربی اقوی ۰ فاراد بزید ان یضع حداً لإحداث من هذا القبيل اولا ولكي يشعر الخزر بقوة العرب ثانيا • لذلك اعطى ولاية ارمينيا الى عهدة قائد عرك الحياة واكتسب التجارب ذلك هو الجراح بن عبدالله الحكى الذي تتجاوب مؤهلاته مع أمال الخليفة(٢٢) -

ويبدو ان جبهة بيزنطة في هذه الاثناء غدت ناشطة بعد الخسائر التي لحقت بالمسلمين في حصار القسطنطنية (٧١٦/٩٨) لذا توجه الاهتمام نحو جبهة الخزر التي غدت الميدان الاساسي للحركات العسكرية توجه الجراح والياً على ارمينيا وقائدا على جيش كثيف لتأديب الخزر ويتحدث الطبرى عن هذه الحملة بايجاز بينما يذكرها ابن اعثم والبلعمي وابن الأثير اكثر تقصيلانا و

لقد سمع الخزر ان الجراح قادم على جيش كبير لذلك انكفاوا راجعين الى الباب ·

ومن الجهة الاخرى تقدم الجراح نحو برذعة ونزل بها الما حتى استراح اصحابه واراحوا دوابهم(۱۰) مثم وأصلح فيها المكاييل والموازين اقامها على العدل (۱۰) مثم سار نحو الخزر حتى عبر نهر الكر ودبر خطة انطلت على الخزر فقد نادى مناديه في الناس ان الجراح مقيم هنا عدة ايام فتزودوا بكميات وافرة من المبرد فسمع الخزر بالخبر بواسطة اعوانهم و فلما كان الليل أمر الجراح

بالسير مجدأ حتى بلغوا الباب والابواب فباغتوا الخزر وغنموا منهم كثيرا ٠ وعلى اثر هذا الحادث جمع الخزر شملهم وساروا بقيادة ابن الخاقان (١١) فالتقوا بالعرب عند نهر الران(١١١) وكان الجراح على رأس ٢٥ الفا من العرب(١) فنشبت معركة حامية اسفرت عن انتصار العرب وهزيمة الخزر فأخذ الجراح يتبعهم وفتح على طريقه القلاع حتى وصل بلنجر وكانت مدينة حصينة استولى عليها المسلمون عنوة في ربيع الاول من عام ١٠٤ (اب ــ ايلول ۷۲۲) فاصاب الفارس من الغنائم ۳۰۰ دينار ٠ وكانوا في هذه الموقعة بضعة وثلاثين الفأ(") بذلك يبدو ان مجاهدين انضموا الى الجراح خلال المعركة • فقد كتب الجراح الى يزيد بن عبدالملك وطلب منه المدد فوعده بذلك فادركه أجله قبل انفاذ الجيش فارسل هشام الى الجراح أقره على عمله ووعده بالمساعدة(١١١) • وفتح الجراح عدداً أخر من المدن والحصون من وراء بلنجر في ١٠٥هـــ (١٠) ٠ وفي عام ٧٢٥/١٠٧ عزل الجراح عن ارمينيا واذربیجان من قبل هشام بن عبدالملك الذي عین اخاه مسلمة بن عبدالملك بدلاً من القائد المشهور(٢٠) -

ومما هو جدير بالاشارة اليه ان تولي الجراح ارمينيا واذربيجان مرتين غير واضح فى كتاب ابن اعثم وكذلك عند قدامه صاحب الخراج ٠

بعد ان تولى مسلمة (سنة ١٠٧هــ) ارمينيا واذربيجان ارسل في (١٠٨هــ) الحارث ابن عمرو الطائى لحرب الخزر ذلك عندما استيقن ان ابن الخاقان سار تجاه اذربيجان محاصرا في طريقه مدنها منتقدة الحارث واخذ يمر بعدد من الرساتيق والقرى الخزرية فتقهقر الخزر وتبعهم الحارث حتى عبر نهر الرس حيث اشتبك معهم في معركة اخرى انهزم فيها ابن خاقان وهلك من جيشه عدد غفير وسار الحارث في المنطقة سيرة وسنة (١٠٠٠) مسنة (١٠٠٠)

وفى عام ٧٢٧/١٠٩ قاد مسلمة نفسه حملة على الخزر وهى حملة لا يتحدث عنها الطبرى انما ورد ذكرها في الازدى وابن الاثير ومؤداه ان مسلمة غزا ارض الخزر من ناحية اذربيجان فغنم وسبى وعاد سالماناً ٠

اعاد مسلمة حملته على الخزر في ١١٠هـ/٧٢٨ حدثت فيها الوقعة المشهورة بوقعة الملين لان المنطقة احاطها خلال هذه الاثناء ظروف جوية سيئة حالت دون تقدم مسلمة نحو الداخل كثيرا فاضطر على العودة ٠ ذكر هذه الحملة ديونيسيوس التلمحري والتاريخ السرياني الموجود في المتحف البريطاني ١٤٥٤٤ . هذه المحمود في المتحف البريطاني ١٤٥٤٤ . هذه

يقول خليفة ابن خياط (ت ٨٥٤/٢٤٠) ف تاريخه : «غزا مسلمة بلاد الخزر وهى الغزاة التي تسمى غزاة الطين هزم الاثراك الخزر لسبع خلون من جمادى الاخرة سنة ١١٠هـ .

وجاء فى الطبرى: «فمما كان فيها (١١٠هـ) من ذلك غزوة مسلمة بن عبدالملك الترك (الخزر) سار اليهم نحو باب اللان حتى لقى خاقان فى جموعه، فاقتتلوا قريبا من شهر وأصابهم مطر شديد فهزم الله خاقان فانصرف، فرجع مسلمة فسلك مسجد ذى القرنين»(٢١) م

وقد ذكر الذهبى ف حوادث ١١٠ هـ الموقعة بوضوح تام «وفيها كانت وقعة الطين التى التقى فيها مسلمة وطاعنه الخزر بقرب باب الابواب فاقتتلوا اياما كثيرة كان النصر لله الحمد وذلك في جماد الاخر(\*\*) وفي كتاب ابن تغرى بردى وردت المعركة انها كانت ملحمة عظيمة هزم الله فيها الكفار في سابع جماد الاخر و(١٧ سبتمبر ك١٨) وكأنه نقل الرواية من خليفة ابن خياط ٠

يذكر الاستاذ كموسكى : «وعقيب هذه الحملة استدعى مسلمة من قبل هشام وارسل بدلًا عنه الجراح خلال نفس السنة» •

ويرد في اخبار عام ١١١هـ/ ٧٢٩ عزل مسلمة وتعيين الجراح مرة اخرى وهو الولاية الثانية له ، لان الخزر اثناء تلك السنة قد تجاسروا واستولوا على مناطق من اذربيجان مرة اخرى • ذكر هذه الحادثة الطبرى قائلا : وفيها (١١١هـ) سارت الترك [الخزر] الى اذربيجان فلقيهم الحارث بن عمرو فهزمهم (١) وفيها (١١١هـ) ولى هشالم الجراح بن عبدالله الحكمى على ارمينيا وعزل الخاط مسلمة بن عبدالملك وهي الولاية الثانية للجراح» (١) •

مخلى الخِراح بلاد الخزر وغيرها فجمعت الخزر جموعا كثيرة مع ابن خاقان وكانت مسيرتهم الى بلاد الاسلام من ناحية اللان ، وأتوا اردبيل فحاصروها المحتى التقى معهم الجراح بمرج اردبيل وكانت معركة دامية وتكاثرت الخزر على المسلمين فاستشهد الجراح ومن معه سنة الخزر على المسلمين فاستشهد الجراح ومن معه سنة عام ١١٢هـ (وعند خليفة ابن خياط في ثمان بقين من رمضان عام ١١٢هـ) وكان قد استخلف اخاه الحجاج بن عبدالله على ارمينيا الله على الرمينيا الله على الله على الرمينيا الهـ الرمينيا الهـ الرمينيا الهـ المعلى ا

يشرح ابن اعثم هذه الحادثة بتفصيل اكثر ويقول: خرج الخزر وهم ينكلون بالمسلمين قتلاً ونهباً • وبلغ ذلك الجراح فكتب الى هشام يخبره بذلك ويسأله المدد فتباطأ هشام عن نصرة الجراح واقبلت الخزر حتى نزلوا قريبا من اردبيل وسار الجراح حتى بلغ قرية يقال لها شهر ازاد في مرج اردبيل ، فاستشهد الجراح ومن معه الاسبعمائة رجل او دون ذلك • • ولما سمع هشام بكى بكاء شديدا حتى علا نحبه وبل لحيته بدموعه وبكى المسلمون في كل بلد حزنا على الجراح واصحابه وسارت الخزر وسيطرت على اردبيل(٢٠) •

ولما استشهد الجراح طمع الخزر واوغلوا في البلاد حتى قاربوا الموصل وعظم الخطب على المسلمين(٢٠) -

وفى عام ۱۱۲ وجه هشام اخاه مسلمة عبدالملك في اثر الخزر(۲۵) وارسل على مقدمته سعيد بن عمرو الحرش(۲۱) •

يقول ابن اعثم: تناول سعيد بن عمرو الحرش اللواء ونزل الرقه واجتمع عنده ٣٠ الف، ووجه اليه هشام ب ١٠٠ الف درهم وبلغ مدينة خلاط [اخلاط الحالية] وفتحها حتى صار الى برذعة ونزل البيلقان [فبعث الخاقان بطراخنته] واستطاع سعيد عند حصن باجروان من ابادة اعداد هائلة من الخزر(٢٠)

ويقول اليعقوبي ان سعيدا هزم الخزر وقتل عامتهم واستنقذ الاساري المسلمين منهم وعددهم ۱۰ آلاف وفعل ذلك مرة بعد مرة وقتل ابن خاقان وفتح عدة مدائن ووجه برأس ابن خاقان الى هشام (٢٠٠٠) وعند ياجروان اخرج من غنائم الخزر الخمس وقسم الباقي بين المسلمين فبلغ نصيب كل واحد منهم ۱۸۰۰ دينار سوى الاثاث والدواب (٢٠٠٠)

كانت معارك سعيد سببا مهما في رجحان قوة المسلمين بعد ذلك على الخزر('') ويبدو من المراجع ان هشاما بعث في عام ١٩٢هـ/ ٧٣٠ سعيد بن عمرو الى هذه البلاد ليوجه ضربة قاصمة على الخزر والثأر للشهيد الجراح وفي الوقت نفسه عين مسلمة بن عبدالملك أميرا جديدا على البلاد بدلا من الشهيد الجراح('') .

ويذكر ان مسلمة لام سعيدا على قتاله الخزر قبل قدومه ويعلمه انه قد ولى أمر عسكره عبدالمك أثر مسلم العسكر أخذه رسول مسلمة فقيدة وحمله الى برذعة فحبس في سجنها •

ولما علم هشام بالحادث المؤسف كتب الى مسلمة يلومه على ذلك ووجه برسل من جانبه حتى اخرجوا سعيد بن عمرو الحرش من السجن وحملوه اليه(٢١٠) •

ولایة مروان بن محمد ارمینیا واذربیجان فی ۱۱۶هـ (۷۳۲ \_ ۷۳۲م) ۰

بلغ مسلمة بن عبدالملك في ١٩٣٨هـ (٧٣١ ـ ٧٣٢م) جبال بلنجر وتغلب على الخزر ، الا انه انسحب الى دربند دون ان يتوغل في الداخل ويخوض معارك مهمة مع هؤلاء ، ذكر ابن الاثير ان تراجع مسلمة واهماله وطلبه السلامة كان سبب عزله ولعب مروان دوراً مهماً في ذلك (١٠) ،

كان هشام بأمس الحاجة الى قطعات عسكرية لصد الخزير وفى ٧٣٢/١١٤ عهد جميع مناطق الجزيرة وارمينيا واذربيجان لمروان بن محمد الذى خبر مشاكل المنطقة طويلا وكان قائدا لامعا واعطاه هشام جميع الصلاحيات ٤٠ فسار مروان الى ارمينيا ومعه (١٠٠٠) الف من الشام والعراق والجزيرة فاجتاح قلاعها وحصل على

غنائم كبيرة (13) ودخل باب اللان (دريال) حتى صار الى سمندر وهى مدينة خزرية مشهورة(13) •

ان أعظم حملة عسكرية قام بها مروان خلال فترة ولايته بل خلال الحروب العربية الخزرية ، حصلت في ١١٩هـ/٧ \_ ٧٢م ٠

اجتاح مروان بلنجر وسمندر وانتهى الى البيضاء (اتل عاصمة الخزر) على نهر الفولغا حيث مقر الخاقان (۱۱) الذي لاذ بالفرار من بين يدى مروان ولحق بالجبال •

يقول ابن اعتم اغار مروان على الصقالبة [يقصد هنا البغار الوثنيين] وما يليه من اصناف الكفار وكذلك باغت القائد الخزرى (خزر طرخان) فجزع ملك الخزر على ذلك (١٠) فلم يسمح مروان بفرصة للخاقان أن يتهيأ للقيام بهجوم مقابل(٢٠) •

وفى رواية كل من ابن الاعثم('') والبلعجى('') أن قوام جيش مروان كان ١٥٠ ألف مقاتل • ويبدو من الروايات ان الحركات العسكرية جرت على الوجه التالى :

من مدينة كسك (قازاخ الحالية KASAH اليوم) الواقعة على نهر الكر الى مدينة سمندر ٠ وأرسل قسماً من الجيش الى بلاد الخزر من جهة دربند وقسما اخر وهو القسم الاكبر كان بقيادته فدخل محور (دريال) اللأن ودخل أرض العدو في زمن غير منتظر ، فأندحر الخزر وانسحبوا تحو الداخل وتحرك مروان نحو العاصِمة مدينة البيضاء وحاصرها دون أن يتعثر بمقاومة تذكرك أما الخاقان فقد انسحب نحو شمالي العاصمة (أو إلى الجهة الثانية من نهر الفولغا) وارسل جيشا من ٤٠ الف بقيادة قائده (خزر طرخان) الذي اشتبك ف معركة مع العرب الا ان معارف مروان العسكرية وشجاعته لعبت دوراً في الحاق الخزر بهزائم منكرة ٠ عندئذ تهاوت قوة الخاقان فلم يعد يَقُوَ من مقاومة الجند العربي(٥١) وطلب الصلح وأعلن اسلامه واسلم معه خلق كثير واقره مروان على ملكه ثم أخاه اخوة الاسلام وودعه قبل هداياه ثم سار راجعا الى باب الابواب ومعه سبى الكفار اربعون ألف أو يزيدون اسكنهم في جنوبي دربند ٠ ارسل مروان الى الخزر فقيهين وهما نوح بن ثابت الاسدي وعبدالرحمن الخولاني يبصران الناس بالدين(١٠٠) بعده كتب الى هشام يخبره بذلك ووجه اليه الخمس

يقال أن مروان شتى فى كسك وفى الربيع عبر نهر الكر وفى طريقه اهتبل الفرصة واخضع عدداً من الامارات والقلاع وفتح ارمينيا واذربيجان جميعا فتوقفت المعارك بين العرب والخزر بعد هذه الانتصارات الباهرة التى حققها مروان والهزائم التى لحقت بالخزر الا أن

اسلام الخاقان لم يطل كثيرا فقد ارتد الى دينه السابق عقب انسحاب العرب عن بلاده ٠

عاد مروان بعد ان علم بقتل الوليد بن يزيد والاضطرابات في الدولة وولى ارمينيا محمد بن اسحق بن مسبلم(۵۶) »

#### الهوامش

- (١) كتاب تاريخ الخزر بالروسية An. Artamanous عرف الكتاب تعريفاً ضافيا في مقالة كتبها البروفسور A.N.Kurat نشرتها مجلة الدراسات التاريخية T.D الصادرة باللغة التركية في انقرة ، المجلد الثالث ، العدد ٤ .. ه ، ١٩٦٥ ·
  - (٢) الطبرى ، ٦/١٤١ -

7

- ۱۱۹/٤ أبن الاثير الكامل ، ١١٩/٤ -
- (٤) اليعقوبي ٣/٥٠، الطبري ٦/٥٥٠.
- (°) راجع في هذا الصدد (الطبرى ٦/٤٥٥ وابن الاثير، اوردنا نصه من ٤/١٥٤. وقد ورد النص في اليعقوبي على وجه فيه اختلاف ٣/٥٠ وكذا في ابن اعتم، ٢٠٠/٧ \_ ٣٢١ ٠
  - (٦) كموسكي ، نفس المقالة ٠
  - (٧) كمرسكي، نفس المقالة -
  - M. A. Shaban, Islamic History. I, P. 144 (A)
    - (۹) ابن اعثم ۲۱/۸ ۲۸ ۰
- (١٠) ابن الاثير، الكامل في حوادث ١٠٤، ١٨٦/٤ ومن المحتمل أن أبن الإثبر استفاد حول هذا الموضوع وحول موضوع الجراح \_ كما سوف نرى \_ من ابن اعثم او انهما استفادا من مصدر مشترك • فثمة تشابه حتى في صباغة النصوص • راجع البروفسور . D.T.ve C. Fak. D. حزيران ١٩٤٩ ، العدد (٢) -
- (١١) ابن اعثم ، ٢٨/٨ ، ابن الاثير ١٨٦/٤ ، كموسكي ، نفس المقالة وراجع البروفسور فصل الخزر H. Dursun, Turkler ve Islamiyet
  - (١٢) ابن الاثير، نفس الصفحة
    - (١٣) كموسكي، نفس المقالة -
  - (١٤) الطبري ١٥/٧، ابن اعتم، ٢٩/٨ وما بعدها، البلكسيّ ٤/٧٪ وَمَا يَعَمَّمَا ابنَ الأَثْير ١٨٧/٤، كموسكو ١٥٠٠
    - (۱۵) البلعمي ، ن ، ص ، ابن الاثير ، ن ، ص . ٠
    - (١٦) البلاذري ٢٤٣/١، الخراج لقدامه، ط. الحديثة، ص ٢٣٠٠
    - (۱۷) يرد الاسم باشكال عديدة ، راجع Dunlop ص ٦٣ ملاحظة ٢٨ ·
      - (۱۸) این الاثیر ۱۸۷/۶ ۰
      - ۱۹) این اعثم ۲۱/۸ .
      - (۲۰) ابن الاثیر، ن . ص . ۰
      - (۲۱) ابن الاثير، ن. ص.٠
      - (٢٢) الطبرى ، ٢١/٧ ، ابن الاثير ١٩٣/٤ ٠
    - (٢٣) اليعقوبي ٢/ ٣٨٠ ط. اوربا اخبار ١٠٧، ابن الاثير ١٩٨/٤٠ (٢٤) الازدى (ت ٩٤٥/٣٣٤) تاريخ الموصل، القاهرة، ٩٦٧، ص ٢٧ ابن الاثير ١٩٩/٤٠
      - (۲۰) الازدی، ص ۲۹، این الاثیر، ۱/۲۰۱ -
    - (٢٦) خليفة ابن خياط، تاريخ، تحقيق سهيل ركار، ص ٤٩٧، الطبرى ٥٤/٧ ابن الاثير ٤/٥٠٠٠
  - وسد ذي القرنين هو ما يعرف باسم سد الاسكندر وهو غير سده الاصغر الذي يمتد من الجبال حتى مدينة باب الابواب وجاء في دربند نامه انه اقيم من قبل ذي القرنين كحد فاصل بين الفرس والخزر - مقالة عبدالمتعم مختار ص ٦٢ في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق تعوز ١٩٧٩ ص ٥٦٧ دريند نامه هو ترجمة ميزا كاظم بك من نسبخة تركية منتخبة ، دربند تاريخي ٣٩ ص ، ۱۸۵۱ ، بطرسبوغ ۰ راجع کموسکی ۰
  - (٢٧) الذهبي ، كتاب العبر ، ١٣٤/١ ، كذلك يثبت كاتب حلبي (حاجي خليفة) الموقعة في عام ١١٠هـ عند باب الالوان ، تقويم التواريخ ، ص ۳۵ -
    - (۲۸) الطبري ، ۱۷/۷ ، ابن الاثير ۱۰۷/۶ -
  - (٢٩) ابن الازدى ، ص ٣٠ ، ابن الاثير ، ن . ص . ابن حمدون ، التذكر والحمدونية نسخة مصورة في الدراسات العليا حـ ١٢ ، احداث · \_4114 \_ 11.



.

«التاريخ هو المحصلة النهائية التي تقررها ارادة الامة»



.

# كانم ـ برنو بالسودان الأوسط في العصر الوسيط علاقات تاريخية عريقة بالعرب والمسلمين

د. أمين توفيق الطيبي
 أستاذ : بجامعة الفاتح
 طرابلس الغرب

#### تمهيد :

عرفت منطقة بحيرة تشاد عند المؤرخين والجغرافيين العرب في القرون الوسطى باسم السودان الأوسط وقد تعرضت المنطقة من جبال تبستي شمالا الى بحيرة فطرى جنوبا خلال العشرين الف سنة الماضية لتغييرات مناخية مذهلة كان لها آثار كبرى على حياة الانسان فيها ، فالطرف الشمالي من المنطقة كانت تغطيه بحيرة تشاد الكبرى – بحجم بحر قزوين – وكانت تمتد الى مرتفعات تبستي ، ثم حدثت تغييرات كبرى في المناخ في حدود سنة الكبرى – بحجم بحر قزوين – وكانت تمتد الى مرتفعات تبستي ، ثم حدثت تغييرات كبرى في المناخ في حدود سنة وتتبعق ق م ، تقلصت بسببها مساحة البحيرة وتأثرت المنطقة بالتالي من حيث النباتات والحيوانات ونتيجة لهذه التغييرات ساد المنطقة مناخ حار جاف بعد ان كان مناخها اكثر مطرا واعتدالا وكان من نتائج الجفاف تناقص السكان في الجزء الشمالي من المنطقة وتمركزهم في اللجنوب و

ان هذه الهجرة القديمة من الشمال الى الجنوب نجد صداها ف الروايات الشفوية الكثيرة المتواترة عند سكان بلاد الهوسا وكانم في الوقت الحاضر وثمة دلائل كثيرة على أن التصحر ادى الى ظهور جماعتين: الجماعة الناطقة باللغات التشادية في بلاد الهوسا وبرنو غربي بحيرة تشاد، والجماعة الناطقة بلغات نيدا دزا في كانم الى الشمال الشرقي من البحيرة، وفي الجنوب تنتشر لغات مختلفة تعرف بلغات نيجر كونغولا وكانم الى الشمال الشرقي من البحيرة، وفي الجنوب تنتشر لغات مختلفة تعرف بلغات نيجر كونغولا وكانم الى الشمال الشرقي من البحيرة وفي الجنوب تنتشر لغات مختلفة تعرف بلغات نيجر كونغولا وكانم الى الشمال الشرقي من البحيرة وفي الجنوب تنتشر لغات مختلفة تعرف بلغات نيجر الموادد الموادد والموادد والموا

Smith, A., "The Early States of the Central Sudan", in *History of West Africa*, Vol. I, edit. Ajayi and Crowder, (1) London 1979, pp. 152, 154, 156, 158.

تفيد روايات الكنورى (أهل كانم) بأن بطلا عربيا عظیما اسمه سیف بن ذی بن سیطر علی جماعة من الرحل تعرف باسم ماجومي كانت تعيش الى الشمال الشرقى من بحيرة تشاد ، ثم بسط وذريته نفوذهم على عدد آخر من القبائل اصبحت تعرف معا باسم الشعب الكنوري \_ شعب كانم \_ وقد تم ذلك بمساعدة قبيلة ماجومي ، ويفضل الغرسان ، وسياسة التزاوج مع القبائل مما دعم من مركز الاسرة الحاكمة (٢) ٠

ان ما يسترعى الانتباه ان الروايات تعزو قيام الاسر الحاكمة الاولى في بلدان السبودان الاوسيط والسبودان الغربي الى مهاجرين قدموا من اليمن قبل ظهور الاسلام ٠ ان منطقة جنوب غربى آسيا والجزيرة العربية على وجه الخصوص - كانت قبل عدة قرون من بدء الفتوحات العربية الاسلامية في القرن السابع الميلادي تفرغ الفائض من سكانها عبر البحر الاحمر ويرزخ السويس • وتفيد الروايات الاسلامية الاولى بأن فتح الاحباش لليمن في القرن السادس الميلادي جاء في فترة مجاعة وصعوبات المت باليمن تتمثل في خراب سد مأرب في الربع الثالث من القرن السادس الميلادي ، مما تسبب ف نزوح افواج كبيرة من المزارعين اليمنيين عبر البحر الاحمر الي السودان (۳) ۱

ومع ان القرطاجنيين والرومان لم يتجاوز حكمهم الى جنوب الصحراء الكبرى ، فأن عالمي البحر والتوصط والسودان جنوبي الصحراء كانا على اتصال غير مباشر في العصور القديمة ، ويرجع حجم لبدة ورخاءها الى كونها بداية لطريق عبر الصحراء الى بلاد السودان عن طريق فزان ٠ وحتى سنة ٥٠٠ ق ٠ م ٠ ، كان شجار قرطاجنة يفدون للتجارة مع سكان تبستي ، الذين كانوا يعيشون في بلاد ممطرة كثيرة التماسيح والزراف ١ ان ما يترفر لدينا من الادلة يشير الى أن تجارة قديمة كانت قائمة بين سكان الصحراء كافة وبين سكان شمال افريقيا وازدادت تلك التجارة بقدوم الجمل في القرنين الاول والثاني الميلاديين وفي الفترة من ١٠٠٠ ق ٠ م ٠ إلى ١٠٠٠ م اخذ المزارعون بجنوب الصحراء ينتقلون

جنويا اثر تناقص المطر والماء ناقلين معهم تجارة عبر الصحراء ولما كانت بلاد برنو غربي بحيرة تشاد اكثر مطرا وخضرة من كانم الى الشمال الشرقى من البحيرة فانها اجتذبت سلاطين كانم وأتباعهم فكان النزوح والاستقرار في برنو منذ وقت مبكر (٤) ٠

1

ان تأثير الشمال لم ينحصر في التجارة ، فمؤرخو السبودان الغربي - كعبد الرحمن السعدى في القرن السامع عشر \_ يذكرون أن ملوك غانة الأول كانوا من البيض من الشمال • وكذلك الحال بالنسبة للهوسا في شمال نيجيريا وبالنسبة لكانم ـ برنو وبالنسبة لصنغاي بالاساطير تذكر أن هذه المالك قامت نثيجة لهجرات من الشمال عبر الصحراء ومن الشرق من ناحية وادى النيل · ان هذه الاساطير تعنى بالشمال جدود الطوارق والزغاوة حيث ينتشر استعمال اللثام وحيث الوراثة عن طريق الأم (٥) ٠

وضمت الى شعب كانم خلال القرن الثانى عشر الميلادي جماعتان اخريان من الناطقة بلغة تيدا - درا (التبو) وأهمها سكان واحات كرار ، ولعل هذا التوسع شمالا يدل على ما كان لطريق القوافل عبر الصحراء المار بواحات كوار من اهمية متزايدة للاسرة السيفية الحاكمة في كانم ٠

وفي اواخر القرن الرابع عشر الميلادي نسمع لاول مرة عن آهدوم عرب رحل الى منطقة بحيرة تشاد ، وهم من ذرية العرب الهلاليين الذين كانوا قد رحلوا عن مصر في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، وكان وصول هذه القبائل العربية في الوقت الذي أجبرت فيه هجمات قبائل البلالة الاسرة السيفية الحاكمة في كانم على الخروج من كانم والاستقرار نهائيا في برنو غربي بحيرة تشاد • فهل كان لغزوات البلالة صلة بقدوم هذه القبائل العربية الهلالية في أعقاب انهيار مملكة النوتة المسيحية. في مطلع القرن الرابع عشر الميلادي ؟ ويذكر الامام احمد بن فرتوة ان العرب والتبو كانوا في اواخر القرن السادس عشر الميلادي من جملة حلفاء البلالة (٦) ٠

المندر السابق ص ١٥٩ ـ ١٦١ **(Y)** 

Oliver, R., and Fage, J.D., A Short History of Africa, Penguin Books 1973, pp. 51-52. **(**Y)

Cohen, R., The Kanuri of Bornu, New York 1967, pp. 13, 15. (£).

A Short History of Africa, pp. 63-64. (0)

Lange, D., "The Kingdoms and Peoples of Chad", in General History of Africa, IV, edit. D.T = Niane, UNESCO. (1) 1984, p. 258.

## المصادر العربية لتأريخ كانم ـ برنو الى القرن السادس عشر

إن المصادر العربية \_ كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات والمعاجم والسير - هي المصادر الخارجية الوحيدة لمعلوماتنا عن كانم \_ برنو في القرون الوسطى • كما هو الحال بالنسبة لتأريخ ممالك السودان الغربي \_ غانة ومالي وصنغاي • ويدخول الاسلام الى بلاد كانم في اوائل القرن الثاني عشر للميلاد اصبح لدى الكنوري لغة للكتابة \_ اللغة العربية \_ دونوا بها بعض اخبارهم كما نجدها في (ديوان سلاطين برنو) وفي تاريخ الامام احمد بن فرتوة لعهد السلطان ادريس علومه وحروبه في الربع الاخير من القرن السادس عشر ، وفي المحارم أو المراسيم التي كان يصدرها السلاطين لبعض الفقهاء ، فضلا عن الروايات الشفوية المتواترة في المنطقة كتلك التي تتحدث عن أصل الاسرة السيفية الحاكمة • وهي كلها مصادر داخلية لتاريخ كانم \_ برنو تلي المصادر العربية التي هي المعول عليها في المقام الاول من قبل الباحث في تاريخ السودان الاوسط في القرون الوسطى •

ان المصنفين العرب ـ باستثناء الحسن الوزان الذي زار كانم ـ برنو مرتين ـ اعتمدوا في معلوماتهم عَن آليلاد على النجار والفقهاء كانوا يختلفون على البلاد كما استقوا بعض المعلومات من الكانميين انفسهم الذين كانوا يزورون الحواضر العربية طلبا للعلم او للتجارة او في سفارات عن سلاطينهم او في طريقهم لتأدية فريضة الحج ويلاحظ ان معلومات الجغرافيين العرب عن كانم اوف منها عن برنو لا سيما فيما يتعلق بطبوغرافية البلاد،

ولما كنا سنقتبس من مختلف المصادر العربية الاصلية في ثنايا هذه الدراسة عند الحديث عن تاريخ كانم ـ برنو ووصول الاسلام اليها ، وعن علاقاتها التجارية بالشمال الافريقي ، فاننا سنقتصر فيما يلي على سرد اسماء المؤلفين وكتبهم وزمن التأليف :

- ابن عبد الحكم (ت ٨٧١م) وله كتاب (فتوح مصر والمغرب)
- ۲ ـ البعقوبي (ت ۸۹۷م) وله (التاريخ و(كتاب البلدان) ۰

- ۲ المهلبی (اواخر القرن العاشر المیلادي) و وام
   تصلنا من کتابه (العزیزي) سوی مقتطفات
   اوردها یاقوت الحموي فی (معجم البلدان)
- ٤ البكري (ت ١٠٩٤م) صاحب كتأب (المسالك والممالك) •
- الادریسی (منتصف القرن الثانی عشر للمیلاد)
   صاحب کتاب (نزهة المشتاق فی اختراق الآفاق)
- آ (کتاب الاستبصار فی عجائب الامصار) لمؤلف مجهول الاسم صنف کتابه فی مدینة مراکش فی اواخر القرن الثانی عشر \*
- ٧ ابن سعید المغربی (ت ١٢٨٦م) وله (کتاب الجغرافیا) الذی یعتمد فیه علی الادریسی وعلی الرحالة والجغرافی ابن فاطمة الذي عاش في القرن الثانی عشر ٠
- ٨ ابو الفداء (ت ١٣٣١م) صاحب كتاب (تقويم البلدان) وفيه يعتمد على ابن سعيد فيما يتعلق بمنطقة بحيرة تشاد ٠
- ٩ ابن بطوطة صاحب الرحلة وقد زار السودان
   الغربي في سنة ٢ ١٣٥٣م ٠
- ۱۰ العمري (ت ۱۳۹۹م) صاحب كتابى (مسالك الابصار في ممالك الامصار) و(التعريف في الصالح الشريف) ومنهما يقتبس القلقشندي ٠
- ۱۱ ابن خلدون (ت ۱٤٠٦م) صاحب (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر)
- ۱۲ القلقشندي (ت ۱۱ ۱۸م) صاحب (صبح الاعشى في صناعة الإنشا) وفيه يورد معلومات عن منطقة كانم برنو مستقاة من (ممالك الابصار) و(التعريف) للعمري وعن مبعوث سلطان برنو الى سلطان مصر الملوكي الظاهر برقوق الله سلطان مصر الملوكي الظاهر برقوق
- ۱۳ ـ المقریزی (ت ۱۶٤۲م) صاحب (المواعظ والاعتبار
   ف ذکر الخطط والآثار)
- ۱۱ الشماخی (ت ۱۵۲۲م) صاحب (کتاب السیر)
   وفیه یترجم لنفر من اهل جبل نفوسه ممن کان
   یتردد علی بلاد کانم للتجارة ۰
- ۱۵ ـ الحسن الوزان (المعروف لدى الاوربيين باسم ليون الافريقي) الذى صنف كتابه (وصف افريقيا) بالايطالية في روما سنة ٢٥٢٦م بعد وقوعه اسيرا في ايدي القراصنة الصقليين قرب جزيرة جربة ٠
- ١٦ ـ احمد الناصري السلاوي (ت ١٨٩٧م) صاحب
   كتاب (الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى) .

# كانم ـ برنو : نبذة تاريخية الى القرن السادس عشر

ان اول ذكر لبلاد كانم \_ الى الشمال الشرقى من بحيرة تشاد \_ ورد على لسان اليعقوبى في اواخر القرن التاسع الميلادي اذ ذكر بأن «الزغاوة وهم النازلون بالموضع الذي يقال له كانم ، ومنازلهم اخصاص من القصب ، وليسوا بأصحاب مدن» • ويذكر اليعقوبى بأن اهل كوار وزويلة مسلمون يصدرون الرقيق الذي يبيعه لهم ملوك السودان (٧) •

وفي اواخر القرن العاشر الميلادي يذكر المهلبي بأن الزغاوة مدائن بلماء ومانان وترازاكي ويقول: «ومملكة الزغاوة مملكة عظيمة من ممالك السودان، في حد المشرق منها مملكة النوبة التي بأعلى صعيد مصر، وهي امم كثيرة ٠٠ وبيوتهم حصوص كلها وكذلك قصر ملكهم ويده مطلقة في رعاياه، ويسترق من شاء منهم، امواله المواشي من الغنم والبقر والجمال والخيل، وزروع بلدهم اكثرها الذرة واللوبياء ثم القمح ٠٠ وديانتهم عبادة ملوكهم

ويذكر الجغرافي الاندلسي ابو عبيد البكري في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي بأن اهل كانم مشكود أن مشركون ويزعمون ان هنالك قوما من بني امية صاروا اليها عند محنتهم بالعباسيين ، وهم على زي العرب وأحوالها» (٩) ٠

وفى منتصف القرن الثانى عشر الميلادي يذكر الشريف الادريسى من مدن كانم كونه ومانان وانجيمى ومدينة زغاوة التى يصفها بأنها «مدينة مجتمعة الكور ، كثيرة البشر ، وحولها خلق من الزغاويين يشيلون بإبلهم» (١٠) .

وتفید روایات الکنوری ـ ای اهل کانم ـ بأن احد الابطال العرب من اليمن ـ سيف بن ذي يزن ـ تمكن من السيطرة على جماعة من الرحل ... مجومي ... كانت تعيش الى الشمال الشرقى من بحيرة تشأد ثم بسط وعقبه نفوذهم وسلطانهم على عدد أخر من القبائل اصبحت تعرف باسم الشعب الكنوري وقد وطد السيفيون حكمهم بفضل قوة قبيلة مجومي ، ويفضل فرسانهم ، وانتهجوا سياسة المصاهرة مع القبائل الاخرى مما زاد من عدد القبائل الموالية لهم ، وتعزز مركزهم كذلك بفعل عامل ديني الا وهو قدسية الملوك • وقد اخذ الملوك السيفية ذلك عن الشعوب المستقرة التي احتكوا بها في بلاد كانم • وقد بدأ حكم الاسرة السيفية أو اليزنية في مطلع القرن التاسع الميلادي \_ وعرف ملوكهم بالمايات (جمع ماي يمعنى الحاكم او السلطان) واستمرت الاسرة السيفية تحكم كانم \_ برنو الى عام ١٨٤٦م ، وعلى ذلك فهي من اعرق الاسر المالكة في افريقيا وأطولها حكما ٠

ان اميراطورية كانم الأولى بلغت اوجها قوة واتساعا على عهد السلطان دونما دبيالامي في النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادي (حكم حوالي ١٢١٠ ـ ١٢٤٨م) ، وقد اشتهر غازيا وفاتحا وناشرا للاسلام الذي كان ملوك كانم قد اعتنقره دينا منذ مطلع القرن الثاني عشر للميلاد • ويتحدث ابن سعيد المغربي (ت سنة ١٢٨٦م) عن الغزوات التي كان يقوم بها السلطان دونها ديبالامي ضد القبائل الوثنية القاطنة حول بحيرة تشاد \_ نقلا عن الرحالة والجغرافي الشهير ابن فاطمة \_ فيقول: «ويحدق بها (بحيرة كوري اي بحيرة تشاد) من جميع جهاتها امم طاغية من السودان الكفرة الذين يأكلون الناس ٠٠ وعلى ركن البحيرة المغزاة حيث دار صناعة الكانم (لانشاء المراكب) ، وكثيرا ما يغزو من هنالك في اسطوله بلاد الكفار التي على جوانب هذه البحيرة ويقطع على مراكبهم فيقتل ويسمى ١١٨) . ويصف ابن سعيد دونما ديبالامي بانه «سلطان كانم المشهور بالجهاد وافعال الخير · · وعنده الفقهاء» (١٢).

<sup>·</sup> ۱۹۲ م. ۱۹۸۰ تاریخ الیعقوبی · بیروت ۱۹۸۰ · ۱/ص ۱۹۳

Hodgkin, Th., The Nigerian Perspectives, Oxford U.P. 1975, p. 88.

<sup>(</sup>٨) ينظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ٠ بيوت ١٩٧٩ ٠ ٣/ص ١٤٢٠ ٠

<sup>(</sup>٩) البكري : ابو عبيد عبدالله : المغرب في ذكر بلاد المغرب (قطعة مستخرجة من كتاب المسالك والممالك) • باريس ١٩٦٥ ، ص ١١ •

<sup>(</sup>١٠) الادريسي • محمد : وصف افريقيا الشمالية والصحراوية (مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) • الجزائر ١٩٥٧ ، ص ١٣ •

<sup>(</sup>١١) ابن سعيد ٠ علي : كتاب الجغرافيا ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٤٠٠

<sup>(</sup>۱۲) المصدر السابق - ص ۱۵ •

الا أن أهم توسع لكانم أنذاك كان في الشمال لتأمين طريق القوافل عبر الصحراء الى طرابلس وافريقيا، فتمت للسلطان دونما ديبالامي السيطرة على فزان ٠ وقد كانت منطقة فزان تحكمها منذ سنة ٣٠٦هـ/٨ \_ ١٩٩٩م اسرة بنى خطاب الهواريين اصحاب زويلة الى ان قضى على حكم الاسرة قراقوش الغزي سنة ٥٦٨هـ ٢ \_ ١١٧٣م . وعلى الاثر استصرخ الاهالي سلطان كانم الذي بادر الى تجهيز حملة قادها بنفسه الى فزان ونصب واليا وممثلا له في تراغن على بعد عشرين ميلا شرقى مرزوق ، يقول ابن سعيد انه تتبع سلطان كانم ـ دونما ديبالامي ـ اسلطنة تجوه (عاصمة الزغاوة) ومملكة كوارو ، ومملكة فزان (١٣) ٠ ويذكر التجاني أن رسل ملك كانم تمكنوا في عام ١٥٦هـ/٨ \_ ١٢٥٩م من قتل احد ابناء قراقوش الذي كان قد اغار على ودان بشمال فران بعد فراره من بلاط الحضيين بمدينة تونس «فأنفذ اليه ملك كانم من قتله وأراح تلك البلاد من فتنته ، وحمل رأسه الى بلاده فطيف بها ، وذلك في سنة ٢٥٦» (١٤) ·

وفي عهد السلطان دونما ديبالامي تعززت العلاقات مع الممالك الاسلامية بشمال افريقيا ، فهو الذي اسس في العقد الخامس من القرن السابع الهجري (٤٢ ـ ١٢٥٢م) مدرسة ابن رشيق في القاهرة لتكون نزلا لاقامة طلبة كانم الدارسين في مصر (١٥) ، وكان يتبادل السفارات والهدايا مع الملوك الحفصيين بتونس ويذكر ابن خلدون انه في سنة ١٥٥هـ/١٢٥٧م وفي سَعَةُ خمس وخمسين وستمائة وصلت الزرافة من قبل ملك السودان للأمير المستنصر فأقامت عدة أيام ، ثم أهداها لبعض ملوك النصارى» ابن قنفذ القسطنطيني : الغاية في مبادىء الدولة الحفصية ، تونس ١٩٦٨ ص ١٢ وصلت (الى السلطان المستنصر الحقصي بتونس) هدية ملك كانم ٠٠ وهو صاحب برنو ، مواطنة قبلة طرابلس ٠٠ وكان فيها الزرافة فكان لها بتونس مشهد عظيم برز اليها الجفلي من اهل البلد حتى غص بهم الفضاء» · (١٦)

تتحدث الروايات الكنورية عن متاعب كانم بعد عهد السلطان دونما ديبالامي بسبب تنازع الابناء

واستقلالهم في الولايات مما ادى الى تدخل قبائل البلالة (ابو ليلي) من الاراضي الواقعة جنوبي كانم ٠ ان الجماعة المعروفة باسم البلالة تدعى الانتساب الى ابنة احد سلاطين كانم الاوائل ، وعلى هذا الاساس. قام صراعها على الحكم مع الاسرة السيفية الحاكمة ف كانم.

كما واجه سلاطين كانم في اوائل القرن الرابع عشر الميلادي مقاومة شديدة من جانب القبائل غير الكنورية في جنوبي بحيرة تشاد والى الغرب منها ، وهي القبائل المعروفة باسم (سو) أو (ساو) ، وقد هلك اربعة من سلاطين كانم في قتال هذه القبائل ٠

وفي اواخر القرن الرابع عشر الميلادي نسمع لاول مرة عن وصول قبائل عربية الى منطقة بحيرة تشاد ، واليها تنتسب قبائل الشاوية الموجودة اليوم في كانم وبرنو ٠ ويبدو أن هذه القبائل العربية من ذرية القبائل الهلالية التي كانت قد رحلت من مصر في عهد الخليفة المستنصر بالله القاطمي ف منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ٠

ان كل هذه المتاعب والحروب كانت وبالا على مملكة كألهم مما اضطر السلطان عمر ابن ادريس (حكم حوالي ٢ - ١٣٨٧م) الى مبارحة العاصمة نجيمي والنزوح الى بلاد برنو غربی بحیرة تشاد ٠ وقد جاء في (دیوان سلاطين يرنو) ان السلطان عمر بن ادريس ثقلت عليه حروب البلالة ، فاجتمع بالعلماء واستشارهم في الأمر فقالوا له : أترك هذا المكان (كانم) فقد انتهى مقامنا هنا فجمع جيوشه وأمواله وشعبه وانتقل الى الجنوب ، ولم يعد بعده سلطان للاقامة في كانم (١٧) .

ومما يذكر انه منذ القدم وبخاصة منذ القرن الثاني عشر الميلادي ـ كانت جماعات من اهل كانم تنزح وتستقر في اقليم برنو غربي بحيرة تشاد حيث المناخ اقل جفافا ، واستمرت هذه الهجرة حتى بداية الفترة الاستعمارية في اواخر القرن التاسع عشر ، ولعل برنو قبل القرن الثالث عشر كانت مملكة مستقلة عن كانم ثم خضعت للوك كانم (۱۸) ٠

<sup>(</sup>١٢) المصدر السابق والصفحة ٠

<sup>(</sup>١٤) التجاني • عبدالله : رحلة التجاني ، تونس ١٩٥٨ ، ص ١١١٠ •

<sup>(</sup>١٥) القلقشندي ، احمد : صبيع الاعشى في صناعة الانشا ، القاهرة (بدون تاريخ) ، ٥/ص ٢٨١ ·

<sup>(</sup>١٦) ابن خلدون ، عبدالرحمن : كتاب العبر ، بيروت ١٩٥٩ ، ٦/ص ٢٥٢ ،

Palmer, H.R., The Diwan of the Sultans of Bornu, Lagos 1926, p. 88. (14)

 $<sup>(\</sup>lambda\lambda)$ 

وعنى اثر جلاء سلطان كانم وانتقاله الى برنو ، اقام البلالة مملكة قوية فى كانم ، وكان العرب وقبائل التبو حلفاءهم ، ويذكر الحسن الوزان فى مطلع القرن السادس عشر \_ وقد زار كلا من برنو وكانم \_ ان كانم كانت اوسع رقعة واقوى من برنو ، وكان لصاحبها علاقات ممتازة مع سلطان مصر فيقول : «ونال ملك كانم صداقة سلطان القاهرة ورعايته بفضل هداياه ومجاملاته ، وحصل منه على الاسلحة والاقمشة والخيل التى كان يدفع فيها ضعف ثمنها تظاهرا بالسخاء ، حتى جعل تجار مصر لا يقصدون غير بلاطه» ، (۱۹) ،

لم تستقر اوضاع ملوك الأسرة السيفية النازحين الى برنو الا في عهد على جاجي (غازي) في الربع الأخير من القرن الخامس عشر ، فقد انهى الصراع الاسري واختط ف حدود عام ١٤٨٤م عاصمة مسورة ثابتة ف جازاجابو اقام بها سلاطين برنو في القرون الثلاثة التالية ، ومنها اقاموا امبراطورية كانم ـ برنو الثانية • ويعتبر السلطان على جاجي المؤسس الحقيقي لسلطنة برنو وواحدا من اعظم سلاطين كانم \_ برنو الثلاثة الى جانب دونما ديبالامي وادريس علومة ، وهو الذي اتخذ لنفسه لقب (خليفة) وحذا حذوه في ذلك من جاء بعده من السلاطين • وفي القرن السادس عشر اخذ سلاطين الدولة الجديدة بزمام المبادرة ضد البلالة في كانم • فأجبر على لجاجي (حکم ۱٤۷۲ \_ ۱۵۰٤م) وابنه ادریس کاتاجارمایی (حكم ١٥٠٤ \_ ١٥٢٦م) قبائل البلالة على الخضيوع واستردت العاصمة القديمة نجيمي في كانم مد الالال السلاطين بقوا في برنو ومثلهم في نجيمي خليفة Alifa ، وأصبحت كانم أخر الامر ولاية تابعة لبرنو (٢٠)

ان القرن السادس عشر شهد انبعاث برنو وتأسيس امبراطورية كانم ـ برنو الثانية ، كما بدأ فيه اتصال برنو بالدولتين الاسلاميتين القريتين في شمال افريقيا ، وهما الامبراطورية العثمانية والمغرب الاقصى على عهد السعديين ، وفي الربع الأخير من القرن السادس عشر ، ولى في برنو اعظم سلاطينها ادريس علومه الذي جهز في بداية حكمه عدة حملات متوالية ناجحة ضد البلالة ،

ومع ان سلاطين برنو كانوا قد استردوا عاصمتهم القديمة نجيمي الا ان البلالة لم تتم هزيمتهم هزيمة ساحقة الا على يد السلطان ادريس علومة في الربع الأخير من القرن السادس عشر (٢١) ، اما فزان فانها ... في رأي احد الباحثين ـ بقيت تحت سيطرة كانم قرنا من الزمن وانتهت في ١٣١٠م حينما تمكن شريف مغربي ... المنتصر بن محمد ـ من طرد الكانميين ، وهو الذي اسس مرزق (٢٢) ،

وق عام ١٨٧٩م ذكر الرحالة الالماني الحسن الاطلاع جوستاف ناختيجال Nachtigal في كتابه (الصحراء والسودان ، برلين ١٨٧٩) انه في بداية القرن الثالث عشر كان سلطان ملوك كانم يشمل فزان الى ودان ، وظل الحال على ذلك طوال القرن الرابع عشر · كانت ترافن أنذاك عاصمة كانم ، فان منصب الحاكم في ترافن كان منصبا عاصمة كانم ، فان منصب الحاكم في ترافن كان منصبا ملك) ، وضريح الماي على معروف في ترافن \* كما ان في ترافن بقايا قلعة ، وعين ماء قديمة ، وعدة بساتين ، وأراضي براحا وأبارا ، ما زالت تحمل الى اليوم اسماء بلغة الكنوري ، اي لغة كانم - برنو (ينظر كتاب ناختيجال الذكور آنفا ، ١/ص ١٦٥) .

ويرى المؤرخ الايطالي اتوري روسي ان سيطرة كانم على فزان قد تكون بقيت حتى بداية القرن السادس عشر. ويذكر ناختيجال ظهور اسرة حاكمة محلية ضعيفة هى اسرة قرمان او خرمان فى فزان كان مقرها فى زويلة ، ويبدو ان هذه الجماعة حلت محلها بسرعة جماعة اخرى فيما بين عامى ١٥١٠م و١٥٥٠م تعرف بأولاد محمد ، وكان مؤسسها شريف من فاس \_ محمد الفاسي \_

كان اولاد محمد يسيطرون على فزان فى الوقت الذى استولى فيه الاتراك العثمانيون على مدينة طرابلس من ايدي فرسان مالطة وكما يقول ابن غلبون فان الاتراك استولوا على فزان ونصبوا عليها واليا اسمه مامي عام ٢/هـ/٢ ـ ١٩٨٣م وما ان خرجت الحامية التركية

وعاصمتها في سبها او مرزق ٠

<sup>(</sup>١٩) الوزان ، الحسن : وصف افريقيا ، الجزء الثاني ، الرباط ١٩٨٢ ، ص ١٧٩٠

Hiskett, M., The Development of Islam in West Africa, London 1984, p. 66. (Y)

Hodgkin, p. 33. (Y1)

Trimingham J.S., A History of Islam in West Africa, Oxford U.P. 1970, p. 116. (YY)

حتى ثار الاهالي وقتلوا الوالي التركي ومن معه ، ثم استدعوا الناصر بن المنتصر بن محمد ، وكان في كانم \_ فولى حكم فزان الى عام ١٠٠٨هـ/١٦٠٠م وخلفه ابنه المنصور ،

ويرى باحث أن أولاد محمد تمكنوا من السلطة بمساعدة برنو وكانوا تابعين لسلطانها فأذا صبح ذلك فأنه قد تكون ثمة مصلحة مشتركة بينهما ، وهي التجارة (٢٣) .

### وصول الاسلام وانتشاره في كانم \_ برنو

يبدو مما أورده المؤرخون والجغرافيون العرب ان الوثنية كانت تسود بلاد كانم حتى مطلع القرن السادس الهجري/الثانى عشر الميلادي و فالمهلمى في اواخر القرن العاشر الميلادي يقول ان الزغاوة يعظمون ملكهم «ويعبدونه من دون الله تعالى ، ويتوهمون انه لا يأكل الطعام و وديانتهم عبادة ملوكهم ، ويعتقدون انهم الذين يحيون ويميتون ويمرضون ويصحون (٢٤) ويقول ابو عبيد البكري في منتصف القرن الحادى عشر ان اهل كانم «سودان مشركون ، ويزعمون ان هنالك قوما من بني امية صاروا اليهم عند محنتهم بالعباسيين ، وهم على زي العرب واحوالها» (٢٥)

وكما هو معروف فان العرب المسلمين ـ وعلى رأسهم عقبة بن نافع ـ فتحوا فزان ونواحي واحة كوار في سنة ٢٤هـ/٦ ـ ٢٦٧م عبر الطريق القديم الذي كان يصل كانم بساحل طرابلس (٢٦) • ويبدو أن أولى التأثيرات الاسلامية في كانم تسربت اليها عن هذا الطريق لا من الشرق حيث كانت تقوم مملكة مسيحية ببلاد النوبة بأعلى صعيد مصر • وتقع كانم جنوبي كوار في منطقة كان لها صلات قديمة بالقرمنطيين Garamantes في فزان ، وقد جاء الاسلام إلى كانم عن طريق فزان وبرقة ومصر (٢٧)

ان اهل كانم ـ بحكم موقع بلادهم ـ كان لا بد لهم من الاتصال بالعرب المسلمين في الشمال ، وقد بدا دخول الاسلام الى كانم سلميا على ايدي التجار والفقهاء ، وكما حدث في غانة في السودان الغربي فلا بد انه استقرت في مدن كانم جاليات اسلامية منذ وقت مبكر واكتسبت اهمية بحكم صلاتها بالتجارة الخارجية ، وفي مثل هذه الظروف اعتنقت الاسرة الحاكمة في كانم الدين الاسلامي (٢٨) ، ويرى باحثان متخصصان بتاريخ القارة الافريقية ان اسلام ملوك كانم يحتمل ان يكون سبق اسلام ملوك غانة وان اسلامهم كان يرجع الى اتصالاتهم بالتجار وان اسلامهم كان يرجع الى اتصالاتهم بالتجار السلامين القادمين من افريقيا (٢٩) ، وكان من نتائج المسلمين القادمين من افريقيا (٢٩) ، وكان من نتائج المسلمية العربية ، مما جعل المراحل الرئيسية لتاريخهم مدونة معروفة (٣٠) ،

<sup>(</sup>۲۳) ینظر :

وما بعدها ٠ العدما ٠ العدما ١٩٧٤ ، العدما ١٩٧٤ ، تعريب خليفة التليسي ١٩٧٤ ، ص ٢٢٨ وما بعدها ١٩٧٤ . Martin, B.G., "Mai Idris of Bornu and the Ottoman Turks, 1976-78," in Journal of Middle Eastern Studies, 3 (1972), pp. 484-486.

<sup>(</sup>٣٤) ينظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٣/ص ١٤٢ -

<sup>(</sup>۲۵) البكري ۱

<sup>(</sup>٢٦) ابن عبد الحكم ، عبدالرحمن : فتوح مصر والمغرب ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٢ ـ ٣٦٤ -

Trimingham, p. 107. Smith, p. 165. (YV)

Smith, p. 166 (YA)

Oliver and Fage, p. 82 (74)

Trimingham, p. 107 (T')

وبدل بعض المصادر على ان اسلام كانم قد يرجع الى ما قبل القرن التاسع الميلادي • اذ ان حُمى اول من اسلم من ملوكهم قد يكون اصله من واحة كوار التى كان سكانها قد اعتنقوا الاسلام في وقت مبكر ، فاليعقوبي في اواخر القرن العاشر الميلادي يقول ان سكان كوار مسلمون من عدة قبائل (٣١) ، وثمة باحث حديث يرى ان الاسلام دخل الى كانم في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي عن طريق قبائل التبو (٣٢) • وخلاصة القول انه بدا وصول الاسلام الى بلاد كانم

منذ أن فتح العرب المسلمون فزان وكوار ، ومنهما أخذ الاسلام في الانتشار رويدا رويدا في السودان الاوسط عن طريق الجاليات من تجار المسلمين في البلاد ، وفي منتصف القرن الثامن الميلادي وصل نفر من بني امية وهم مسلمون - الى كانم فرارا من بطش العباسيين واستقروا في البلاد ، وفي الترجمة التي عقدها الشماخي في (كتاب السير) لابي عبدالله محمد بن عبدالحميد والى جبل نفوسة للائمة الرستميين بتاهرت في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي - يقول أن أبا عبدالله كان يتكلم لسان بلاد كانم ، أي الكنوري ، فمن المرجح أن أبا عبدالله كا يتردد على بلاد كانم تاجرا وفيها تعلم أن أبا عبدالله كا يتردد على بلاد كانم تاجرا وفيها تعلم الوصول إلى كانم في وقت مبكر ومن الشمال (٣٣) ن الوصول إلى كانم في وقت مبكر ومن الشمال (٣٣) ن

السيفية المالكة في كانم منذ تأسيسها في حدود عام المرابع الم

الى نهاية حكم الاسرة عام ١٨٤٦م • وقد جَاء قَرَ هذا

الديوان ان اول من اسلم من ملوك الاسرة هو حمى بن سلعمة (حكم حوالي ١٠٨٥ – ١٠٩٧م) ويؤيد ذلك محرم اصدره حميّ لشريف اسمه محمد بن مانى كان قد تم اسلام الملك على يديه ، وأصبحت ذريته ائمة نجيمي ثم جازاجامو ، ومن بينهم كان مستشارو السلاطين الى اواخر القرن السادس عشر ، والمحرم خطاب او مرسوم كان يعدو عن السلطان وهو يتعلق بمنح صاحبه امتيازات موروثة كالاعفاء من الضرائب والخدمة العسكرية وواجبات الاستضافة ، وينص محرم حمى المذكور على ان اموال محمد بن مانى «حرام» على ابناء حمى الى يوم الدين (٣٤) ، ولا شك في ان حمى وسلاطين كانم من بعده اخذوا اعتناقهم الدين الجديد مأخذا جديا وعملوا على نشر الاسلام بين رعاياهم ،

اما العمري (ت ١٣٤٩م) فيقول ان اول من نشر الاسلام في كانم الهادي العثماني الذي ادعى انه من ولد الخليفة عثمان بن عفان ولعل لذكر الهادى العثماني صلة برواية البكري عن وصول اموريين وهم من شيعة عثمان وأنصباره واستقرارهم في كانم فرارا من العباسيين (٣٥)

ويقول صاحب (كتاب الاستبصار) ــ وقد صنف كتابه في مدينة مراكش في اواخر القرن الثاني عشر للميلاد ــ ان اهل كانم «اسلموا بعد الخمسمائة «٢ ــ ١١٠٧م» (٢٦) هذا وتفيد احدى روايات الهوسا بأن أبا زيد الفزاري (نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) هو الذي نشر الاسلام في كانم ويركو (٣٧) .

Lange, p. 239 (71)

<sup>(</sup>٣٢) دائرة المُعارف الاسلامية ، الطبعة الثانية ، باللغة الانجليزية ، المجلد الرابع ، ليدن ١٩٧٣ ، ص ٥٥٠ ٠

Lewicki, T., Arabic External Sources for the History of Africa, London - Lagos 1974, p. 97. (77)

Trimingham, p.115. Hodgkin, p. 89. (71)

<sup>(</sup>۳۵) ينظر القلقشندي ، ٥/ص ۲۸۹ ٠

<sup>(</sup>٣٦) مؤلف مجهول الاسم : كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ، الاسكندرية ١٩٥٨ ، ص ١٤٦ -

<sup>(</sup>٣٧) دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الثانية ، باللغة الانجليزية ، ٤/ص ٥٤٠ ٠

ويلاحظ انه ابتداء من منتصف القرن الثاني عشر الميلاد كانت الزوجات الرئيسيات لملوك كانم مسلمات ، كما يستدل من اسمائهن واسماء آبائهن حسبما وردت في (ديوان سلاطين برنو) • ومهما يكن من امر ، فان الاسلام الصحيح لم يؤثر في عامة الناس قبل عهد السلطان دونما ديبالامي (حكم حوالي ١٢١٠ ـ ١٢٤٨م) • (٢٨)

يتضع مما تقدم ان الاسلام انتشر وترسع باضطراد في كانم ما بين سنتي ١٠٨٥م و١٢٤٠م حينما ذكر ابن سعيد ان الاسلام كان منتشرا في كانم بين افراد الطبقة الحاكمة ٠

وفى اواخر عهد السلطان دونما ديبالامي ازدادت المصادمات والحروب مع قبائل البلالة جنوبى كانم، ويبدو ان الاسلام كان احد عوامل الخلاف مع هذه القبائل، ويتهم المؤرخون – ومن بينهم الامام احمد بن فرتوة مؤرخ السلطان ادريس علومة فى اواخر القرن السادس عشر السلطان دونما ديبالامي بفتح او تدمير شيء مقدس يدعى مونى، ولعله كان يشكل عنصرا اساسيا من عبادة ملكية وصلت من ايام ما قبل الاسلام ويرى الامام احمد ابن فرتوة فى هذا العمل المنتهك للاعراف وحرمة الدين السبب فى الاضطرابات والمتاعب العديدة التى حدثت فى كانم بعد وفاة دونما ديبالامي العديدة التى حدثت فى كانم بعد وفاة دونما ديبالامي

يقول ابن فرتوة انه كان لبنى سيف شىء معظم ومغبأ كان يتوقف عليه انتصارهم فى الحروب يعرف باسم (مونى) ولا يجوز فتحه ولما فتحه السلطان دونما ديبالامي اغضب عمله فرعا من فروع الاسرة الحاكمة عرفت فيما بعد باسم البلالة ، اذ ان فتحه كان يعنى التخلي عن قدسية الملوك ولعل المقريزي على حق عند قوله ان دونما ديبالامي هو اول مسلم صحيح من ملوك كانم ويفهم من ذلك ان السلطان دونما اراد ازالة الرين من الراد ازالة الرين الدونما العربية في كانم اسوة بما فعل المسلمون بالاصنام

عند فتحهم مكة المكرمة ، والغريب فى الامر استنكار امام كابن فرتوة ما فعله السلطان الا ان يكون استنكاره بتأثير التقاليد السائدة فى كانم منذ القدم ، او لأن المونى ـ كما يرى احد الباحثين ـ لم يكن على ما يحتمل ـ سوى مصحف فى علبة من الجلد (٤٠) .

ان محارم برنو توجى بأن الادارة تأثرت بالاسلام وبنظمه حتى في القرن الثالث عشر الميلادي ، ففيها يرد ذكر القاضى والامام والوزير ، وبعد جلاء سلاطين كانم عن كانم الى برنو غربى بحيرة تشاد في اواخر القرن الرابع عشر الميلادي ، وفي عهد السلطان علي جاجي (حكم حوالي ١٤٧٦ - ١٥٠٣م) ازدادت التأثيرات الاسلامية وأصبح للعلماء والفقهاء مكانتهم المرموقة في المناصب ، واتخذ السلطان علي جاجي لنفسه لقب المناصب ، واتخذ السلطان علي جاجي لنفسه لقب (خليفة) وحذا حذوه في ذلك من جاء بعده من السلاطين

وقد شهد القرن السادس عشر الميلادي انبعاث برنو وتأسيس امبراطورية كانم - برنو الثانية ، كما بدأ فيه اتصال برنو بالدولتين الاسلاميتين الكبيرتين في شمال افريقيا وهما الامبراطورية العثمانية والمغرب الاقصى على عهد السعديين ، وولى الحكم في الربع الاخير من القرن السادس عشر السلطان ادريس علومه الذي يذكر مؤرخه وكبير إثمته الامام احمد ابن فرتوة بعض الاصلاحات التي أدخلت في عهده كالتأكيد من جديد على تطبيق احكام الشريعة ونقل السلطة القضائية من ايدي رؤساء القيائل الى القضاة ، وتشييد المساجد من اللبن (٢٤) ،

لقد ساد في برنو ـ بحلول القرن الخامس عشر ـ نظام التعليم الاسلامي ، وازداد عدد الطلبة منذ عهد السلطان علي جاجي (غازي) فأقيمت المدارس ، وهي مراكز للتعليم العالي ، اشتهرت من بينها مدرسة الشيخ احمد فاطمي في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي ، كما ظهرت في اواخر القرن السادس عشر مدرسة كالومباردو التي تقع على مسافة ٥٠ ميلا الى الشمال الشرقي من

Lange, p. 254. ( \*^)

<sup>(</sup>٣٩) المصدر السابق والصفحة ذاتها

Trimingham, p. 117. Hiskett, p. 65 (1.)

Hiskett, p. 66. (11)

Hodgkin, pp. 32-3. (£Y)

العاصمة جازاجامبو ، ومن اشهر علمائها في بداية تأسيسها العالم الطارقي الشيخ الوالي بن الجرمي الطارقي ، والشيخ وال ديدي الفلاتي الذي تلقى العلم في تنبكتو وأجاديس ، وكان من اتباع الطريقة القادرية ، وكانت مدرسة كلومباردو مركزا لنشر الطريقة القادرية في برنق والسودان الاوسط، وقد أحيا مدرسة كلومباردو الشيخ عبدالله البرناوي في حدود عام ١٠٧٥هـ/٤ \_ ١٦٦٥م ، وكان قد تلقى العلم على يد العالم الطارقي احمد الصادق بن ابي محمد اويس ونشط في نشر الاسلام بين الوثنيين في برنو (٤٣) . ويذكر المؤرخ المغربي احمد الناصري السلاوي الشيخ عبدالله البرنوى على أنه شيخ الولي أبي فارس عبدالعزيز الدباغ الموضوع في مناقبه كتاب (الذهب الابريز) (٤٤) ٠ وفي القرن الثاني عشر للهجرة/الثامن عشر للميلاد ظهرت مدارس اخرى في ماشينا وفي العاصمة جازارجامو وكان العلماء والطلبة في هذه المدارس يتلقون المساعدة والدعم من جانب السطان • وغدت برنو مركزا علميا اجتذب اليه الكثير من المسلمين من بقية انحاء السودان وكان لمدراس برنو صلة بالجامع الازهر الشريف في القاهرة ، وقصدها علماء اتراك واندلسيون ٠ وقد اشتهر العلماء الاندلسيون في ميدان الدراسات القرآنية وتدريس الفقه ٠ واحتفظت برنو الى عهد قريب بصيتها فى جودة مسترى دراساتها القرأنية ٠ أن عامة الناس 🗗 برنو تقبلوا الاسلام والتزموا بتعاليمه اكثر من غيرهم في مناطق بلاد السودان جنوبي الصحراء الكبرى ، وقد اقر بذلك حتى محمد بالو ـ ولم يكن صديقا لبرنو ـ في كتابه (انفاق الميسور) (٤٥) .

# العلاقات التجارية بين كانم ـ برنو وشمال افريقيا

ان كانم ـ بحكم موقعها وحاجتها الى منفذ لمنتجاتها ـ كانت على اتصال بالشمال الافريقي منذ عهد بعيد ٠

فمنذ اقدم العصور كانت تربط منطقة بحيرة تشاد بمدينة طرابلس طريق تجارية عبر زويلة بفزان وواحة كوار ، وكما هو الحال بالنسبة لتجارة غانة بالسودان الغربي مع بلاد المغرب ، فقد كانت ثمة صلة عبر الصحراء بين بلاد كانم ... الى الشمال الشرقى من بحيرة تشاد \_ وبين مدينة طرابلس الغرب عن طريق بلما \_ احدى واحات كوار \_ وزويلة بفزان · ولا يمكن للمرء تفسير نمو دولة كانم دون الاشارة الى هذه التجارة عبر الصحراء · فما كانت أعظم دولة في السودان الاوسط لتقوم لولا وقوعها عند الطرف الجنوبي لطريق القوافل الكبرى المارة بواحة كوار وفزان ولعل هذا الطريق كان مستعملا منذ ايام الرومان والقرطاجنيين ، وهو اهم الطرق للاتصال المباشر بين القيم بحيرة تشاد وساحل البحر الابيض المتوسط (٢٥).

ان واحات فزان ـ وقد سماها ابن حوقل والمقدسي جزرا ـ كانت ذات اهمية حيوية للتجارة البعيدة المدى عبر الصحراء الكبرى من الشمال الى الجنوب (افريقية ـ كانم) ومن الشرق الى الغرب (مصر ـ غانة ـ مالى ـ صنغاي) وكان لا بد لصادرات كانم من عبور فزان مما يفسر ما كان يوليه سلاطين كانم ـ برنو من اهتمام وكرص على تأمين الطريق التجاري من بلادهم عبر فزان وأم يقتصر اهتمام ملوك كانم على الطريق الشمالي ، بل حاولوا كذلك بسط سيطرتهم على الأراضي الواقعة الى الغرب من بحيرة تشاد (برنو) للتحكم بالطرق التجارية من كوار الى الجنوب .

النعام وحتى الحيوانات الحية فضلا عن الجلود والشب الكواري والثياب المطرزة ، وكانت واردات كانم تشمل الخيول في المقام الأول والملابس والاسلحة الحديدية ويلاحظ احد الباحثين بأنه في حين أن الاتجار بالرقيق كان على نطاق محدود في السودان الغربي حيث كان الذهب السلعة الرئيسية للتصدير ، فأن السودان الاوسط وهو خلو من الذهب - كان يتعاطى تجارة الرقيق وكانت زويلة اشهر اسواق الرقيق في الصحراء (٤٧)

كانت صادرات كانم تشمل الرقيق والعاج وريش

Hiskett, p. 66. (57)

<sup>(</sup>٤٤) الناصري ، احمد : كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، الدار البيضاء ١٩٥٥ ، ٥/ص ١٠٣ ٠

Hiskett, p. 67. (10)

Lange, p. 247. (ET)

Levtzion, N., Ancient Ghana and Mali, New York - London 1980. (EV)

الا أن باحثا أخر يخالفه الرأي أذ يقول: «مهما بلغت قيمة تجارة الرقيق فأن كانم ببرنو تدين برخائها الى غلاتها الزراعية وتربية الحيوانات وتصدير الملح والشب اكثر مما تدين برخائها الى اتجارها بالرقيق، وكان بها صناعات تصدر منتجاتها الى البلدان المجاورة، فابن بطوطة يذكر أن برنو كانت تصدر فضلا عن الرقيق بالثياب المزركشة وعند الحديث عن شب كوار اشاد الادريسي بجودته وذكر بانه كان عليه طلب واقبال كبيران في بلدان شمال افريقيا (٤٨) .

تورد المصادر العربية ـ من اليعقوبى فى القرن التاسع الميلادي الى الحسن الوزان فى مطلع القرن السادس عشر الميلادي ـ معلومات مفيدة عن النشاط الاقتصادي فى كانم ـ برنو فى العصر الوسيط ، وعن علاقاتها التجارية بجيرانها فى شمال افريقيا ، فاليعقوبي يقول ان اهل زويلة يصدرون الرقيق الذى يبيعه لهم ملوك السودان مضيفا بأن اهل كوار يأتون بالرقيق .

ويذكر المهلبى - اواخر القرن العاشر الميلادي - ان زي ملك الزغاوة لبس سراويلات من صوف رقيق ، والإتشاح عليها بالثياب الرفيعة من الصوف بالاسماط والخز السوسي (المصنوع بمدينة سوسة التونسية) والديباج الرفيع وامواله المواشي من الغنم والبقر والجمل والخيل ، واكثر رعاياه عراة مؤتزرون بالجلود» (٤٩) .

ويقول البكري ـ بعد المهلبى بنصف قرن ـ انه «يجلب من زويلة الرقيق الى ناحية افريقية وما هنالك ٠٠ ومبايعاتهم بثياب قصار حمر ٠٠ وبين زويلة وبلد كاتم اربعون مرحلة» (٥٠) ٠

ويورد الادريسي منتصف القرن الثاني عشر الميلادي متفاصيل اوق عن مدن كانم وأعمال سكانها ، فيذكر أنَّ مانات «مدينة صغيرة ، وليس بها شيء من الصناعات المستعملة و وتجاراتهم قليلة ، ولهم جمال وماعز» (٥١) وما الزغاوة فانهم «يشيلون بابلهم ، ولهم تجارات يسيرة وصنائع يتعاملون بها بين ايديهم ، ولباسهم الجلود المدبوغة يستترون بها» (٥٢) ويشيد

الادريسي في اكثر من موضع بالشب الكواري من حيث الجودة والوفرة فيقول إن من كوار «يخرج الشب المعروف بالشب الكواري ، ولا يعدله شيء في الطيب ٠٠ وهذا الشب الذي يكون في بلاد كوار بالغ في نهاية الجودة وهو كثير الوجود ، ويتجهز به في كل سنة الى سائر البلاد بما لا يحصى كثرة» (٥٣) • وكان الشب الكواري يصدر الى مصر ، والى ورقلة بالمغرب الاوسط ويستعمل في اغراض الصباغة والدباغة وفي الاغراض الطبية ايضا •

ويشير الادريسى الى الواحات الليبية مؤكدا اهميتها كمحطات على طرق التجارة الى كانم عبر الصحراء · فمن اوجلة «يدخل الى كثير من ارض السودان نحو بلاد كوار وبلاد كوكو [على نهر النيجر] ، وهى [اوجلة] في رصيف طريق الوارد عليها والصادر كثير، · كما يدخل من زلة وودان وزويلة ابن الخطاب الى جُمَل من بلاد السودان (٤٥) ·

ان تربية المواشى كانت عملا رئيسيا للكثيرين من اهل كانم ، اذ كانوا مجتمعا رعويا بحكم المناخ الجاف السائد في المنطقة الواقعة الى الشمال الشرقى من بحيرة تشاد ويُذلك فان الجلود الخام كانت من صادرات كانم الى عدد من الواحات الليبية حيث كان يتم دبغها وتصنيعها ويتذكر البكري نوعا من الجلد يعرف بالزويئي ولعله كان يستورد خاما من كانم وكما اشتهرت غدامس بدبغ الجلود حتى ان طريقة خاصة لدبغ الجلود عرفت باسمها التقلت الى اوربا في القرون الوسطى باسم الاندلس ومنها انتقلت الى اوربا في القرون الوسطى باسم بنقعها في ويبدو ان جاود الاغنام كانت تدبغ في غدامس بنقعها في الشب والمنح و ولعل هذه الجلود كذلك كان منشأها بلاد

كانم ، وقد ذكر ياقوت الحموي ان فى غدامس تدبغ «الجلود الغدامسية، وهي من اجود الدباغ ، لا شيء فوقها في الجودة ، وكأنها ثياب الخز في النعومة والاشراق» (٥٥) ٠

Lange, p. 250. (£A)

<sup>(</sup>٤٩) ينظر ياقرت الحموي ، معجم البلدان ، ٣/ص ١٤٢٠ -

<sup>(</sup>۵۰) البكري ، ص ۱۱ -

<sup>(</sup>۱۱) الادريسي ، من ۱۲ -

<sup>(</sup>٥٣) المصدر السابق ، ص ١٣ ·

۲۱ ، ۲٤ ، ۲۲ ، ۲۲ ، ۲۲ ، ۲۲ ،

<sup>(</sup>٥٤) المصدر السابق ، ص ٩٩ ·

<sup>(</sup>٥٥) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤/ص ١٨٧ -

وقد ذكر أبن سعيد (ت ١٢٨٦م) \_ بصورة عابرة \_ انه في عهد السلطان دونما ديبالامي كانت الملابس السوسية تستورد من العاصمة التونسية ـ «والثياب تحمل اليه من الحضرة التونسية» (٥٦) • وقبل ذلك ذكر المهلبي أن ملك الزغاوة في القرن الغاشر الميلادي كان يرتدى ثيابا صوفية وحريرية من صنع مدينة سوسة التونسية ٠ ويذكر أبن خلدون أن سلاطين كانم كانوا على صلات ودية بالاسرة الحفصية في تونس منذ قيامها في اوائل القرن الثالث عشر الميلادي ، وأورد وصفا للهدية التي بعث بها \_ سنة ٦٦٥هـ/١٢٥٧م \_ ملك كانم وصاحب برنو الى الملك الحقصي المستنصر ، وكان فيها الزراعة (٥٧) • ويقول صاحب (كتاب الاستقصا) إن «اهل كانم هم اهل مملكة برنو المجاورة الفريقية [البلاد التونسية] من جهة قبلتها ٠٠ وكانت لهم مع الدولة الحفصية في المائة السابعة [القرن الثالث عشر الميلادي] وما بعدها مهاداة ومواصلة كما كان لأهالي مالي مع بني مرین» (۵۸) ·

ان الطرق التجارية عبر الصحراء تحولت بعد المرابطين والموحدين شرقا بعد قيام دولة الحفصيين ف تونس، وقيام شيء من الاستقرار فيها، ولعل مما يلفخ النظر ان كانم بلغت اوجها قوة واتساعا في القرن الثالث عشر الميلادي فامتدت اراضيها شمالا وشملت فزان عود تزامن ذلك مع قيام الدولة الحفصية في تونس (٥٩)

وذكر ابن بطوطة \_ وقد زار السودان الغربي في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي \_ ان من برنو «يؤتى بالجواري الحسان ، والفتيان ، وبالثياب المجسدة» (١٠) لقد عرفت زراعة القطن \_ عن طريق العرب \_ ف كل من السودان الاوسط والسودان الغربي» فانتشرت زراعته وقامت في كافة انحاء بلاد السودان في اواخر القرون الوسطى صناعات حياكة ونسبج الملابس القطنية لسد حاجة السكان ، بل والمتصدير الى البلدان المجاورة ، وقد اجتذبت هذه الاقمشة القطنية المزركشة \_ لجودتها

ورخص ثمنها \_ انظار المستعمرين البرتغاليين في بداية حركة الكشوف الجغرافية في القرن السادس عشر فأقبلوا على شرائها \_ بالمقايضة \_ وبيعها في بلادهم وفي اسواق اخرى \*

يذكر القلقشندى (ت ١٤١٨م) أن معاملة اهل كانم «بقماش ينسج عندهم اسمه دندى طول كل ثوب عشرة اذرع فأكثر، ويتعاملون ايضا بالودع «وكان يأتي به التجار العرب من منطقة المحيط الهندي» والخرز، والنحاس المكسور، والورق، لكن جميعه يسعر بذلك القماش» (٦١) •

وقد سبقت الاشارة الى ترجمة الشماخي لأبي عبدالله محمد بن عبدالحميد والى جبل نفوسة من الائمة الرستميين بتاهرت في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ، وفيها يقول ان ابا عبدالله كان يعرف لسان اهل بلاد كانم ، مما يدل على انه كان يتردد على بلاد كانم تاجرا فتعلم لغتها ، ان ذلك يدل كذلك على ان العلاقات التجارية بين كانم وبين منطقة طرابلس كانت قائمة منذ وقت مبكر (٦٢) ،

وق اوائل القرن السادس عشر زار الحسن الوزان كلا من كانم وبرنو، وهو يذكر في كتابه (وصف افريقيا) ان برنو اقليم كبير وان الملك \_ بفضل الخيول التي كان يشتريها من التجار المغاربة \_ استطاع ان يغزو جيرانه ولكن التجار كانوا مستائين من الملك لمماطلته في دفع ثمن الخيل التي يشتريها بالرغم من ثرائه وقد وصف الوزان ثراء ملك برنو فقال: «وقد رأيت كل ما يجهز به القصاع والأواني ٠٠ معظمها من الذهب، والسلاسل حتى سلاسل كلاب الملك \_ كلها من الذهب، والسلاسل ومع ذلك فان هذا الرجل ٠٠ شديد البخل يفضل دفع الثمن رقيقا على دفعه ذهبا» (٦٢) ولما زار الحسن الوزان كانم \_ ويسميها مملكة كاوكا \_ لاحظ اتساع رقعتها اذ تحدها غربا برنو، وشرقا تمتد اراضيها الى صحراء حدود مملكة النوبة على النيل، وتمتد شمالا الى صحراء

<sup>(</sup>٥٦) ابن سعيد المغربي ، ص ٩٦ -

<sup>(</sup>٥٧) ابن خلدون ، عبدالرحمن : كتاب العبر ، بيروت ١٩٥٩ ، ٦/ص ٦٥٢ -

<sup>(</sup>۸۰) الناصري ، ٥/ص ۱۰۳ -

Oliver and Fage, p. 92. (a4)

<sup>(</sup>٦٠) ابن بطوطة ، محمد : رحلة ابن بطوطة ، بيروث ١٩٦٨ ، ص ١٧٩ ·

۲۸۰ القلقشندي ، ۵ (ص ۲۸۰)

Lewicki, p. 97. (11)

<sup>·</sup> ۱۷۷ الوزان ، ۲/ص ۱۷۷ ·

سرت وتخوم مصر · وكان ملكها حريصا على شراء الاسلحة الحديثة والخيل من مصر ، وبفضلها كان ينتصر على اعدائه دائما «لأن رجاله كانوا مسلحين بالاسلحة الحديثة ، بينما لم يكن لاعدائه غير قسي رديئة من الخشب، · ونال ملك كانم «صداقة سلطان القاهرة بفضل هداياه ومجاملاته ، وحصل منه على الاسلحة والاقمشة والخيل التي كان يدفع فيها ضعف ثمنها متظاهرا بالسخاء ، حتى جعل تجار مصر لا يقصدون غير بلاطه · ويعامل المثقفين ـ لا سيما ال البيت ـ بكثير من الاعتبار والاعزان» (٦٤) ·

وفى مطلع القرن السادس عشر الميلادي ، كان لكانم ــ برنو تجارة مزدهرة مع مصر • وقامت علاقات سياسية بينها وبين ولاية طرابلس الغرب العثمانية ، وتعززت هذه

العلاقات بعد ايفاد بعثة الى طرابلس الغرب سنة ٢٥٥٢م لابرام معاهدة صداقة وتجارة ، وكانت اهمية طرابلس الغرب بالنسبة لسلاطين كانم ... برنو تكمن فى كونها مصدرا للحصول على البضائع الاوربية والاسلحة ، وقد تأجروا مع كافة محتلي المدينة فى القرن السادس عشر : الاسبأن ، ثم فرسان مالطة ، ثم الاتراك العثمانيين ، وحصل السلطان ادريس علومه على جنود من العرب من راكبى الابل (٦٥) .

وكما تقدم فأن أولاد محمد تمكنوا من انتزاع السلطة من ايدي الاتراك العثمانيين في فزان بمساعدة سلطان برنو فاذا كان الامر كذلك ، فانه قد تكون ثمة ملصحة مشتركة جمعت بينهما ، وهي التجارة (٦٦) .



۱۷۹ ـ ۸ ص/۲ السابق ، ۱۷۹ ـ ۱۷۹ .

Fage, J.D., A History of Africa, London 479, p. 82. Hiskett, p. 63 (10)

Martin, p. 486. (33)



•

«لقد كان للعرب شرف حمل رسالة السماء الى شعوب



### دور الطوسي في الغزو المغولي لبغداد ١٢٥٨هـ/١٢٥٨م

الدكتور محمد جاسم حمادي المشهداني معهد الدراسات القومية الاشتراكية الجامعة المستنصرية

اى موقف سلبى من جانبهم تجاه بلاد الرافدين ، ويتجلى هذا الموقف السلبى بصورة جماعية أو فردية ، فعلى مستوى الجماعة نجد ان هناك موجات بشرية فارسية حاولت وتحاول في اكثر من مناسبة ايقاف المد الحضارى ، اما على مستوى الافراد ، فنجد انه لم تمر مناسبة سانحة إلا وتستغل من أجل أن يحقق الافراد ما يصبط اليه المجموع .

ومن هنا يحدثنا التاريخ عن دور نصير الدين الطوسي الفارسي ، م في عملية احتلال المغول لبغداد ، مركز التحصيارة ويتوثل العلماء ، وحاضرة العالم الاسلامي ، التي احتضنت مراقد الأئمة والصالحين ، وشمخت فيها مأذن الموحدين الذين هدموا صروح الشرك والوثنية ، فبغداد كانت القبس النوراني الذى اشاع للعالم قيم الحضارة ومبادئها ، وبغداد كانت كما ذُكرت يعجز عن وصفها ، فهى الخيال الذي تغنى به الشعراء ، وهي المجد الذي افتخر به الابطال وتناخوا به ومن اجله ، تلك بغداد ، التي أرعبت قياصرة روما وببيزنطة ، واقضت مضاجع اتباع المجوسية والشرك والوثنية ، تلك دار السلام فمن تحدثه نفسه بتدنيسها ومن يجرؤ على انتهاك حرمتها ، فهو باغ ِ أثيم ، وهكذا تعرضت بغداد العنف غزو وثنى ، حاول تهديم كل قيم عربية اسلامية ، لينشر الخراب والدمار والفساد، وليشيع اليأس في النفوس ، وليعيد الناس الى عبادة الاوثان والانصاب والازلام ليسجدوا للنار ، ٠٠ ، فكيف لمن يسمى نفسه مسلماً ، وكيف لمن يسميه الناس عالما ومفكراً ، وكيف لن يُؤمن به البعض فيها ومتفلسفا ، كيف تسمح له نفسه القاءها في احضان الشرك والوثنية الم يقرأ ما قاله الرسول الكريم (ﷺ): «من اعان على خصومة بظلم فقد التاريخ هو السجل الخالد لاحداث الماضي من خلاله تدرك طبيعة ذلك الماضى ، ويدرك مدى استهام أمة ما من الامم في العطاء الانساني والمضارة الانسانية ارتفاعا وعلواً ، أو مدى الانحطاط الحضاري لأمة ما ، وبالتالي اسهامها ف تخريب الحضارة الانسانية وتعطيل دورها ف التاريخ الانساني ، ولولا التاريخ لأفتقد البشر أي عنصر من مقومات التقييم المثالي لدور الأمم فيه ، وفي الحضارة الانسانية ، وهنا تنكشف الحالات الايجابية المشرقة لأمة ما، وتنكشف الحالات السلبية المخجلة الأخرى، وتتجسد افعال الامم ايجابيها وسلبيها في صورة بُعضً القادة الذين يعكسون الصورة العامة لمجمل جوهر حركة التاريخ في الأمة التي ينتمون اليها ، ولذلك فالتاريخ الايجابى لأمة ما يكون كالشجرة الطيبة التي فيها رزق للعباد ، والتاريخ السلبي يكون كالشجرة الخبيثة التي يؤذى ورقها وغيرها العباد ، وصدق الله تعالى عندما قال : «والبلدُ الطيّب يخرجُ نَباتَهُ مِإذِن رَبِّهِ والذّي جُثَ لا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدا ٢٠٠ (١) ، وحينما نلتفت الى تاريخنا نجد فيه سلسلة مترابطة من الحلقات الحضارية المبدعة التي يكمل بعضها البعض ليغير للانسانية دروب الخير والمحبة والأمن والسلام ، فلن نكون في يوم ما عالة على أمة ما ، وما كنا في يوم ما سبيا في تعطيل حضارة امة ما ، معاذ الله أن نكون هكذا وأن نكون بأذن الله ، وبالمقابل فأن للفرس مواقفهم السلبية التي يُحدثنا عنها التاريخ، والتي لا يغفل عنها الصغير، ولا ينأى عن ذكرها الكبير، وما تاريخهم ألا سلسلة من الحلقات المترابطة من الاندفاع بروح مغامرة وبنوازع السيطرة والاستعلاء الأجوف من أجل أيقاف المدّ الحضاري لوادي الرافدين منذ القدم والى اليوم ، ولم تخلد حقبة ما من التاريخ من

باء بغضب من الله عز وجل» (") ، الم يقرأ قول المير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) الذى قال : « • • لا خير في عبادة لا علم فيها ، ولا علم لا فهم فيه ، ولا قراءة لا تدبر فيها ") » ، وقول عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قال لزياد بن حُديد : «هل تعرف ما يهدم الاسلام ؟ قلت لا • • قال : يهدمه زُلَّة عالم ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحُكم الأئمة المضلين " » ، فكيف يرضى المسلم أن يحل بمعقل الاسلام ما حل بها ، لولا أن تداركته في نفسه حامية التعصب لقومه ولأبناء جنسه ، وقد قال الرسول الكريم ( ( ) : «ستكون بعدي أثمة لا يهتدون بهدي ، ولا يستنون بسنتى ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس ") » ،

فكيف يبرر الطوسي تعاونه مع هولاكو الوثنى ، ولذلك فليس من المستغرب أن احتفلت ايران في ذكراه يوم ٢٦ آيار لغاية حريزان من عام ١٩٥٦ ، بمناسبة مرور سبعة قرون على وفاته ، وفي جو عاصف بالروح الفارسية (١) • اذن هذا الطوسي ، وهذه منزلته في ايران ، وهذا موقفه الذي لا ينساه التاريخ الذي في حديثه عبرة وعبر ، وذكري وخبر تنفع الذاكرين ، فليتذكر كل عراقي موقف

موقفه الذي لا ينساه التاريخ الذي في حديثه عبرة وعبر، موقفه الذي لا ينساه التاريخ الذي في حديثه عبرة وعبر، وذكري وخبر تنفع الذاكرين، فليتذكر كل عراقي موقف هذا الرجل من بغداد، وحضارتها العربيقة، وليتذكر حكم التاريخ وحكم الله تعالى على لسان نبيه محمد (ﷺ) الذي قال: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين»، وقوله (ﷺ): «من جامع المشرك وسكن مَعَهُ فهو مثله")»

وسنتطرق الى تتبع حياة الطوسى ، وكيف اتفق مع هولاكو ، وكيف إئتمنه وسار معه ، وكيف كان دوره ف تلك الأحداث ·

#### اسمه ونسيه :

هو أبوعبدالله محمد بن الحسن()، ويعرف بالمولى نصير الدين، ويقال أيضا الخواجة نصير الدين()، الطوسي، نسبة الى مدينة طوس الايرانية التى ولد فيها، والتى تقع في اقليم خراسان، وتبعد مسافة عشرة فراسخ() عن مدينة نيسابور()،

#### ولادته:

ولد الخواجة الطوسي ، في يوم السبت الحادى عشر من جمادى الأولى سنة ١٩٠٥هـ/ ١٢٠٠ - ١٢٠٠<sup>(۱)</sup> ، ولد في ناحية جهرود ، من نواحى مدينة طوس<sup>(۱)</sup> ·

#### نشأته وعلاقته بالاسماعيلية:

اتجه الطوسي الى الدراسة والتعليم فى مدينة نيسابور، وعندما اجتاحها الغزو المغولي بقيادة جنكيز خان (١٢١٥ ـ ١٢٢٧) عاد الى طوس، ومن ثم أصبح مطمحا لانظار الاسماعيليين فى شخص ناصر الدين عبدالرحيم بن أبى منصور الاسماعيلي حاكم قوهستان، وأكبر وزراء علاء الدين محمد بن جلال الدين حسين، لأعى الاسماعيلية الاكبر، فوجه للطوسي دعوة لزيارته فى قوهستان، وبقى فى قلاع الاسماعيلية زهاء (٢٨) سنة،

<sup>(</sup>١) سبورة الإعراف ، الآية (٥٨)

<sup>(</sup>١) محمد بن عبدالوهاب ، كتاب الكبائر ، (الرياض ، مطابع الفلاح) ص ٤٠

<sup>(</sup>٢) الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، أصول الايمان ، (الرياض ، مطابع الفلاح) ١٤

<sup>(</sup>۳) نفسه ، ۳٦

<sup>(</sup>٤) كتاب الكبائر ، ٥٣

<sup>(</sup>١) د ٠ عبدالامير الاعسم ، نصير الدين الطوسي ، الطبعة الأولى (بيروت ، ١٩٧٥) ١٦

<sup>(</sup>٢) ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق شعيب الارنؤوط وعبدالقادر الارنؤط ، ج (بيروت ، ١٩٨٥) ص ١٢٢ ــ ١٢٣

<sup>(</sup>۱) الكتبى ، فوات الوفيات ، تتقيق د ٠ احسان عباس ، ج٬ (بيوت ، ٢٤٦) ، ابن العماد الجنبلي ، شذرات الذهب ج٬ (القاهرة ١٣٥٠ ـ ١٣٥١) مد ٢٣٩

<sup>(</sup>٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج" (القاهرة، ١٣٥٨) ٢٦٧

<sup>(</sup>٢) القرسخ ت وحدة لقياس المسافة تساوى (٣) أميال ءانظر فالترهنتس ، المكابيل والاوزان الاسلامية ، ترجمة د ٠ كامل العسلي (عمان ، ١٩٧٠) ص ١٤

<sup>(</sup>٤) الكتبي ، فوات الوقيات ٢٥٢/٣

<sup>(</sup>٥) انظر ، رشيد الدين الهمداني ، جامع التواريخ ، تاريخ خلفاء جنكيزخان (بيروت ،١٩٨٣) ص ٣٠٤ ، ابن الوردي ، تاريخ ج' (القاهرة ، ١٢٨٥) ٢٢٣

<sup>(</sup>٦) د ۱۱ عسم، نصير الدين الطوسي ، ٢٢، ١١ ٢٣٠ ٢٣

الى ان كاتب المغلول سراً في حلوالي سنة . ١٥٠٠هـ/١٢٥٢م(١٠٠

والاسماعيلية طائفة من غلاة الباطنية الذين خرجوا عن الاسلام بكثير من العقائد التي يذهبون اليها ، ولهم في الكيد للمسلمين تاريخ مسىء قبيح مشهور ، وبخاصة في الشام ، وكان المسلمون يقفون لهم بالمرصاد وعلى مر الزمان والعصور(") ، ففي سنة ٧١هه/ أجرق صلاح الدين الايوبي قلاعهم وديارهم .

وفي سنة ١٥١هـ/١٢٥٣م، أصدر امبراطور المغول مانغوخان امرا الى أخيه هولاكو خان ، يأمره فيه بالتوجه لاخضاع البلاد الغربية ، ومنها بغداد<sup>(3)</sup> ، والمعروف عن المغول انهم كانوا يدمرون كل بلد يمرون فيه ، باستثناء ما فعلوه حين دخولهم ايران وبالاخص مدينة طوس : «حيث أمر هولاكو بتجديد عمارة بعض المدن ، ودفع التكاليف اللازمة من الخزانة حتى لا يتحمل الرعايا عبه هذه النفقات ، ثم حفرت الكظائم «الكهاريز» وشيدت المصانع<sup>(1)</sup> ، ويمكن أن يقارن المرء بين ما فعله هولاكو بطوس ، وما فعله في بغداد من التدمير والتخريب ثم اتجه هولاكو بعد ذلك الى قلاع طائفة الغلاة

الاسماعيلية ، وكان الطوسى وزيرا لشمس الشموس ،

ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين ، وكانوا ينتسبون الى نزار بن المستنصر (١) ، وقال أبن كثير عن الطوسي: «وزر الصحاب قالع الألموت من الاسماعيلية (١) ٥٠٠ ، وفي يوم (٩) جمادي الآخرة من سنة ١٥٤هـ/ شرع هولاكو بالهجوم على قلاع الملاحدة الاسماعيلية ، واذا بالطوسى ، وموفق الدولة «اليهودى الأصبل» وأخرون قد مالوا الى الى هولاكو خان الى أقصى حد ، ومن قبل كانوا يرغبون في ذلك ، فصاروا يتشاورون سرأ ، لكي يجعلوا هذا الملك - أي الاسماعيلي - يخضع لهولاكو على الوجه الأحسن، والطريق الاسهل ٠٠ واتفقوا جميعاً على تحقيق هذا الهدف ، ولهذا السبب لم يدخروا وسعا في حث خورشاه الاسماعيلي على الخضوع والطاعة ، وصاروا يخوفونه مغبة المقاومة فاستجاب لنصحهم(١)، ، وكان خورشاه قد استشار الامراء والاعيان ولايته وصنار كل منهم يقول ما يمليه عليه رأيه وأخيرا استقر الراي على أن يذهب الى هولاكو الخواجه الطوسي مع طائفة الوزراء والاعيان ، يحملون التحف والطرائف الكثيرة ، فوصلوا الى معسكر الإيلخان في يوم الجمعة ٢٧ شوال ، فانزلهم المغول في اماكن متفرقة وتحدثوا اليهم الواحد بعد الآخر (١) -

<sup>(</sup>۱) تقسه ، ۲۲ ـ۳3

<sup>(</sup>٢) د ٠ محمد بوسف موسى ، أبن تيمية ، الهيئة المصرية العامة لكتاب (للقاهرة ، ١٩٧٧) ٤٠ ــ ٤١

<sup>(</sup>٣) ابن الوردي ، المصدر السابق ، ٨٧/٢

<sup>(</sup>٤) د ٠ خصباك ، العراق في عهد المغول الإيلخانيين ، (بغداد ، ١٩٦٨) ٣٠ ـ ٣٦

<sup>(</sup>١) رشيد الدين الهمداني ، جامع التواريخ ، المجلد الثاني ، الجزء الأول الأول ، الايلخانيون (القاهرة ١٩٩٠) ٢٤٩ ـ ٢٥٠

<sup>(</sup>٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٠١/١١

<sup>(</sup>۲) تفسه ، ۱۳/۷۲۲

<sup>(</sup>٤) رشيد الدين الهمداني ، المصدر السابق ، ج'/م'/٢٤٩ ــ ٢٥٠

<sup>(</sup>۱) نفسه ، م"/ج"/٤٥٢ ـ٥٥٧

وكان للطوسي واصدقائه اكبر الاثر في حمل خورشاه على التسليم لهولاكر ، فلما جاء هولاكو مالوا اليه وأظهروا الانقياد له والطاعة ، ومهدوا له الانتصار على الاسماعيلية ، قال المؤرخ رشيد الدين الهمدانى : «لما وضَبح لهولاكو صدق الخواجة نصبح الدين الطوسي ، ورئيس الدولة ، وموفق الدولة ، وابنائهما ، الذين كانوا اطباء مشهورين وأهلهم من همدان تعطف عليهم وأحسن معاملتهم ، وامر باخراجهم مع أهليهم وذويهم وخدمهم ، وحشمهم ، وجميع ما يتعلق بهم ، والحقهم بخدمته فصاروا هم وابناؤهم مقربين عند هولاكو ومن ابنائه المشهورين(")» ،

ومن الجدير بالذكر ان موفق الدولة هذا ، كان جد المؤرخ رشيد الدين الهمدانى ، وأصلهم من يهود همدان ، وقال رشيد الهمدانى معلقا على ثقة هولاكو بالطوسي ، مانصه : «ولما تأكد هولاكو من صدق واخلاص الخواجة نصير الدين الطوسي ، وموفق الدولة ، شملهم بعطفه وانعامه ، واعطاهم الخيول اللازمة لحمل أهلهم ومواليهم واقاربهم اتباعهم وخدمهم واشياعهم ، واخرجهم من القلعة والزمهم حضرته ، وهم وابناؤهم حتى اليوم ملازمون للحضرة ، ومقربونا من

هولاكو خان لافراد اسرته المشهورين $(^{(1)}$ » ومن ثم اتخذ هولاكو الطوسي وزيراً له $(^{(1)}$  .

وهكذا كان للطوسى دوره في احتلال هولاكو لقلاع الاسماعيلية ، فودع بذلك حصن الاسماعيلية ليجد العناية والرعاية من قبل هولاكو ، وقال الطوسي شعرا ، بمناسبة احتلال هولاكو لقلاع الاسماعيلية قال فيه : سال عرب چوششصد وينجاه وچارشد يك شنبه اول مه ذى القعدة بامداد خورشاه پادشاه سماعيليان زندت برخاست پيش تحت هولاكو بايستاد ومعناهما :

عندما صارت سنة العرب اربعا وخمسين وستمائة وقى صباح يوم الاحد الموافق غرة ذى القعدة قام خورشاه ملك الاسماعيلية من على عرشه ووقف بين يدى هولاكو (١) ويبدو انه كان للمغول علم بدور الطوسي ومكانته فى الاسماعيلية ويبدو ان ذلك مؤشر لعلاقة خفية بين هولاكو والطوسي فيروى ان ملك المغول منگوقاأن ، لما ودع اخاه هولاكو خان ، كلفه بأن يرسل اليه الخواجه نصير الدين الطوسي ه

<sup>(</sup>٢) د ١ الصبياد ، د ٠ فؤاد المعطي ، مؤرخ المغول رشيد الدين الهمداني (القاهرة ، ١٩٦٧) ٣٠

<sup>(</sup>١) رشيد الدين الهمداني ، المعدن السابق ، ٢٥٧

<sup>(</sup>۲) ابن کثیر، المصدر السابق، ۲۲۰/۲۲۹ ـ ۲۲۸

<sup>(</sup>٣) رشيد الدين الهمداني، المصدر السابق، م"/ج"/٢٥٤ \_ ٢٥٥، الصياد، المرجع السابق، ٢٩ \_ ٣٠

### دور الطوسي في الغرو المغولي ليغداد:

بعد التنسيق الذي تم بين المغول والطوسي وجماعته في ` احتلال قلاع الاسماعيلية ، اتخذه هولاكو وزيرا له ، وكان معه اعتبارا من ذي القعدة سنة ١٢٥٦هــ/١٢٥٦م وحتى الاحتالال المغولي لبغداد في سنة ١٥٦هـ/١٢٥٨م ، اي ما يزيد على السنتين تقريبا ، ويسير رشيد الدين الهمدانى الى ثقة هولاكو بالطوسي فيقول : «ذلك لأنه كان قد اطلع على حسن سيرة نصير الدين وصدق سريرته ، فكان يريد أن يظل ملازما له (<sup>۱)</sup> » ، وقال ابن العماد الحنيبل عن الطوسي : «وكان ذا منفذ له عند هولاكوا<sup>۱۱</sup> ، وقال ابن الوردى : «وخدم هولاكو وحظى عنده<sup>(4) .</sup>

ويبدو أن المغول كانوا متهييين من أمر مهاجمة العراق، واحتلال بغداد بسبب ما كان متداولاً حينذاك من المكانة الكبيرة لبغداد ، ولعظمتها ومنزلتها الدينية في الوطن العربى والعالم العربى والعالم الاسلامي ، ولقد خوّف المنجمين هولاكو من أمر التوجه للعراق، ولذلك اجتمع المغول في سنة ٥٦٥هـ/١٢٥٧م ، وتشاوروا تحت رئاسة هولاكو في أمر احتلال العراق(١) ، وظل هولاكو يتشاور مع اركان الدولة في أمر تصميمه على التوجه الى بغداد ، فکان کل منهم یبدی رایه حسب ما یعتقد ، ثم طلب حسام الدين المنجم الذي كان مصاحبا له بأمر القاآن ، ليختاروا وقت النزول والركوب ، فقال له هولاكو : «بين كل ما يبدو لك في النجوم دون مداهنة الله الم ولما كانت له جرأة بسبب تقربه منه ، فقد قال لهولاكو بصورة مطلقة : «انه ليس ميمونا قصد أسرة الخلافة والزحف بالجيش الى بغداد ، إذ أن كل ملك حتى زماننا هذا \_ قصد بغداد والعباسيين لم يستمتع بالملك والعمر ، واذا لم يصنغ الملك الى كلامي ، وذهب الى هناك فستظهر ستة انواع من الفساد :

اولها: أن تنفق الخيول كلها ، ويمرض الجند : ثانيهما: ان الشمس لا تطلع

ثالثهما: أن المطر لا ينزل

رابعهما : تهب ريح صرصر ، وينهار العالم بالزلزال خامسها: لا ينبت النبات في الارض

سادسها: أن الملك الاعظم يموت في تلك السنة فطلب منه هولاكو شهادة بصحة هذا الكلام ، فكتبها(١) ، وكان حسام الدين المنجم يهدف من وراء ذلك تنحية

هولاكو عن عزمه في التوجه الى بغداد ، خاصة وان الخليفة المستعصم قد ارسل برسالة لهولاكو يشير فيها الى جانب من قدسية الخلافة وحرمة بغداد على كل من حاول تدنيسها ، وكان نصها : «لو غاب عن الملك فله أن يسئل المطلعين على الأحوال ، إذ ان كل ملك \_ حتى هذا العهد - قصد اسرة بنى العباس ودار السلام بغداد كانت عاقبته وخيمة ٠ ومهما قصد ذوو السطوة من الملوك وأصحاب الشوكة من السلاطين ، فان بناء هذا البيت محكم للغاية ، وسيبقى الى يوم القيامة · وفي الأيام السالفة قصد يعقوب بن الليث الصفار الخليفة ، وترجه بجيش لجب الى بغداد ، فلم يبلغ مأربه اذ مات بعلة الزحار، والأمر كذلك مع أخيه عمرو ٠٠ وكذلك قصع السلطان محمد السلجوقي بغداد ، فعاد منهزما وَهَلِكُمْ فِي الطريق ، وجاء محمد خوارزم شاه بجيش عظيم قاصدًا استئصال هذه الأسرة فابتلي في راوبي اسد أباد بالناج والعِواصف بسبب غضب الله عليه ، وهلك اكثر جنده وعاد خائبا خاسرا ، ثم لاقى مالاقى من جدك جنكيزخان ف جزيرة أبسكون ، فليس من المصلحة ان يفكر الملك في قصد اسرة العباسيين ، فاحذر عين السوء من الزمان الغادر<sup>(۱)</sup> » ولذلك كان هولاكو مترددا في أمر مهاجمة بغداد ، غير انه استدعى نصير الطوسي واستشاره بالأمر ، فقال له الطوسي : «لن تقع اية واقعة من هذه الاحداث» فقال هولاكو: «اذن ماذا يكون ٠٠»

<sup>(</sup>١) ابن كثير، المصدر السابق، ٢٦٧/١٣، رشيد الدين الهمداني، م /ج / ٢٥١

<sup>(</sup>۲) رشيد الدين الهمداني ، م'/ج'/٣٠٢ \_ ٣٠٤

TE - TT9/0 , ابن العماد الحنبلي ، الشذرات ، 0/7

<sup>(</sup>٤) ابن الوردى ، تاريخ ، ٢٢٣/٢

<sup>(°)</sup> د · بدري محمد فهد ، تاريخ العراق في العصر العباسي الاخير (بغداد ،١٩٧٣) ٩٣

<sup>(</sup>١) رشيد الدين ، جامع التواريخ ،م' / ج' / ٢٧٩

<sup>(</sup>١) حسن الامين، الغزو المغولي، ١٢٩

قال الطوسي: «ان هولاكو خان سيحل محل الخليفة")» ؟! ثم احضر هولاكو المنجم حسام الدين ليتباحث مع الخواجة الطوسي الذى فند مزاعمه ، وقال لحسام الدين: «لقد استشهد جمع كثير من الصحابة باتفاق آراء الجمهور وأهل الاسلام ولم يحدث فساد قط ، ولو قيل ان للعباسيين مكرمة خاصة بهم فان طاهرا جاء من خراسان بأمر المأمون ، وقتل أخاه محمد الأمين ، وقتل المتوكل ابنه بالاتفاق مع الأمراء ، كذلك قتل الامراء والغلمان المنتصر والمعتز ، وقتل عدد من الخلفاء على يد

جملة اشخاص فلم تختل الامور(")» ، وقال الهمداني

معلقة على تشجيع الطوسى لهولاكو على غزو بغداد

فاضاء قلب الملك من قول العالم كأنه زهرة السعالم كأنه زهرة السعلل في السربيع الباكس وكان الطوسي ذا تأثير كبير على هولاكو الذي كان يستمع ويصغى ويؤمن بما يشير عليه به ، وقال الكتبى : «وكان يعمل الوزارة لهولاكو ٠٠ واحتوى على عقله حتى انه لا يركب ولا يسافر الا في وقتٍ يأمره به ، ١٠(١) ٠٠

وعلى اثر ما اشار به الطوسي على هولاكو قرر الأخير التوجه بجيشه الكبير نحو العراق ، وكان يرافقه في هذا

الجيش ، الامراء كوكاالكا ، وأرقتو نويان ، وأرغون أقا ، والخواجه نصير الطوسى ، وعطا ملك الجويني<sup>(۱)</sup> ·

وفي أوائل المحرم سنة ١٥٥هـ/١٢٥٨م ساز هولاكو خان بالجيوش ف القلب الذي يسميه المغول «تول» عن طريق كرمنشاه وحلوان ، وكان في ركابه كبار الامراء ، والخواجه نصير الطوسى ، مع كافة السلاطين والملوك وكتاب بلاد ايران(١) ٠ وقد اشار هؤلاء على هولاكو أن لا يصالح الخليفة ، وحسنوا له قتل الخليفة(ا) ، ثم انتخب هولاكو النصير الطوسى ليكون في خدمته كالوزير المشير() • وقد أرسل الخليفة العباسي المستعصم برسالة تحذيرية الى هولاكو ، ثم ارسل اليه برسل الا انه لم يأبه به ، وواصل مسيره باتجاه بغداد ، فلما كان يوم الاثنين ١١ محرم سنة ١٥٦هـ هاجموا بغداد من جهة بُرج العجمى المجاور لمقبرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، حيث صعدوا عليه وملكوه ، وامثلاً بين السورين منهم ، ولم يزالوا في تدبير أمرهم واحكامه الى يوم الاثنين ١٨ محرم ، حيث دبوا في بغداد ، واوغلوا فيها ، وفي يوم الأحد ٣ صفر أخرجوا اليهم الخليفة المستعصم بعد ان وبثقوه بالايمان التي ظنها صادقة فنزل على حكمهم في

بقوله(۲) :

<sup>(</sup>۱) رشيد الدين الهمداني ، جامع التواريخ ،م ٔ /ج ٔ / ۲۸۰

<sup>(</sup>۲) تقسه ، ۲۸۰

۲۸۰ (۲)

<sup>(</sup>١) الكتبى ، فوات الوفيات ، ٣/ ٢٥٠

<sup>(</sup>۲) د خصیاك ، المرجع ، ۵۰

<sup>(</sup>٢) الهمدائي ، جامع التواريخ ، م / ج ١ / ٢٨١ ... ٢٨٢

<sup>(</sup>٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٠١/١٣

<sup>(</sup>٥) تقسه ، ۲۰۱/۱۳

خيمة عندهم<sup>(۱)</sup> ، حيث أمر بقتله ، وذكر ابن كثير : «أن من الناس من يزعم ان الطوسي هو الذي اشار على هولاكو خان بقتل الخليفة " اذ ان هولاكو تهيب قتله في بادىء الامر ، ولكن الوزير هون عليه ذلك فقتلوه رفسا ، وفي رواية أن الذي أشار على هولاكو بقتل الخليفة الوزير ابن العلقمي والمولى نصير الدين الطوسي ٦٠ ، وكان الذي تولى الاهتمام بابن العلقمي عند هولاكو لما احتل بغداد ، هو نصير الدين الطوسي(١) ، إذ أن هولاكو أعجب بابن العلقمي ، والارجح ان شفاعة نصير الدين الطوسي له ، كانت أهم سبب في نجاته على حد قول ابن الطقطقي (١٠٠٠ وقد أنشد الطوسي شعرا يؤرخ فيه احتلال هولاكو

لبغداد

قال فيه 🖰 :

سال هِجُرَتْ شُشَصْدْ وينجِماه وشَشْ شنبه جهارم از صفر رَوُرُ يَــكَ شُـدٌ خليفة نئست هـولاكـو دران دَوُلــتِ عبساسيسان ومعناهما :

ف عام ستة وخمسين وستمائة للهجرة وفي يسوم الأحد البرابيع من صفر انعدم ذكر الخليفة وجاء اسم هولاكو الحباسيين دولية وكان الطوسي يقيم على بوابة الحلبة أمانا للناس ، فشرع الأهالي يخرجون من المدينة ، ثم يستلمهم الجند المغولي فيقتلونهم • ثم أمر هولاكو بقتل جند بغدات جميعاً ، وقضوا على كل شخص وجدوه حيا من

العباسيين ، اللهم إلا افرادا قلائل لم يأبهوابهم ١٠٠٠ وفي يوم ٩ ربيع الأول سنة ٢٥٦هـ/١٢٥٨م ، اعاد هولاكو رُسل حلب الذين كانوا قد قدموا الى بغداد ، وحملهم رسالة كتبها بالعربية نصير الطوسي كان نصها: «اما بعد فقد نزلنا بغداد سنة ست وخمسين وستمائة فساءً صباح المبدرين ، فدعونا مالكها فأبي فحق عليه القول فأخذناه أخذا وبيلا ، وقد دعوناك الى طاعتنا فان أتيت فروح وريحان ، وان أبيت فخزى وخسران ، فلا تكن كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن أنفه بكفه فتكون من الأحسرين أعمالًا الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون انهم يحسنون صُنعا ، فما ذلك على الله بعزيز والسلام على من أتبع الهدي(١) ، ٠ بهذا الاسلوب وبهذه الروح وبهذا المنطلق يخاطب الطوسى العرب المسلمين في الشام نيابة عن هولاكو

وبعد كل الدمار الذي لحق بحاضرة الاسلام والعرب، نقل الطوسي كتب الأوقاف التي كانت ببغداد الى مدينة مراغة(۱) ، وكان ذلك في سنة ١٥٧هـ/١٢٥٩م ويروى بأن مجموع ما نقله الطوسي من خزائن بغداد الى مراغة سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م قد بلغ (٤٠٠) أربعمائة الف وجلام (١) ، وجمعت في مرصد مراغة الذي بناه المغول بناءً على المر صادر من منكوقاأن ، حيث اقتضى رأيه أن يشيد مرصد ، وأمر أن يقوم بهذه المهمة نصير الطوسى ، وقد انشيء المرصد الايلخاني بعد مضى سبع سنوات من جَانِسَ مولاكو خان على العرش، وذلك بالاعتماد على الطوسي ومشاركة الحكماء الاربعة مؤيد الدين العرضي،

<sup>(</sup>۱) ابن الكازروني ، مختصر التاريخ ، تحقيق د ٠ مصطفى جواد (بغداد ، ١٩٦٩) ، ٢٧ ـ ٣٧٣٠

<sup>(</sup>۲) ابن کثیر ، المصدر السابق ، ۱۲/۱۳ ـ ۲۱۸

<sup>(</sup>۲) نفسه ، ۱۲/۱۳ (۲)

<sup>(</sup>٤) ابن الطقطقي ، الفخرى في الأداب السلطانية (بيروت ، ١٩٦٦) ٣٣٨

<sup>(</sup>٥) نفسه ، ۲۳۸

<sup>(</sup>٦) ابن الكازروني ، المصدر السابق ، ۲۷۲ ـ ۲۷۳

<sup>(</sup>١) الالوسي ، الاستاذ سالم ، هامش ٢٧٣ من الكارّروني ، مختصر التاريخ (وقال الاستاذ الالوسي نقل العلامة المحقق البيتين مصحفين لعدم معرفته بالفارسية فعرضناها على الاستاذ جعفر الخليلي الذي تفضل مشكورا بقراءتهما وضبطهما بالشكل الذي يجده القاريء، ٠

<sup>(</sup>٢) رشيد الهمداني ، المصدر السابق ، م" /ج"/ ٢٨٨ \_ ٢٨٩ ، ٢٩٤

<sup>(1)</sup> نفسه ، ۲۹۲ ، ۲۹۷

<sup>(</sup>٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٣ / ٢١٥

<sup>(</sup>٣) الاستاذ اسامة النقشبندي ، فنون الكتاب ، ضمت كتاب حضارة العراق (بغداد ١٩٨٥) ج١٢٣/٢٢٣/

وفخر الدين المراغى ، وفخر الدين الأخلاطى ، ونجم الدين دنران القزويني<sup>(1)</sup> ، حيث رتب في هذا المرصد الفلاسفة والمتكلمين والأطباء وغيرهم (<sup>9) ،</sup>

#### آراء في الطوسي:

تتباين مواقف المفكرين ف تقييم الموقف السياسي الذي وقفه الطوسي من الغزو المغولي لبغداد ، وسوف نطلع القاريء على جانب من بعض تلك المواقف المتباينة ، لنبين مدى حقيقة وأهمية كثير من الكتابات التاريخية التي توجب اعادة النظر فيها ، وضرورة كتابتها من قبل ابناء الأمة الذين أمنوا بقدرها وبدورها في صنع هذا التاريخ ، وأن هذه الكتابات تكشف لنا عن كثير من المتناقضات التي لا سند لها ولا أصل لها من قريب أو بعيد مع حقيقة الحدث أو الواقعة التاريخية ، وهنا نلاحظ أن أبرز الذين دافعوا عن الطوسي من المؤرخين القدامي، هو مؤرخ المغول رشيد الدين فضل الله الهمداني الذي اشاد به في مواقع كثيرة نقتبس منها مايلى : ١٠٠ مولانا الاعظم السعيد أستاذ البشر سلطان الحكماء، الخواجه نصير الدين الطوسى تغمده الله بغفرانه(۱) ، وقال عنه في موضع آخر : «وفي ذلك الوقت كان مولانا السعيد الخواجة نصير الدين الملوسي الذي كان اكمل واعقل عالم<sup>(۱)</sup> ۲۰» ، واشاد به في مواضع عديدة ومنها قوله عنه : «سلطان المحققين» و «العقل الحادي عشر، وغيرها فمن هو المؤرخ رشيد إلدين الهمداني هذا الذي اشاد بالطوسي الى هذا الحد جفقد قال ابن حجر العسقلاني عن والد رشيد الدين الهمداني ، ما نصه : «كان أبوه عطارا يهوديا فاسلم هو، واتصل بغازان فخدمه وتقدم عنده بالطب الى ان استوزره (۱) ، وأكد العيني : أن أصله يهودي من يهود همدان ، ثم اسلم وهو شاب ابن ثلاثین سنة(۱) ، وأكد

الدكتور الصياد ان ذلك الوقت كان التعصيب فيه على اشده ضد المسلمين وايثار للطوائف الأخرى وبخاصة اليهود الذين ارتفع شأنهم الى حدٍ كبير في عهد السلطان أرغون ، وعلى يد وزيره سعد الدولة البويهي الذي كان شديد التعصب لكل ما هو يهودي (١) ، ومن المسلم به ان رشيد الدين الهمداني كان يعرف اللغة العبرية معرفة تامة ، وكان يتخير اعوانه من بين صفوف اليهود الذين كانوا يكثرون في هذا العصر في البلاط المغولي ، وكان شائعا في ايران اتهام رشيد الدين باليهودية ، وعلى أثر مقتله دفن في تبريز وفي مقابر اليهود (١) ، وقد تألم رشيد الدين الهمداني على وفاة هولاكو بقوله : «وقعت الطامة الكبرى في ليلة الأحد التاسع عشر من ربيع الأخر سنة الكبرى في ليلة الأحد التاسع عشر من ربيع الأخر سنة شمسية تامة اذ وصل من مرحلة الفناء إلى مستقر البقاء على ساحل جغاتو (١)» •

اذن هذا الهمدانى كان يهوديا ف اصله ، ويكفيه خزيا تعصبه لها ، فلا غرابة في امتداحه للطوسي ؟! وممن اشاد بالطوسي ايضاً الميزا محمد باقر الخونسارى الاعجمى ، والذى قال مفتخرا باحتلال المغول لبغداد ، ومعجبا بالطوسي الذى كان سببا في ذلك فيقول عن الطوسي وهولاكو : «ومن جملة أمره المشهور المعروف المنقول حكاية استيزاره للسلطان المحتشم في محروسة ايران هولاكوخان ، ابن تولى خان بن محروسة ايران هولاكوخان ، ابن تولى خان بن موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد الى دار موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد الى دار السلام بغداد لارشاد العباد واصلاح البلاد وقطع دابر سلسلة البغى والفساد واخماد ثائرة الجور والإلباس بابادة دائرة ملك بنى العباس ، وايقاع القتل العام في التباع اولئك الطغام الى ان أسال من دمائهم الاقذار

<sup>(</sup>٤) رشيد الهمداني ، المصدر السابق ، ٣٠٣ ـ ٣٠٤

<sup>(</sup>٥) ابن كثير، المصدر السابق، ٢٦٨/١٣

<sup>(</sup>۱) جامع التواريخ ، م'/ج'/٢٠٣

<sup>(</sup>۲) نقسه ، ۲٤٩

<sup>(</sup>١) ابن حجر، العسقلاني، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة ج (حيدر أباد، ٢١٣هـ) ٣٣٢

<sup>(</sup>٢) د ٠ الصياد ، الرجع السابق ، ٩٨

<sup>(</sup>۲) نفسه ، ۹۹

<sup>(</sup>٤) نفسه ، ۹۹ \_ ۱۰۱ ، ۱۰۱ ، ۲۶۳

<sup>(</sup>٥) رشيد الدين الهمداني ، المصدر السابق ، ٣٤١

<sup>(</sup>١) ميرزا محمد باقر الخونساري ، روضات الجنان ، ٧٨ه

كأمثلة الانهار ، فانهار بها في ماء دجلة ، ومنها الى نار جهنم دار البوار ومحل الاشقياء والأشرار(۱) » ، وهكذا تلاحق وترادف هذا الاعجمى المتعصب بصاحبه الأول ، حيث أعمى الحقد بصيرتهم ، واعمى الباطل قلوبهم ، وان هذا الجاهل قاده تعصبه الى الافتخار بما قام به سيده الطوسي بالتعاون مع هولاكو من احتلال بغداد وسفك دماء الابرياء فيها ،

وتناغما مع هذين الشخصين الاعجميين، أبدى حسن الأمين مدافعا هو الآخر عن الطوسي حيث قال عنه : «كان الطوسى ذا فكر منظم يعرف كيف يخطط ويدبر ، وهو في ذلك أية من الآيات ٠٠» ، وكان الطوسي قدمات قرير العين وهو يرى طلائع الظفر مقتحمة الدنيا بموكبها الرائع وبشائر النصر هازجة بأرفع صوت واعلى نبرة ٠٠ مات الطوسي مودعا الامر الى تلميذه واقرب المقربين اليه ١٠ ليكون رسوله إلى العالم العربي والاسلامي» ٠٠ هكذا استطاع نصير الدين الطوسي ان يهزم بالعقل والعلم الدَولة الطاغية» ويختتم الامين دفاعه وتعصبه عن الطوسي بقصيدة في مدح الطوسي من انشاء نظام الدين الاصفهاني (١) ، ومن الغريب حقا ان حسن الأمين كان يُدافع عن الطوسي بدون علم أو دراية ، وساق الفاظا وعبارات غريبة حقا وهو يفضر بانحلال الخلافة الاسلامية ، واحتلال بغداد على ايدى المغول الوثنيين؟ وممن كتب عن الطوسي من العراقيين الدكتور عبدالأمير الاعسم ، ف كتاب مستقل ألفه عنه ، قال فيه م المركزت الذكرى السبعمائة على وفاة الفيلسوف نصير الدين الطوسى فى ٢٦ أيار/مايو ١٩٧٤ ، فاعادت الى ذهنى نشر الدراسة التي كتبتها عنه منذ عهد بعيد ٠٠ والكتاب برمته دراسة جادة في نصير الدين ، وحاولنا ايضاح تقصير الدراسات المعاصرة فيها على العموم ، وفي الطوسي

شخصيا على الخصوص ، والطوسي ، ليس بعد هذا ، بالشخصية الطارئة في تاريخنا ، انه بارقة مدت بفكرنا وفلسفتنا وعلومنا ٠٠ وبعد فان ما نجده في هذا الكتاب ليس هو كل ما يجب ان يُقال في الطوسي ، ٠٠ ومهما قيل في نزعة النصير السياسية ، يبقى الرجل إرثا عاما للحضارة العربية ، شأنه في هذا الشأن الكثير من اعلام الفكر الذين ولدوا في ايران وغزوا الحضارة العربية ، فلا أحسبن أحدا رأهم من زاوية العنصر بحسبانهم ايرانين ، دون اعتبار لانتماء فكرهم الخالص للعربية (۱) » ٠

ومن الذين جرحوا الطوسي ، عدد كبير من العلماء ، نقتبس من بينهم رأى العلامة شمس الدين ابن القيم الجورزية الذي قال عنه : «لما انتهت النوبة الى نصر الشرك والكفر الملحد وزير الملاحدة النصير الطوسي وزير هولاكو ، شفى نفسه من اتباع الرسول (ﷺ) وأهل دينه ، فعرضهم على السيف حتى شفى اخوانه الملاحدة ، واشتفى هو ، فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين ، واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة ، ونقل أوقاف المدارس والمساجد والربط اليهم ، وجعلهم خاصته واولياءه ، ونصِّر في كُتبه قدم العالم وبطلان المعاد ، وانكار صفات الرب جل جلاله من عَلَمَه وقدرته وحياته وسمعه وبصره ، وانه لا داخل العالم ولا خارجه ، وليس فوق العرش إله يُعبد البتة ، واتخذ للملاحداة عدارس ورام جعل اشارات امام الملحدين، فكان القرآن ، فلم يقدر على ذلك ، فقال هو قرآن الخواص ، وذلك قرآن العوام ، ورام تغيير الصلاة وجعلها صلاتين ، فلم يتم له الامر وتعلم السحر في أخر الامر فكان ساحرا(١) ، وسماه ابن تيمية : «نصير المشركين(۲)، •

<sup>(</sup>١) حسن الامين ، الغزو المغولي ، (بيروت ١٩٧٦) ١٥٠ \_ ١٦٠

<sup>(</sup>١) .. د - عبدالأمير الاعسم، المرجع السابق، ٧ .. ١٠ ، ١٦

<sup>(</sup>۱) ابن قيم الجوزية ، اغاثة اللهفان من مكابيد الشيطان ج٬ (بيروت ، ١٩٧٥) ٢٦٧ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ١٣٩٠ ـ ٣٤٠ ـ ٣٤٠ (٢) ابن قيم الجوزية ، المصدر نفسه ، ج٬ ١٤١/

#### مصادر ومراجع البحث

القرآن الكريم:

الاعسم ، د ٠ عبدالامير

ـ نصير الدين الطوسي ، الطبعة الأولى (بيروت ، ١٩٧٥) الأمين ، حسن الأمين ٠

\_ الغـرو المغـولي ، دار التـعـارف ، (بــيوت ، ١٣٩٦هـ /١٩٧٦م)

ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني (ت ، ٢٥٨هـ) : ــ الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة (حيدر أباد ١٢/٣هــ

خصباك ، الدكتور جعفر حسين

العراق في عهد المغول الأيلخانيين ، مطبعة العاني
 (بغداد ، ١٩٦٨)

الخونساري ، الميرزا محمد باقر

\_ روضات الجنان .

الذهبى ، مؤرخ الاسلام شمس الدين ابوعبدالله محمد بن أحمد (ت ، ٧٤٧هـ) :

دول الاسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، ١٩٧٤) ·

الصبياد ، د ٠ فؤاد عبدالمعطى

مؤرخ المغول رشيد الدين فضل الله ، الطبعة الأولى (القاهرة ، ١٩٦٧)

ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا

\_ الفخرى في الآداب السلطانية ، دار صادر (بيروت ، ۱۹۶۲)

ابن العماد الحنبلي، ابوالفلاح عبدالحي (ت، ۱۰۸۹هـ):

\_ شذرات الذهب في أخبار من ذهب (القاهرة ١٣٥٠ \_ ١٣٥١هـ) ،

فهد ، الدكتور بدري محمد :

\_ تاریخ العراق فی العصر العباسی الاخیر، مطبعة الارشاد، (بغداد، ۱۹۷۳) ۰

ابن قيم الجوزية ، شمس الدين ابوعبدالله محمد بن أبي بكر الدمشقى (ت ، ٧٥١هـ)

اغاثة اللهفان من مكاييد الشيطان ، الطبعة الثانية ،
 دار المعرفة (القاهرة ، ١٩٧٥ ·

راد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق شعيب الارتؤوط ، (بيروت ، ١٩٨٥) طبع مؤسسة الرسالة ·

ابن الكازروني ، ظهير الدين علي بن محمد البغدادى -(ت ، ١٩٧٧هـ) :

مختصر التاريخ ، تحقيق د ٠ مصطفى جواد ، وضع فهارسه واشرف على طبعه الاستاذ سالم الالوسي (بغداد ، ١٩٦٩) ٠

الكتبي ، محمد بن شاكر (ت ، ٢٦٤هــ) :

\_ فوات الوفيات ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ، (بيروت ، ١٩٧٣) .

ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقى (ت، ٧٧٤هـ):

\_ البداية والنهاية في التاريخ ، (القاهرة ، ١٣٥٨هـ) · محمد بن عبدالوهاب (الشيخ) (ت ، ١٢٠٦هـ) :

- الكبائر ، قام بمراجعة نصوصه في أصولها وبالتعليق عليه ، فضيلة الشيخ اسماعيل بن محمد الانصاري ، وقابله على مخطوطاته الشيخ عبدالله بن عبداللطيف ال الشيخ (الرياض ، مطبعة الفتح) .

\_ أصول الايمان ، حققه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف أل الشيخ (الرياض) .

\_ مطبعة الفتح •

موسى ، د ٠ محمد يوسف ٠

ابن تيمية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ،
 ۱۹۷۷) •

النقشبندي ، اسامة ناصر ٠

\_ فنون الكتاب ، وهو الفصل الثالث من كتاب حضارة العواق ، ج١١ (بغداد ، ١٩٨٥) ٠

ابن الوردي ، زين الدين عمر (ت ، ٧٥٠هـ) :

ـ تاريخ ابن الوردي ، المطبعة الوهبية (القاهرة ، ١٢٨٥) ٠

الهمداني ، رشيد الدين فضل الله ٠

- جامع التواريخ ، تاريخ خلفاء جنكيزخان من اكتاي قاآن الى تيمورقاآن ، نقله الى العربية د • فؤاد عبد المعطي الصياد ، وراجعه وقدم له د • يحيى الخشاب ، دار النهضة العربية ، الطبعة الأولى (بيروت ١٩٨٣) •

-جامع التواريخ ، المجلد الثانى ، الجزء الأول ، الأيلخانيون ، تاريخ هولاكو ، نقله الى العربية ، محمد صادق نشأت ، محمد موسى هنداوى ، فؤاد عبدالمعطي الصياد ، راجعه وقدم له د · يحيى الخشاب ، دار احياء الكتب العربية (القاهرة ، ١٩٣١) ·

منتس ، قالتر منتس ٠

ـ المكاييل والاوزان الاسلامية، ترجمة د · كامل العسلي، (عمان، ۱۹۷۰) ·

### الطبرى الفقيه المؤرخ

احمد عبدالباقى عضو اتحاد المؤرخين العرب \_ بغداد

#### (۱) حياته ودراسته

يعتبر الطبرى من ابرز العلماء العرب في القرن الثالث الهجرى في علوم القرآن والحديث والفقه والتاريخ وهو ابوجعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد ، وقيل يزيد بن كثير بن غالب() وقد ولد بمدينة أمّل وبها نشأ وتلقى علومه الاولية وكانت أمل انذاك قصبة اقليم طبرستان ، وهي اكبر مدنه واعمرها وقد اتخدها الحسن بن زيد العلوى مقراً له عندما تغلب عليها في سنة ١٥٠هـ ، وبقيت كذلك في عهد اخيه محمد بن زيد بعده حتى سنة ١٨٧هـ ، عندما تغلب عليها السامانيون الذين كانوا اقاموا امارة شبه مستقلة في ماوراء النهر ، وجعلوا مدينة بخارى قاعدة لهم وهناك بعض الشك في سنة مولد الطبرى فيقال انه ولد في اواخر سنة ١٢٥هـ او في اوائل سنة ١٢٥هـ ، وقد فسر الطبرى نفسه هذا الشك فقال : لان اهل بلدنا يؤرخون بالاحداث دون السنين فأرَّخ مولدى بحدث كان في البلد ، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث ، فاختلف المخبرون في فقال بعضهم كان ذلك في اواخر سنة أربع وعشرين ومائتين ومائتين ، وقال آخرون بل كان في اول سنة خمس وعشرين ومائتين واعتبره ابن النديم وابن خلكان من مواليد سنة عربي وعشرين ومائتين ، وقال آخرون بل كان في اول سنة خمس وعشرين ومائتين النديم وابن خلكان من مواليد سنة ٢٤هـ الهيدي ومائتين ، وقال آخرون بل كان في اول سنة خمس وعشرين ومائتين ، وقال آخرون بل كان في اول سنة خمس وعشرين ومائتين ، واعتبره ابن النديم وابن خلكان من مواليد سنة ٢٤هـ ١٠٠ .

ولعل اول من كتب عن بعض جوانب حياة الطبرى ودراسته العلمية هو الخطيب البغدادى ، الذى حددً تاريخ ميلاده ووفاته وذكر جانبا من حياته الدراسية وشيئا عن سيرته ، وتلاه ياقوت الحموى الذي عِنَى بسيرة الطبرى وذكر جوانب متعددة من حياته الشخصية وصفاته الجسمية والخلقية ، وحياته الدراسية ، ومصنفاته ، فقد عقد فصلا طويلا عنه في كتابه معجم الادباء (الله ، وسنتخذ هذين المصدرين اساساً لبحثنا هذا ، الا اذا ذكرنا مصادر اخرى ،

نشأ الطبرى في اسرة متوسطة المال ، وكان ابوه يملك ضيعة يعتاش واهله على غلتها • وقد حرص الاب على تعليم ابنه لما لاحظه عليه من علائم القطنة والنباهة • قال الطبرى عن نفسه «حفظت القرآن ولى سبع سنين ، وصليت بالناس وانا ابن ثمانى سنين ، وكتبت الحديث

وإنا ابن تسع سنين ، وحرص ابى على معونتى على طلب العلم وإنا حينئذ صبى صغير» ( ) وبعد أن استنفذ الطبرى دواسته في الحديث على شيوخ بلاه أمل سمح له أبره بالسفر إلى البلدان الاخرى طلبا للحديث والعلم ، وكان يوجه اليه بالنفقة بين حين وآخر ، فقصد مدينة الرى ودرس على شيوخها لاسيما المحدث محمد بن حميد الرازى المتوفى سنة ٨٢٨هـ ، ويقال أنه كتب عنه فوق مائة الف حديث ، ثم تنقل في أكثر الاقطار الاسلامية طلبا للعلم ، والتعرف على كبار علماء زمانه في الحديث والفقه ( ) مقاتجه إلى مدينة السلام ، وقد مرّ باهم المدن في طريقه واتصل بالمشهورين من محدثيها وكتب عنهم ودخل مدينة السلام وكان في نفسه أن يسمع من أبى عبدالله احمد بن حنبل كبير محدثي عصره ، فلم يتفق له عبدالله احمد بن حنبل كبير محدثي عصره ، فلم يتفق له ذلك لموت الامام احمد ، قبل دخوله المدينة

<sup>(</sup>١) الفهرست / ٣٤٠ ، ووفيات الاعيان ٣٣٢/٣ ومعجم الادباء د/٢٢٤

<sup>(</sup>٢) تاريخ بغداد ١٦٦/٢ ، ومعجم الادباء ٦/٢٦٩ ، والمنتظم ٦/١٧٠

<sup>(</sup>٣) الفهرست /٣٤٠ ، روفيات الاعيان ٣٣٢/٣

<sup>(</sup>٤) تاريخ بغداد ٢/٢١/١٦٩ ومعجم الادباء ٢/٢٢٤ \_ ٤٦٢

<sup>(</sup>٥) معجم الادباء ٦/٢٠١٠

<sup>(</sup>٦) القهرست /٢٤١

اخذ ابوجعفر عن علماء مدينة السلام فى الحديث والفقه والقرآن ، ثم انحدر الى البصرة فسمع من كان بها من شيوخ الحديث فى وقته ، وكتب فى طريقه عن شيوخ الكوفة وواسط ، وكان اشهر من اخذ عنهم فى المدن آنفة الذكر احمد بن منيع البغوى المتوفى سنة ١٤٤٨هـ ، وهناد وابوكريب محمد بن العلاء المتوفى سنة ١٤٨٨هـ ، وهناد بن السرى بن مصعب التميمى المتوفى سنة ١٤٢٨هـ ، وهناد وابويعقوب اسحاق بن اسرائيل المتوفى سنة ١٤٢٥هـ ، وعند وقرأ القرآن على سلمان بن عبدالرحمن الطلحى ، وعند عودته الى مدينة السلام بقى بها مدة انصرف فيها الى دراسة الفقه وعلوم القرآن واللغة وأدابها ، وقد سمع ثعلب شيخ اللغويين الكوفيين فى زمنه يقول : قرأ على ابوجعفر الطبرى شعر الشعراء قبل ان يكثر الناس عندى بمدة طويلة ، وقال عنه انه كان من حذَّاق الكوفيين عندى بمدة طويلة ، وقال عنه انه كان من حذَّاق الكوفيين

وكان الطبرى قد ابتدأ بدراسة الفقه بمدينة السلام على مذهب الامام الشافعي ، وهو حدث ، قبل خروجه الى الفسطاط - ثم غادر بغداد فغرَّب الى مصر ، وكتب في طريقه عمن لقيهم من المحدثين والفقهاء باجناد الشام والسواحل والثغور ٠ ثم صار الى الفسطاط في سنة ٢٥٣هـ ، وكان بها عدد من شيوخ اهل العلم فاكثر عنهم الكتابة من علوم مالك والشافعي وأبن وهب وغيرهم • ثم عاد الى الشام ، ورجع ثانية الى مصر • وكان بمصر أنذاك ابوالحسن على بن سراج المصرى ، فلقيه الطبيرى فبأن فضله في علوم القرآن والفقه والحديث واللغة والنجن والشعر ٠ كما لقى بها ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم المزنى فتكلم في مواضيع عديدة منها الكلام في الاجماع ٠ قال ابوجعفر «لماوردت مصر في سنة ٢٥٦هـ نزلت على الربيع بن سليمان ٠٠ ولم يبق احد من العلماء الالقيني وامتحننی فی العلم الذی يتحقق به ۰ فجاءنی رجل فسألنى عن العروض ، ولم اكن نشطت له قبل ذلك ، فقلت له عليٌّ قول الا اتكلم اليوم في شيء من العروض ، فاذا كان غد فصر الى وطلبت من صديق لى العروض للخليل بن احمد فجاء به ، فنظرت فيه ليلتى ، فأمسيت غير عروضي واصبحت عروضيا» ٠

ثم عاد الطبرى الى مدينة السلام ، ومنها ذهب الى طبرستان ، وهي الرقعة الاولى ، ثم الثانية التي كانت ق سنة ٢٩٠هـ · ثم رجع الى بغداد واستقر مقامه فيها حتى وقاته · وكان قد نزل قنطرة البردان ، فاشتهر اسمه في العلم وشاع خبره بالفهم والتقدم (١٠) · ويقول ابن النديم ان الطبرى اخذ فقه الشافعي عن الربيع بن سليمان بمصر ، وعن الحسن بن محمد الزعفراني ببغداد ، واخذ فقه مالك عن يونس بن عيد الاعلى وعن ابناء عبدالحكم : محمد وعبدالرحمن وسعد في مصر ،

وكان الطبرى لما قدم بغداد من طبرستان قدومه الاخير، قصده الحنابلة فسألوه في الجامع يوم الجمعة عن احمد بن حنبل وعن حديث الجلوس على العرش فقال ابوجعفر اما احمد بن حنبل فليس له خلاف في الفقه يعتد به ، فقالوا له فقد ذكره العلماء في الاختلاف فقال ما رأيته روى عنه ولا رأيت له اصحابا يعول عليهم واما حديث الجلوس على العرش فمحال في فلما سمع الحنابلة واصحاب الحديث منه ذلك وثبوا به ورموه بالمحابران ويقول ابن الجوزى لما اشتد خلاف الحنابلة الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادى وزير على بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادى وزير المقتدر بالله وبعده القاهر بالله ، واصر العلماء الرؤساء من اهل بغداد فحضر الطبرى في ذى القعدة من سنة المن بغداد فحضر الطبرى في ذى القعدة من سنة من اهل بغداد فحضر الطبرى في ذى القعدة من سنة من قفهاء الحزير للمناظرة الا ان احدا لم يحضر الدار من فقهاء الحنابلة ، فعاد الطبرى الى مغزله (١٠)

ومما ذكر عن صفات الكندى وسلوكه ، فقد وصف بأنه كان اسمر الى الادمة ، اعين ، نحيف الجسم ، مديد القامة ، فصيح اللسان (۱۱) و وكان شديد العناية بصحته لا يأكل كل ما يضره أو يعسر هضمه ، وقد كتب كتاب فردوس الحكمة لعلي بن ربن الطبرى اخذه عن مصنفه سماعا ، فكان يسترشد به في اموره الصحية ، ويحفظه تحت وسادته ، وقد نظم حياته اليومية فكان يصلى الظهر في بيته ، ويكتب في تصانيفه الى العصر فيخرج فيصلى ، ثم يجلس للناس يقرىء ويقرأ عليه الى المغرب ، ثم

<sup>(</sup>۷) يراجع عن سفرات الطيرى العلمية : معجم الادباء 7/7  $\pm 0.00$ 

<sup>(</sup>٨) القهرست /٣٤٠

<sup>(</sup>٩) معجم الادباء ٦/٢٦٤

<sup>(</sup>۱۰) المنتظم ٦/١٥١

<sup>(</sup>۱۱) تاریخ بغداد ۱۱۱/۲

يجلس للفقه والدرس بين يديه الى عشاء الآخرة ، فيدخل منزله • فاذا دخل منزله بعد المجلس لا يكاد يدخل اليه احد لتشاغله بالتصنيف ، الا لأمر مهم ، ووصف بانه كان ظريفا في ظاهره ، نظيفا في باطنه ، حسن العشرة لجالسيه ، متفقدا لاحوال اصحابه ، مهذبا ف جميع احواله جميل الادب في مأكله وملبسه وما يخصه في احوال نفسه ، منبسطا مع اخوانه وربما داعبهم احسن مداعبة ٠ وربما جيء بين يديه بشيء من الفاكهة فيجرى ف ذلك المعنى مالا يخرج عن العلم والفقه ، حتى يكون كاجد جد واحسن علم • وكان اذا اهدى اليه مهد هدية مما يمكنه المكافأة عليها قبلها وكافأه ، وان كانت ممالا يمكنه المكافأة عليها ردها واعتذر الى مهديها ٠ وكان فيه من الزهد والورع والخشوع والامانة وتصفية الاعمال وصدق النية ما دل عليه كتابه في اداب النفوس ، متوقفاً عن الاخلاق التي لا تليق باهل العلم ولا يؤثرها ، يحب الجد ف جميع احواله(١٠) 🕝

وقد ورث الطبرى عن ابيه ضبيعة في طبرستان يأتيه ايرادها سنويا ، ويظهر ان الايراد كان يسد نفقاته فلم يحتج الى ان يعمل ليعيش ، وكان الوزير عبيدالله بن يحيى بن خاقان عرض القضاء عليه فامتنم (١) ،

اما وفاة الطبرى فتكاد تجمع المصادر الاولية على السنة التى توفى فيها وهى بسنة ٣١٠هـ، الا انها تختلف حول يوم وفاته وتاريخه وقد ذكر الخطيب البغدادى انه مات يوم السبت بالعشى ودفن غداة يؤم الاحد لاربع بقين من شوال سنة ٣١٠هـ وقال أن هناك رواية اخرى عن وفاته بانها كانت وقت المغرب من عشية يوم الاحد ليومين بقيا من شوال سنة ٣١٠هـ عشية يوم الاحد ليومين بقيا من شوال سنة ٣١٠هـ ،دفن وقد اضحى النهار من يوم الاثنين في داره برحبة

يعقوب (١٤) ٠ ويؤيد القول الاول كل من ابن خلكان وياقوت الحموى(١٠٠ ومن الذين يقولون بوفاته يوم الاحد ابن الجوزي والذهبي وابن كثير(١١) • ويستدرك ياقوت فيقول: وهناك من يقول انه مات سنة احدى عشرة او ست عشرة وثلثمائة(١١) وقد اكتفى ابن النديم بان الطبرى مات في شوال سنة ٣١٠هـ وله سبع وثمانون سنة (١١٠) • وكذلك اكتفى مسكويه بالقول بانه مات في سنة • ٣١١هـ دون أن يعين اليوم والشهر(١١١) • كما يشير أبن الجوزى الى انه دفن بازاء داره ، ويقول : وقيل بل دفن ليلا ، وإن ثابت بن سنان ذكر في تاريخه أن حاله اخفيت لان العامة اجتمعوا ومنعوا من دفنه بالنهار ، وادعوا عليه الرفض والالحاد(٢٠) • ويقول ابن الاثير ان ماذكر عن تعصب العامة ضده ليس صحيحا ٠ وانما تعصب عليه بعض الحنابلة فتبعهم غيرهم ، ولهذا سبب هو ان الطبرى عندما صنف كتابه اختلاف الفقهاء لم يذكر فيه الامام احمد بن حنبل ، فقيل له في ذلك ، فقال انه لم يكن فقيها وانما كان محدثا • فاشتد ذلك على الحنابلة فشغبوا عليه (٢١) ٠

وكان سبب وفاة الطبرى ، كما يقول ياقوت الحموى الله كان يشكو من مرض صدرى يعتاده وينتقض عليه ، فوجه أليه الوزير علي بن عيسى طبيبا ، فسأله الطبيب عن حال فعرفه حاله وما استعمل واخذ لعلته وما انتهى اليه في يومه ذاك ، وما كان رسمه ان يعالج به وما عزم على اخذه من العبلاج ، فقال له الطبيب ماعندى فوق ما وصُقته لنفستك شيء ، والله لوكنت في ملتنا لعددت من الحواريين ، وفقك الله(٢٠) .

ولعلو منزلة الطبرى العلمية ، ولآثاره العظيمة التى تركها في حقل التفسير والفقه والتاريخ ، فقد رثاه بعض

<sup>(</sup>۱۲) معجم الادباء ٦/١٥٤ \_ ٤٥٨

<sup>(</sup>١٣) طبقات السبكى ١٣٨/٢ ، وتذكرة الحفاظ ٢١٢/٢

<sup>(</sup>۱٤) تاريخ بغداد ۱۳۱/۲

<sup>(</sup>١٥) وفيات الاعيان ٣٣٢/٣ ، ومعجم الادباء ٢٣٣/٦

<sup>(</sup>١٦) المنتظم ١٧٢/٦ ، وتذكرة المفاظ ٢/٥١٧ ، والبداية والنهاية ١٤٦/١١

<sup>(</sup>۱۷) معجم الادباء ٦/٢٢٤

<sup>(</sup>۱۸) الفهرست /۲٤٠

<sup>(</sup>١٩) تجارب الامم ١٩٤٨

<sup>(</sup>۲۰) المنتظم ٦/٢٧١

<sup>(</sup>۲۱) الكامل ۱۳٤/۸ \_ ۱۳۵

<sup>(</sup>٣٣) معجم الادباء ٦/ ٤٦١ - ٤٦٢ ، وفيه انه كان يشكورمن ذات الجنب ، الا ان هذا المرض ليس من الامراض المزمنة ، ويبدو ان ياقوتا قد توهم ف تسمية المرض

معاصريه منهم : ابن الاعرابي وهو أحمد بن محمد بن ياد بن بشير ، مؤرخ ومن علماء الحديث ، بصري انتقل الى الحجاز فكان شيخ الحرم المكي ، توفى بمكة في سنة ٠٤٣هــ(٢١) ٠ وقد ربّاه بقصيدة منها قوله(٢١) : حدث مقظع وخطب جليل دقٌ عن مثله اصطبار الصبور قام ناعى العلوم اجمع لماً قام ناعی محمد بن جریر انجم زاهرات ف بهـ وت مؤذنات رسومها بالدثور وغدا روضها الانيق هشيماً ثم عدت سهولها كالوعور ياابا جعفر مضيت حميدا غير وانٍ في الجد والتشمير بين أجر على اجتهادك موفور وسعى الى التقى مشكور مستحقا به الخلود لدى جنة عدن في غبطة وسرور

كما رثاه ابوبكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي وكان اشعر العلماء واعلم الشعراء ، وهو صاحب المقصورة الشهيرة ، توفى سنة ٣٢١هـ ، بقصيدة طويلة مطلعها (۲۰)

لن تستطيع لامر الله تعقيبا فاستنجد المبير او فاستشعر الخويا وافزع الى كنف التسليم وارض بما قضى المهيمن مكروها ومحبوبا

لكن فقدان من اضحى بمصرعه نور الهدى وبهاء العلم مسلوبا

من صاحب الدهر لم يعدم مجلجلة

ان البلية لا وفر تزعزعه

ولا تفرق الآف يفوت بسهم

اودى ابوجعفر والعلم فاصطحبا

اعظم بذا صاحبا اذ ذاك مصحوبا ان المنية لم تتلف به رجلا بل اتلفت علماً للدين منصوبا

يظل منها طوال العيش منكوبا

ايدى الحوادث تشتيتا وتشذيبا

بَين يغادر حبل الوصل مقضوبا

\*\*\*

ان يندبوك فقد ثُلَّت عروشهم واصبح العلم مرثيا ومندوبا ومن اعاجيب ماجاء الزمان به وقد يبين لنا الذهارُ الاعاجيبا ان قد طوتك غموض الارض في لحق وكنت تملأ منه السهل واللوبا

وقد صنفت بعض الكتب في سيرة الطبرى ، منها كتاب أل سيرته الفه عبدالعزين بن محمد الطبرى ، وكتاب في خباره وضعه ابوبكر بن كامل وهو من طلاب الطبرى \* وقد اعتمد ياقوت الحموى فيما كتب عن سيرة الطبرى في معجفه طلى هذبن الكتابين اضافة الى كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي

<sup>(</sup>۲۳) וצאלק ו/۱۹۹

<sup>(</sup>۲٤) تاريخ بغداد ۲/۱۹۷

<sup>(</sup>٢٥) تاريخ بغداد ٢/١٦٧ ـ ١٦٨ وفيه كامل القصيدة

## (٢) الطبرى وعلم الفقه

الفقه واصبوله:

الفقه هو معرفة احكام الشرع في افعال المكلفين من حيث الخطر والكراهة والاباحة ، بالاستدلال بالكتاب والسنة النبوية(۱) • ورغم وضوح مصادر الفقه فقد اختلف الفقهاء فيما بينهم لاختلاف طرق ثبوت الحديث ، وتأويل أي القرآن الكريم • فتعارضت كثير من الاحكام واحتاجت الى الترجيح والقياس لاسيما وان بعض الوقائع المتجددة لا توفي بها النصوص المتوفرة ، وكانت تحمل على نصوص اخرى للتشابه بين الوقائع • وقد سمى المختصون من العلماء بهذه الامور الفقهاء •

وكان الفقه في القرن الثاني قد اتخذ طريقتين: طريقة أهل الرأى والقياس وهم أهل العراق «وانما سمُّوا» اصحاب الرأي والقياس لان اكثر عنايتهم بتحصيل وجه القياس والمعنى المستنبط من الاحكام وبناء الحوادث عليها»(۱) • علماً أن الرأى والقياس اخضعا لما عرف باجماع الامة ، أي ما اتفق عليه الصحابة من المهاجرين والانصار ، وما اتفق عليه علماء الامة ، دون غيرهم من العامة ، في كل زمن(٢) • وطريقة أهل الحديث وهم الهل الحجاز «وانما سمُّوا اصحاب الحديث لان عفايتهم بتحصيل الاحاديث ونقل الاخبار ، وبناء الاحكام على النصوص ، ولا يرجعون الى القياس الجلى والخفى ما وجدوا خيرا او اشرا»(٤) • وشهد القرن الثالث انتصار الطريقة الثانية القائمة على النصوص ١٠ اذ انكر القياس طائفة من العلماء وابطلوا العمل به ، منهم الحنابلة اتباع الامام احمد بن حنبل ابرز علماء عصره في الحديث وقد شجب قول القائلين بالاراء والتزم بالقرآن والحديث ، ويعتبرون اكثر الناس حفظا للحديث ورواية للسنة -والظاهرية الذين جعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص والاجماع ، وكان امام هذا المذهب داود بن علي ٠ الا أن المذهب الظاهري لم يكتب له الاستمرار

فاندرس بالتدريج • فبقى مذهب اهل الرأى في العراق ، ومذهب اهل الحديث في الحجاز ، وكان امام اهل العراق البوحنيفة النعمان بن ثابت المترفي سنة ١٥٠هـ ببغداد ، واما اهل الحجاز مالك بن انس الملقب بامام دار الهجرة ، وقد توفي بالمدينة المنورة في سنة ١٧٩هـ • ثم كان بعد مالك محمد بن ادريس الشافعي الذي رحل الى العراق واختص بمذهب خالف فيه مالكا في كثير من الامور ، وتوفي بمصر سنة ٤٠٢هـ • وجاء بعده احمد بن حنبل وكان من علية المحدثين فابتعد عن الاجتهاد وقد توفي ببغداد سنة ١٤٢هـ • وقد وقف التقليد في الامصار عند هؤلاء الاثمة الاربعة ، وسد باب الخلاف وطرقه لماكثر تشعب الاصطلاحات وخشي من اسناد الاجتهاد الى غير اهله ومن لا يوثق برأيه • الا ان الشيعة قد انفردوا بمذهب فقهي يقر الاجتهاد ويقوم على عصمة الائمة (\*) •

ولاينكر أن الرأى والقياس والاجماع مما وسع اسس التشريع الاسلامي وزاد في مرونته ومكّنه من مسايرة بطور الحياة الاجتماعية ، ومواجهة القضايا الشرعية المستجدة في المجتمع العربي ،

لقد تميز علم الفقه في خلال القرن الثالث على غيره من العلوم الثينية واصبح رجال الدين طائفتين : العلماء والفقهاء ، وكان الفقهاء حملة العلوم الشرعية اكثر طلابا لانهم يعلمون ما يؤهل اصحابه لتولى المناصب الدينية في الدولة ، كالقضاء والامامة والخطابة في المساجد ، ولابي عثمان الجاحظ قول يعبر عن حالة الفقهاء واهميتهم أنذاك ، فيقول «وقد تجد الرجل يطلب الآثار وتأويل القرآن ، ويجالس الفقهاء خمسين عاما وهو لا يعد فقيها وهو لا يجعل قاضيا ، فما هو الا ان ينظر في كتب ابي وهو لا يجعل قاضيا ، فما هو الا ان ينظر في كتب ابي صنين حتى تمر ببابه فتظن انه من بعض العمال ، وبالحرى لا يمر عليه من الايام اليسير حتى يصير حاكما على مصر من الامصار ، او بلد من البلدان» (١٠) .

<sup>(</sup>۱)مقدمة ابن خلدون /۲٤٣

<sup>(</sup>٢) الملل والنخل ٢٠٧/١

<sup>(</sup>٢) مفاتيح العلوم /٧

<sup>(</sup>٤) الملل والنحل ٢٠٦/١

<sup>(</sup>a) راجع عن تطور المذاهب مقدمة ابن خادون /٣٤٣ \_ ٢٤٤

 <sup>(</sup>٦) كتاب الحيوان ١/٨٨

وقد ظهر فى خلال هذا القرن عدد كبير من الفقهاء ممن تفقهوا على فقه الائمة المذكورين ، وكانت لهم مصنفات فى علوم الفقه عديدة مهمة · كما ظهر بعض الفقهاء المجتهدين الذين لم يقلدوا احد ائمة ، وانما اتخذ كل منهم لنفسه فقها خاصا به يقوم على الكتاب والسنة وعلى اجتهاده فى القضايا الفقهية · وقد اشتهروا اضافة الى علمهم بالفقه والحديث ، بسعة العلم والزهد والورع والذب عن الدين وشرائعه · ومنهم من قلده فقهاء آخرون الا أن هذه المذاهب الفردية مالبثت أن اندثرت بمرور الزمن · ومن اشهر هؤلاء الفقهاء المؤرخ الفقيه محمد بن جرير الطبرى الذى سنستعرض الجانب الفقهى من سيرته ·

#### الطبرى الفقيه:

من العلوم التي اتقنها الطبرى وكان ماهرا فيها علم الفقه ، فكان اماما فيه • يقول الخطيب البغدادي «وله في اصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار من اقاويل الفقهاء ، وتفرد بمسائل حفظت عنه»(٢) وقد وصفه أبن النديم بانه امام عصره وفقيه زمانه(^) • درس الغقه الحنفي عندما كان بمدينة الري اول خروجه من اسقط راسه آملا في طلب العلم ، ودرس الفقه الشافاحي في العراق ومصر ، وفقه الامام مالك في مصر ايضا(١) • وقد الم بالاحكام الفقهيه للمذاهب المذكورة اضافة الى مذهبه ، وكان يمنى نفسه بلقاء الامام احمد بن حنبل يَعْدَيَّةُ السلام ليأخذ عنه ، الا أن المنية عاجلت بن حنبل قبل دخول لطبرى المدينة ٠ ومما يدل على عمق دراسته هذه المذاهب الفقهية انه شخّص مواضيع الاختلاف بينها ، وصنف في ذلك كتابه المشهور «كتاب اختلاف علماء الامصار في احكام شرائع الاسلام»(١٠) ، وهو اول مامينفه من كتبه الفقهية ، والكتاب مشهور شرقا وغربا ، قصيد به الى ذكر اقوال الفقهاء ، ونقاط اجتماعهم ، وما

اختلفوا فيه ، وهم : الامام مالك بن انس فقيه اهل المدينة بروايتين ، وعبدالرحمن بن عمرو الاوزاعى فقيه اهل الشام المتوفى سنة ١٩٧ه. ، وسفيان الثورى من اهل الكوفة بروايتين ـ وقد توفى سنة ١٦١ه. ، والامام محمد بن ادريس الشافعى برواية الربيع بن سليمان عنه ، ثم الامام ابوحنيفة النعمان بن ثابت عالم العراقين وتلميذاه ابويوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الانصارى المتوفى سنة ١٨٦ه. ، وابوعبدالله محمد بن الحسن الشيبانى المتوفى سنة ١٨٩ه. ، وابوثور ابراهيم بن خالد بن ابى اليمان الكلى المتوفى سنة ١٢٠ه. ويقال انه صنف هذا الكتاب ليتذكر به اقوال من يناظره من اتباع الائمة المشار اليهم(١١) .

ربلغ علم الطبرى ف الفقه درجة عالية فاجتهد ف بعض الاحكام الفقهية ، واداه اجتهاده الى ما اختاره من الاحكام من مذاهب الفقها ، فلم يعد يقلد احدا من ائمة المذاهب الفقهية المذكورة • بعد أن كان كما قال ، قد اظهر ببغداد فقه الامام الشافعي واقتدى به وافتى فيه عدة سنوات (١٦) • وقد لخص ياقوت مذهب الطبرى بانه «كان يذهب في جل مذاهبه الى ما عليه الجماعة من السلف ، وطريق اهل العلم المتمسكين بالسنن ، شديدا عليه مخالفتهم ، ماضيا على منهاجهم ، لا تأخذه في ذلك ولا في شيء لومة لائم • وكان يذهب الى مخالفة اهل الاعتزال ف جميع ماخالفوا فيه الجماعة من القول بالقدر وخلق القرآن وابطال رؤية الله في يوم القيامة ٠٠ وكان ابوجعار يزعم ان ماق العالم من افعال العباد فخلق الله وان مامن الله به على اهل الايمان من الاستطاعة التي وفقهم لها غير ما اعطاه لاهل الكفر من الدار والعقل ، وان الله ختم على قلوب من كفر به مجازاة لهم على كفرهم ٠٠ وكان ابوجعفر يعتقد ان ما اخطأه ماكان ليصيبه ، وان ما اصابه لم يكن ليخطئه ، وان جميع مافي العالم لا يكون الا بمشيئة الله ، وإن الله عز وجل لم يزل موصوفا بصفاته التي هي علمه وقدرته وكلامه غير محدث ٠٠

<sup>(</sup>۷) تاریخ بغداد ۱۹۳/۲

<sup>(</sup>٨) الفهرست /٣٤٠

<sup>(</sup>٩) نقس المسدر

<sup>(</sup>١٠) جاء اسمه في الفهرست : كتاب اختلاف الفقهاء /٢٤١

<sup>(</sup>١١) معجم الادباء ٦/٥٤٥ ـ ٤٤٦

<sup>(</sup>١٢) طبقات السبكي ٢/١٣٧ ، وتذكرة الحفاظ ٢١٢/٢

وكان ابوجعفر يذهب في الامامة الى امامة ابى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وماعليه اصحاب الحديث في التفضيل مكان يكفر من خالفه في كل مذهب اذ كانت ادلة العقول تدفع كالقول في القدر وقول من كفر اه حاب رسول الله (ﷺ) من الخوارج ولا يقبل اخبارهم ولاشهاداتهم ، وذكر ذلك في كتابه في الشهادات وكان لا يورث متكافرين لا يورث يعقوبيا من النصارى من ملكى ولا ملكيا من يورث يعقوبيا من النصارى من ملكى ولا ملكيا من نسطورى فاذا اختلفت الكنائس والبيع لم يورث بعضهم من بعض من وكان اذا عرف من انسان بدعة ابعده وطرحه (۱۰) ،

وكان الاجماع عندالطبرى هو نقل المتواترين لما اجمع عليه اصحاب رسول الله (ﷺ) من الآثار، دون ان يكون ذلك رأيا مأخوذا على القياس(أأ) ويظهر ان الطبرى اخذ موقفا وسطا بين اهل الحديث واهل الرأى والقياس ولعدم وصول احد مصنفاته في شئون مذهبه الفقهي ، وعدم ذكره في الكتب الفقهية الاخرى فاننا لا نعرف شيئا عن اسس واوجه الخلاف بينه وبين المذاهب الفقهية الاخرى سوى بعض القضايا القليلة التي ذكرها ياقوت الحموى في ثنايا كتابه ، وقد اشرنا اليها توا

لقد وضع الطبرى عددا من الكتب في شرح مذهبه الفقهى ، منها : (كتاب لطيف القول في احكام شرائع الاسلام) ويسمى اختصارا (الكتاب اللطيف) • وهو مجموع مذهبه الذي يعول عليه جميع اصحابه ، ويعتبر من انفس كتبه وكتب غيره من الفقهاء ، وافضل امهات المذاهب واسدًها تصنيفا • وقيل عنه : ماعمل كتاب في مذهب اجود من كتاب ابى جعفر اللطيف لمذهبه • ولم يقصد باللطيف صغر الكتاب وخفة محمل وزنه ، وانما اراد بذلك لطيف القول فيه ودقة معانيه وكثرة ما احتواه من الاراء والتعليلات (١٠٠) • ثم اختصره في (كتاب الخفيف في احكام شرائع الاسلام) بناء على طلب الوزير العباس

بن الحسن الجرجرائى وزير المكتفى بالله المتوفى سنة ٢٩٦هـ، الذى ارسل الى الطبرى بانه قداحب ان ينظر في علم الفقه ، وسأله ان يعمل له مختصرا · فعمل الطبرى كتاب الخفيف · ويقال ان الوزير بعث اليه بالف دينار فلم يقبلها (١١) ·

ومن كتب الطبرى الفقهية الاخرى (كتاب بسيط القول في احكام شرائع الاسلام) ، ذكر فيه اصحاب رسول الله (ﷺ) ومن اخذ عنهم من فقهاء الامصار في المدينة والكوفة والبصرة والشام وخراسان · كما ذكر فيه اختلاف المختلفين واتفاقهم فيما تكلموا فيه من الاحكام ، ونوّه بالصائب من الاقوال(۱۲) · وهو قريب في موضوعه من كتاب اللطيف ·

و(كتاب الشروط) المسمى امثلة العدول ، وهو من جيد كتبه التي يعوِّل عليها اهل مدينة السلام · وكان الطبرى مقدما في علم الشروط قيِّما به(١٠١ ·

و(كتاب آداب القضاء) وهو تفصيل لماورد في كتاب بسيط القول عن القضاء وأدابه ، من حيث واجبات القاضى وما ينبغى له ان يعمل به اذا ولى القضاء ، والكلام في الشهادات والسجلات والبينات وما يحتاج اليه القاضى من الاراء الفقهية (١٠) ،

والطبرى كتاب آخر شرح فيه اصول مذهبه سماه (كتاب صريح السنة) ذكر فيه مذهبه الفقهى وعقيدته (٢٠)

ومن الغيّهاء الذين اخذوا بفقه الطبرى ونسبوا اليه القاضى ابوّالقرج المعافى بن زكريا ، المعروف بابن طرار الجريرى المتوفى سنة ٣٩٠هـ ، وهو من كبار المحدثين ف زمنه ، ثقة مأمونا في روايته ، ومن المتفنين في مختلف العلوم حتى قيل عنه : اذا حضر القاضى ابوالفرج حضرت العلوم كلها وكان واحد عصر في مذهب ابى جعفر الطبرى ، وقد حفظ كتبه وله من الكتب الفقهيه : كتاب الحرير ، وكتاب اصول الفقه ، وكتاب الحدود والعقود ،

<sup>(</sup>١٣) معجم الادباء ٦/٣٥٤ \_ ٥٥٥

<sup>(</sup>١٤) نفس المعدر ١٤/٦ع

<sup>(</sup>١٥) نفس المصدر /٦/٤٤٤

<sup>(</sup>١٦) نفس المصدر ٦/٤٤٨ ، وطبقات السبكي ١٣٧/٢

<sup>(</sup>١٧) معجم الادباء ٦/١٤١ ، وجاء اسمه في الفهرست /٣٤١ : كتاب البسيط في الفقه

<sup>(</sup>١٨) نفس المندر ٦/٤٤٧

<sup>(</sup>١٩) نفس المصدر ١٩٧٦ع

<sup>(</sup>١٩) نفس المصدر ٦/٤٤٩ وجاء اسمه في القهرست ٣٤١ : ادب القاضي

<sup>(</sup>۲۰) نقس المصدر /۲۰۶

وكتاب المرشد في الفقه ، وكتاب شرح كتاب الخفيف الطبرى ، وقد ولى ابن طرار قضاء بغداد ، وله كتب اخرى في التفسير والقراءات(٢٠٠ ومنهم ابوالحسن احمد بن يحيى وهو حفيد علي بن يحيى المخينم نديم المتوكل على الله ، وله من الكتب : كتاب المدخل الى مذهب الطبرى ونصرة مذهبه ، وكتاب الاجماع في الفقه على مذهب ابى جعفر (٢٠) ، وعلي بن عبدالعزيز الدولابي ، وله من الكتب الفقهية كتاب القراءات ، وكتاب افعال النبي من الكتب الفقهية كتاب القراءات ، وكتاب افعال النبي

الاصول الاوسط ، وكتاب الاصول الاصغر ، وله كتاب ق اصول الكلام(\*\*) ومنهم ابوبكر بن كامل ـ وهو تلميذ الطيرى ـ وله من الكتب الفقهية على مذهب الطبرى : كتاب جامع الفقه ، وكتاب الشروط ، وكتاب الوقوف(\*\*) ، وذكر ابن النديم فقهاء آخرين ممن تفقهوا بفقه ابن جرير الطبرى ، منهم ابوبكر محمد بن احمد الكاتب ، وابوالحسن الدقيقى الحلوانى المصرى ، وابواسجاق ابراهيم بن حبيب السقطى ، وابومسلم الكجي(\*\*) ،



<sup>(</sup>٢١) الفهرست /٣٤٢ ـ ٣٤٣ ، ووفيات الاعيان ٣٩٢/٣ و٤/٢٠٩

<sup>(</sup>۲۲) الفهرست /۲٤۲

<sup>(</sup>۲۳) القهرست /۲٤۱

<sup>(</sup>٢٤) نفس المصدر

<sup>(</sup>٢٥) نفس المصدر

## (٣) الطبرى والتفسير

#### مقدمة:

نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى اساليب بالاغتهم، ومع ذلك كان رسول الله (ﷺ) يوضح لاصحابه المبهم من أياته ، او ما يشكل عليهم فهمه من الفاظه ويميز الناسخ من المنسوخ ، ويعرف اسباب نزول الآيات . ونقل الصحابة ذلك عنه ، وتداوله التابعون من بعدهم(١) · ولما انتشر العرب ودخل الاسلام اقوام اخرى يستعصى عليهم فهم القرآن الكريم دون شرح او توضيح ، ظهرت الحاجة الى تفسيره ١ الا ان كثيرا من الصحابة وتابعيهم كانوا يتحرجون من ذلك خوف الزلل والخطأ ٠ فقد روى عن ابى بكر الصديق قوله «اى ارض تقلنى واى سماء تظلنی ، اذا قلت فی القرآن برای او بما لا اعلم»(۱) ۰ وسئل سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٥ عن تفسير أية فقال الن يسقط شقى احب الى من ذلك(١٠ - وكان الاصمعى ، وهو صاحب اللغة والاخبار ، يتقى ان يفسر حديث رسول الله (ﷺ) كما يتقى ان يفسر القرآن (ا) ٠ على أن بعضهم كان لا يتحرج من التفسير ولكنه لا يخرج عما ورد عن رسول الله (ﷺ) من فعل او قول ٠ وقد سيار الاولون على عدم السماح بالتفسير الا اذا استقرائي حديث او عمل ثبتت روايته عن رسول الله (ﷺ) او عن صحابته ، وليس الى الاجتهاد والتأويل ، او كان التفسير لغويا محضا

واستطاع بعض الثقاة من العلماء الفقهاء ان يتجاوزوا هذا الحرج باجتهاد مقبول يقوم على اساس ان من المحال ان يطلب ممن لا يفهم مايقال له ولا يعرف تأويله ان يعتبر بما لا يفهمه ، الا على معنى الامر بان يتفهمه ويفقهه ، ومن ثم يتدبره ويعتبر به ، ومن المحال ان يقال ذلك لبعض الاقوام الذين لا يعرفون كلام العرب ولا يفهمون الا بعد العلم بمنطقه ومعانيه" ، وقد اتجه المفسرون اتجاهين ، يقوم احدهما على الالتزام بالمأثور من احاديث رسول الله (ﷺ) واعماله ، أو ماروى عن كبار

الصحابة ، وهو ماعرف بالتفسير الماثور · ويعتمد الاتجاه الآخر على العقل اكثر من اعتماده على النقل ، وهو الاتجاه الذي سلكه المعتزلة وغيرهم من اصحاب الرأى · على ان الاتجاه الاول قد توسع في الاعتماد على المنقول ، فلم يفتقر على مايروى من احاديث رسول الله (ﷺ) واعماله ، واقوال الصحابة واعمالهم ، بل تعدى الى الاستعانة بالشعر الاسلامي وشعر ماقبل الاسلام ، وبالامثال العربية القديمة ، وببعض الاقوال المستمدة من الكتب المقدسة الاخرى ·

ويصنف ابن خلدون التفسير بشكل آخر الى صنفين ايضًا ، اولهما تفسير نقل مسند الى الآثار المنقولة عن السلف ، وهولا يتعدى الناسخ والمنسوخ واسباب النزول ومقاصد الآيات ، وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة والتابعين • وقد عنى المتقدمون بذلك ، الا أن منقولاتهم اشتملت على الغث والسمين والمقبول والمردود · وذلك لإن العرب كانوا اول امرهم تغلب عليهم البداوة والامية الشاذا تشوقوا الى معرفة شيء من اسباب المكونات وبدء الخليقة واسرار الوجود سألوا عنها اهل الكتاب • واهل الكتاب الذين بين العرب يومئذ بدو مثلهم ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من اهل الكتاب ٠ ومعظمهم من حمير الذين اخذوا بدين اليهودية فلما اسلموا ابقوا على ماكان عندهم مما لا علاقة له بالاحكام الشرعية ، مثل اخبار بدء الخليقة وما يرجع الى الحدثان والملاحم، فامتلأت التفاسير الاولى من منقولات هؤلاء في امثال هذه الاغراض ، وقد تساهل المفسرون الاولون في قبولها و فلما ارتفع مستوى الامة العلمي وركنوا الى التحقيق والتمحيص اخذوا يتحرون تلك الاخبار ، ولا يقبلون الا ماهو اقرب الى الصحة منها والصنف الثاني من التفسير هو ما يرجع الى اللسان من معرفة اللغة

<sup>(</sup>۱) مقدمة ابن خلدون /۲۳۹

<sup>(</sup>٢) جامع البيان ١/٣٦

<sup>(</sup>٣) وفيات الاعيان ١١٣/٢

<sup>(</sup>٤) نزهة الالباء/٧٧

<sup>(</sup>٥) جامع البيان ١/٣٥

والاعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والاساليب وهذا الصنف قل أن ينفرد عن الصنف الاول ، أذ الاول هو المقصود بالذات ، وأنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعة (()

وقد برز في خلال القرن الثالث بعض الفقهاء الذين صنفوا عددا من التفاسير ، منهم الحافظ اسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظل النخعى المتوفى سنة ٢٣٨ ، وابوسعيد الاشج عبدالله بن سعيد الكندى المتوفى سنة ١٩٠٧ ، وامام المحدثين محمد بن اسماعيل البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ ، وابوحنيفة احمد بن داود الدينورى المتوفى سنة ٢٩٠ ، وابواهيم بن معقل الحنفى المتوفى سنة ٢٩٠ ، وابوسعيد اسحاق بن ابراهيم بن اسحاق الانباطى المتوفى سنة ٣٠٠ ، والنحوى ابواسحاق ابراهيم بن السرى الزجاج المتوفى سنة ٢٠٠ ، وابوالقاسم عبدالله بن احمد الكعبى المعتزلى المتوفى سنة ٢١٠ ، وابوالحسن على بن اسماعيل الاشعرى المتوفى سنة ٣١٠ ، وابوالحسن على بن اسماعيل الاشعرى المتوفى سنة ٣١٠ ،

#### تفسير الطبرى:

ويعتبر ابوجعفر الطبرى ابرز من تصدى لتفسير القرآن الكريم في القرن المذكور · وقد وضع تفسيره على اساس المأثور من الحديث بالدرجة الاولى ، واتبع فيه منهجا ثابتا يقوم على طريقة اهل الحديث ، وسماه «جامع البيان عن تأويل القرآن» · وهو يذكر الآية ثم يذكر الشهر مختلف الروايات التي تتفاوت في درجة وثوقها ، مما قيل في تأويلها كلها او بعضها ، ويذكر كذلك الاختلاف في قراءتها · ولا يتحرج من فقد بعض الروايات التي يرى فيها ضعفا · ثم يعقب بما يراه اولى من غيره من الروايات على ضوء ما يعرفه عن رجال السند ،

والصحابي او التابع المروى عنه ، بالنظر الاختلافهم في درجة صحة روايتهم ومتانة عقيدتهم ، وعلمهم بالفقه في الدين ، ومعرفتهم باللغة واساليبها ٠ وكان الى جانب اهتمامه بالسند يهتم كذلك بالنص المروى نفسه ، مستفیدا مما تمت دراسته ف میدان الحدیث علی ید النخارى وتلميذه مسلم واصحاب الصحاح الاخرين وغيرهم من اصحاب الاسانيد ، وقد اعتمد الى حد كبير على روايات اشهر المفسرين من الصحابة والتابعين ، وهم : عبدالله بن عباس ، حبر الامة ، نشأ في بدء عصر النبوة ولازم رسول الله (صلى الله عنه كثير من الاحاديث وهو ثقة واسع العلم ، قال عنه ابن مسعود أنه ترجمان القرآن ، وينسب له كتاب في تفسير القرآن ، وقد توفي سنة ٦٨هـ (١) • وسعيد بن جبير الاسدى الكوفي المتوفي سنة ٩٥هـ ، كان اعلم التابعين في علوم القرآن ، أخذ العلم عن عبدالله بن عباس ، قال عنه الامام احمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيدا وما على وجه الارض احد الا وهو مفتقر الى علمه(١) ٠

وابوالحجاج مجاهد بن جبر المكى ، وهو مفسر من اهل مكة اخذ التفسير عن ابن عباس ، قال عنه الذهبى : شيخ القراء والمفسرين ، وكان قد استقر في الكوفة وبها تُوف عام ١٠٤هـ(١٠) ،

وابوالخطاب قتادة بن دعامة السدوسي البصري ، أحد الحفاظ المفسرين ، قال عنه الامام أحمد بن حنبل : أحفظ أهل البصرة • ومع علمه في الحديث كان رأسا في اللغة العربية ومفرداتها وفي أيام العرب وانسابهم • مات بمدينة واسط في سنة ١١٨هـ(١١) •

۲٤٠ – ۲۲۹ / ۲۲۹ – ۲٤٠
 ۲۱) مقدمة ابن خلدون /۲۲۹ – ۲٤٠

<sup>(</sup>V) راجع عن هذه التفاسير : كشف الطنون ٢/٤٢١ ـ ٤٤٨

<sup>(</sup>A) Iلاعلام ، 3/ PYY

<sup>(</sup>٩) نفس المصدر ٢/١٤٥

<sup>(</sup>۱۰) نفس المصدر ۱۰٤/۱

<sup>(</sup>۱۱) نفس المصدر ٦/٢٧

<sup>(</sup>۱۲) نفس المصدر ۲۲۲/۲

والضحاك بن مزاحم ، وهو عالم مفسر ، وله كتاب في التفسير · توفى عام ١٠٥هـ(١٠) · وعبدالله بن مسعود الهدبي ، صحابي كان خادم رسول الله (ﷺ) ورفيقه ، وهو من اهل مكة ومن السابقين الى الاسلام · روى كثيرا من الاحاديث ، قال عنه عمر بن الخطاب : وعاء ملىء علما · سكن المدينة ، وبها توفى سنة ٣٦ وعبدالرحمن بن زيد العودى القرشي ، روى الحديث عن ابيه ، وولى مكة مرة ، وبها توفى سنة ١٣٠ وعبها ، وولى مكة مرة ،

وعبدالملك بن عبدالعزيز المعروف بابن جريج ، فقيه الحرم المكى وامام اهل الحجاز في عصره ، وهو رومى الاصل من موالى قريش ، مكى المولد والوفاة ، مات في سنة ١٥٠هـ(١٠) -

ولم يتعرض الطبرى لتفسير غير موثوق به ، فلم يدخل ف كتابه شيئًا من تفسير محمد بن السائب الكلبي ، ولا مقاتل بن سليمان ، ولا محمد بن عمر الواقدى ، لانهم كانوا اظناء عنده(١٨) • وقدم لتفسيره مقدمة مسهية استغرقت الجزء الاول منه ، يقول في اولها «ونحن في شرح تأويله ، وبيان مافيه من معانيه ، منشئون \_ ان شاء الله ذلك \_ كتابا ، مستوعبا لكل ما بالناس اليه الحَاجَّة من علمه جامعا ، ومن سائر الكتب غير في ذلك كافيا ٠٠ ومخبرون فركل ذلك ، بما أنهى اليه من أتفاق الحجة فيما اتفقت عليه الامة ، واختلافها فيما اختلفت فيه منه ، ومبينو علل كل مذهب من مذاهبهم ، وموضحو الصحيح لدينا من ذلك ، باوجز ما امكن من الايجاز في ذلك ، واخصر ما يكون من الاختصار فيه • والله نسأل عونه وتوفيقه ، لما يقرب من محابه ، ويبعد عن مساخطه»(١١) • ثم يوضح القول في البيان عن معانى أي القرآن ، وفضل المعنى الذي به باين القرآن سائر الكلام • ويتكلم

عن الاحرف التي اتفقت فيها الفاظ العرب والفاظ غيرها من بعض أجناس الامم ، والقول في اللغة التي نزل بها من لغات العرب • ويذكر بعض الاخبار التي رويت بالنهى عن القول في تأويل أي القرآن بالرأي ، ويقول أن هذه الاخبار تؤيد ماكان من تأويل أي القرآن غير حائز لاحد القول فيه برأيه لأن القائل ف ذلك برأيه ، وإن اصاب الحق فيه ، فيخطىء فيما كان من فعله بقيله فيه من رأيه ، لأن أصابته أصابة موقن أنه محق ، وأنما هو اصابة خارص وظان • والقائل في دين الله بالظن قائل على الله مالا يعلم ، وقد حرم الله جل تناؤه ذلك في كتابه · وان القائل في تأويل كتاب الله الذي لايدرك علمه الا ببيان رسول الله (ﷺ) الذي جعل اليه بيانه ، قائل بما لا يعلم ، وأن وأفق قيله ذلك في تأويله ما أراد الله به من معناه ، لأن القائل فيه بغير علم قائل على الله مالا علم له به · وهذا هو معنى الحديث «من قال في القرآن برأيه فاصاب ، فقد اخطأ، اى انه اخطأ في فعله بقيله فيه برأيه وان وافق قيله عين الصواب عند الله ، لان قيله فيه برأيه ليس بقيل عالم ، وإن الذي قال فيه من قول حق وصنواب ، فهو قائل على الله مالا يعلم ، أثم بفعله ماقد نهي عنه وخطر عليه (٢٠) • ويقصد بالعلم هذا هو ماتتصل روايته إسند صحيح الى رسول الله (ﷺ) او صحابته المقرابين ممن كانوا يعنون بشئون الدين ٠

ويذكر الطبرى بعد ذلك بعض الاخبار التى روبت ف الحض على العلم بتفسير القرآن ومن كان يفسره من الصحابة ، وبعض الاخبار التى غلط فى تأويلها منكرو القول فى تأويل القرآن ، ويناقش هذه الاخبار باسلوب منطقى وامثله عديدة مما ورد عن السلف ، فيقول ان الله تعلى اذا امر عباده وحثهم على الاعتبار بامثال أى القرآن والاتعاظ بمواعظه ، مما يدل على ان عليهم معرفة تأويل مالم يحجب عنهم تأويله : اعتبر بما لافهم لك به ولا معرفة من القيل والبيان ، الأعلى معنى الامر باققيفهمه ويفقهه ، ثم يتدبره ويعتبر به الاعتبار الا يجوز ان يقال :

<sup>(</sup>۱۳) نفس المصدر ٥/٤٤

<sup>(</sup>۱٤) نفس المصدر ۳۱۰/۳

<sup>(</sup>١٥) الاعلام ٤/٠٨٢

<sup>(</sup>١٦) نفس المصدر ٤/٨٧

<sup>(</sup>۱۷) نفس المصدر ۲۵۰/٤

<sup>(</sup>١٨) معجم الادباء ٦/ ٤٤٠ \_ ٤٤١

<sup>(</sup>۱۹) جامع البيان ۱/ه

<sup>(</sup>۲۰) جامع البيان ١/٢٥)

<sup>(</sup>۲۱) نفس المصدر ۲۱/۱

اعتبر بها الالمن كان بمعانى بيانها عالما ، وبكلام العرب عارفا ، والا يمعني الامر لمن كان بذلك منه جاهلا ، أي بعلم معانى كلام العرب ، ثم يتدبره بعد ، ويتعظ بحكمه وصفوف غيره ٠ فاذا كان ذلك كذلك ٠ فسد قول من أنكر تفسير المفسرين من كتاب الله وتنزيل مالم يحجب عن خلقه وتأويله «(٢١) • ويخلص الى القول : أن تأويل جميع القرآن على ثلاثة أوجه: أحدها لاسبيل إلى الوصول اليه ، وهو الذي استأثر الله بعلمه ، وحجب علمه عن جميع خلقه ، وذلك مافيه من الخبر عن أجال حادثة واوقات أتية كوقت قيام الساعة والنفخ في الصور ، ومااشبه ذلك ، فانه تعالى استأثر بعلمها عن خلقه • والوجه الثاني : مافيه مما لعباده الى علم تأويله الحاجة ، مثل وجوه أمره : واجبه وندبه وارشاده ، وصنوف نهيه ومبالغ فرائضه وحدودها ، وما اشبه ذلك من الاحكام - والثالث منها : ماكان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن ، وذلك علم تأويل عربيته واعربه • فاذا كان الامر كذلك فأحق المفسرين باصابة الحق في تأويل القرآن الذي الى علم تأويله للعباد السبيل ، واوضحهم حجة فيما تأول وقسر(۲۲) -

وقد تمكن الطبرى بنهجه الذى سلكه فى تأويل القرآن لا يجعل تفسيره جماع التفسير المأثور ومما سالهده على ذلك احاطته باللغة العربية من حيث مفرداتها ومشتقاتها واساليبها ، واطلاعه الواسع على الشعر العربى ، ودرايته بالقراءات ، اضافة الى تخصصه يتعلوم الفقه والحديث ، اذ كان كما يقول ابن النديم «علامة وقته وامام عصره وفقيه زمانه ، وكان متقنا جميع العلوم : علم القرآن والنحو والشعر واللغة والفقه (۱۳) ، وحكان احد ائمة العلماء يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله ، وكان حافظا لكتاب الله عارفا بالقراءات بصيرا بالمعانى ، فقيها فى احكام القرآن ، عالما بالسنن وطرمتها ومسحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها ،

عارفا باقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم في الاحكام وسمائل الحلال والحرام ، عارفا بايام الناس واخبارهم «(\*) - كما كان دقيقا في نقل الروايات المختلفة وانتقاد مايراه فيها من ضعف او نقص ، لا يرتضى منها الا ما يجمع عليه الرواة ويتفق مع حكم العقل والمنطق وكان في مسائل العقائد الحساسة يأتى بالاراء المختلفة دون أن يبين رأيه فيها تاركا ذلك للقارىء وفي ذلك حياد وموضوعية كانت من اخص صفات الطبرى أذا كتب في التفسير أو في التاريخ وقد انعكست أراء المطبرى الفقهية على تفسيره ، أذا كان «يذهب في جل مذاهبه الى ما عليه الجماعة من السلف ، وطريق أهل العلم منهاجهم ، لا تأخذه في ذلك لومة لائم»(\*) ومنهاجهم ، لا تأخذه في ذلك لومة لائم»(\*)

والمتعرف على النهج الذى سلكه الطبرى فى تفسيره وعرضه مختلف الروايات للخبر الواحد ونقدها وترجيح احداها ، ننقل فى ادناه نص ماقاله فى تأويل قوله تعالى «فمن شهد منكم الشهر فليصمه»(\*\*\*) ، اذ يقول : اختلف اهل التأويل فى معنى شهود الشهر ، فقال بعضهم : هو مقام المقيم فى داره ، قالوا : فمن دخل عليه شهر رمضان وهو مقيم فى داره فعليه صوم الشهر كله ، غاب بعد فسافر او اقام فلم يبرح \*

ذكر من قال ذلك: (حدثنا) محمد بن حميد ومحمد بن عيسى القامغاني ، ثنا ابن المبارك عن الحسن بن يحيى ، عن الضحاك عن ابن عباس في قوله «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» قال : هو اهلاله بالدار ، يريد اذا هل وهو مقيم ، (حدثني) يعقوب بن ابراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : اخبرني حصين عمن حدثه ، عن ابن عباس انه قال في قوله «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» فاذا شهده وهو مقيم فعليه الصوم اقام او سافر ، وان شهده وهو في سفر ، فان شاء صام ، وان شاء افطر ،

<sup>(</sup>۲۲) جامع البيان ۲/۲۱

<sup>(</sup>٢٣) نفس المصدر ١/١١

<sup>(</sup>۲۰) تاریخ بغداد ۲/۱۹۳

<sup>(</sup>٢٦) معجم الادباء ٦/٢٥٤

(حدثنى) يعقوب قال: ثنا ابن عُلَيَّه عن ايوب عن محمد عن عبيدة في الرجل يدركه رمضان ثم يسافر، قال: اذا شهدت اوله فصم أخره، الاتراه بقول «قمن شهد منكم الشهر فليصمه» • (حدثنى) يعقوب قال: ثنا ابن عُلَية عن هشام الفردوسي عن محمد بن سيرين قال: سألت عبيدة عن رجل ادرك رمضان وهو مقيم، قال: من صام الشهر فليصم آخره، الاتراه بقول «قمن شهد منكم الشهر فليصمه» • (حدثنى) موسى قال: ثنا عمرو، قال: ثنا اسباط عن السدى: اما من شهد منكم الشهر فليصمه، وان خرج فيه فليصمه، فانه دخل عليه وهو في فليصمه، وان خرج فيه فليصمه، فانه دخل عليه وهو في اهله من شدن عن عليه وهو في أهله وحرثنى) المثنى قال: ثنا حجاج، قال: ثنا حماد السلمان عن على فيما يحسب حماد، قال: من ادرك ، قال: من ادرك

رمضان وهو مقيم لم يخرج فقد لزمه الصوم ، لان الله

يقول «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» • (حدثنا) هذاد

بن السرى قال : ثنا عبدالرحمن عن اسماعيل بن مسلم

عن محمد بن سيرين قال : سألت عبيدة السلمان عن قول الله «فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، قال : من كان مقيماً فليصمه ، ومن ادركه ثم سافر فيه فليصمه ٠ (حدثنا) هناد قال : ثنا وكيع عن ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة قال : من شهد اول رمضان فليصم آخره ٠ (حدثنا) هنا قال: ثنا عبيدة عن سعد بن ابي عروية عن قتادة أن عليا كان يقول: أذا أدركه رمضان وهو مقيم ثم سافر ، فعليه الصوم • (حدثنا) هناد قال : ثنا عبد الرحيم عن عبيدة الضبي عن ابراهيم قال : أذا أدركك رمضان فلا تسافر فيه ، فان صمت فيه يوما او اثنين ثم سافرت فلا تفطر ، صمه ٠ (حدثنا) ابن المثنى قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابي النجتري قال : كنا عند عبيدة فقرأ هذه الآية «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» قال : من صام شيئا منه في المصر فليصم بقيته اذا خرج ، قال : وكان ابن عباس يقول: أن شاء صام وأن شاء أفطر • (حدثنا) محمد بن

بشار قال : ثنا عبدالوهاب ، وحدثنى يعقوب به ابراهيم

قال ؛ ثنا ابن عُلَية ، قالا جميعا : ثنا ابوب عن ابي زيد

عن أم درَّة قالت : أتيت عائشة في رمضان ، قال : من أين

جئت ؟ قلت : من عند أخى حنين ، قالت : ما شأنه ؟ قلت

: ودَّعته يريد يرتحل ، قالت : فاقرئية السلام ومريه فليقم

ه فلو ادركني رمضان وانا ببعض الطريق القمت له

(حدثنا) مناد قال : ثنا اسحاق بن عيسى ، عن افلح عن

عبدالرحمن قال : جاء ابراهيم بن طلحة الى عائشة يسلم

عليها ، قالت : وابن تريد ؟ قال : اردت العمرة ، قالت :

اجلس حتى اذا دخل عليك الشهر خرجت فيه ٠ قال : قد

خرج ثقلی ، قالت : اجلس حتی اذا افطرت فاخرج ، یعنی شهر رمضان ۰

وقال آخرون : فمن شهد منكم الشهر فليصم ماشهد منه • ذكر من قال ذلك :

(حدثنا) هناد بن السرى قال : حدثنا شريك عن ابي اسحاق ان ابا ميسرة خرج في رمضان ، حتى اذا بلغ القنطرة دعا ماء فشرب ٠ (حدثنا) هناد قال : حدثنا جرير عن مغيرة قال: خرج ابوميسرة في رمضان مسافرا قمر بالفرات وهو صائم فاخذ منه كفا فشربه وافطر ٠ (دثنا) هناد قال: ثنا وكيع عن سفيان عن أبي اسحاق عن مرثد ان ابا ميسرة سافر في رمضان فافطر عند باب الجسر • هكذا قال هناد عن مرثد وانما هو ابو مرثد • (حدثني) محمد بن عمارة الاسدى قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : اخبرنا اسرائيل عن ابى اسحاق عن مرثد انه خرج مع ابي ميسرة في رمضان ، فلما انتهى الي الجسر افطر ٠ (حدثنا) هناد وابوهشام قالا : عن المسعودي عن الحسن بن سعد عن ابيه قال: كنت مع على في ضيعة له على ثلاث من المدينة ، فخرجنا نريد المدينة في شهر رمضان ، وعلى راكب وانا ماش ، قال فصَّلم • قال هناد وافطرت • قال ابوهشام : وامرنى فَأَقُولُرِتُ \* (حدثنا) هناد قال : حدثنا عبد الرحيم عن . عبد الرحامن بن عتبه عن الحسن بن سعد عن ابيه قال : كنت مع على بن ابي طالب وهو جاء من ارض له فصام ، وامرنى فافطرت ، فدخل المدينة ليلا وكان راكبا وانا ماش و (كدركا) مناذ قال ؛ حدثنا وكيع ، وحدثنا ابن بشار قال : حدثنا ابن مهدى ، قالا جميعا : حدثنا سفيان عن عيسى بن أبي عزة عن الشعبي أنه سافر في شهر رمضان فأفطر عند باب الجسر \* (حدثنا) ابن بشار قال : حدثنا عبدالرحمن قال ، قال لى سفيان : احب الى ان تتمه • (حدثنا) ابن المثنى قال : حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة قال : سألت الحكم وحمادا واردت أن أسافر في رمضان ، فقالا لى : اخرج ٠ وقال حماد : قال ابراهيم : اما اذا كان العشر فأحب الى ان يقيم ، (حدثنا) ابن المثنى قال : حدثنا ابوالوليد قال : حدثنا عماد عن قتادة عن الحسن وسعيد بن المسيب قالا : من ادركه الصوم وهو مقيم ثم سافر ، قالا : أن شاء أفطر ٠

وقال آخرون: «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» يعنى فمن شهده عاقلا بالغا مكلفا فليصمه • وممن قال ذلك البوحنيفة واصحابه ، كانوا يقولون: من دخل عليه شهر رمضان وهو صحيح عاقل بالغ فعليه صومه ، فاذا جن بعد دخوله عليه وهو بالصفة التى وصفنا ثم افاق بعد انقضائه لزمه قضاء ماكان فيه من ايام الشهر مغلوبا على عقله ، لانه كان ممن شهره وهو ممن عليه فرض •

قالوا: وكذلك لو دخل عليه شهر رمضان وهو مجنون الا انه ممن لو كان صحيح العقل كان عليه صومه ، فلن ينقضى الشهر حتى صح وبرأ او افاق قبل انقضاء الشهر بيوم او اكثر من ذلك ، فان عليه قضاء صوم الشهر كله سوى اليوم الذي صامه بعد افاقته ، لانه ممن شهد الشهر قالوا: ولو دخل عليه شهر رمضان وهو مجنون فلم يفق حتى انقضى الشهر كله ثم افاق لم يلزمه قضاء شيء منه ، لانه لم يكن ممن شهده مكلفا صومه ، وهذا تأويل لا معنى له ، لان الجنون ان كان يسقط عمن كان به فرض الصوم من اجل فقد صاحبه عقله جميع الشهر ، فقد يجب ان يكون ذلك سبيل كل من فقد عقله جميع شهر الصوم • وقد اجمع الجميع على أن من فقد عقله جميع شهر الصوم باغماء او برسام ، ثم افاق بعد انقضاء الشهر ، أن عليه قضاء الشهر كله ، لم يخالف ذلك احداً يجوز الاعتراض به على الأمة • وإذا كان اجماعا فالواجب ان يكون سبيل كل من كان زائل العقل جميع شهر الصوم سبيل المغمى عليه • واذا كان ذلك كذلك كان معلوما ان تأويل الآية غير الذى تأولها قائلو هذه المقالة من أن شهود الشهر أو بعضه مكلف صومه ٠ واذا بطل ذلك فتأويل المتأول الذي زعم ان معناه : فمن شهد اوله مقيما حاضرأ فعليه صومه جميعه ابطلأ وافسد ، لتظاهر الاخبار عن سول الله (ﷺ) أنه خرا عام الفتح من المدينة في شهر رمضان ، بعرما صام بعضه ، وافطر وامر اصحابه بالافطار • (حدثناً) هَيِّد قال: ثنا أبو الأحوص عن منصور عن مجاهد عن أبن عباس قال : سافر رسول الله (ﷺ) في رمضان من المدينة الى مكة ، حتى اذا اتى عسفان نزل به ، فدعا باناء فوضعه على يده ليراه الناس ، ثم شربه ٠ (حدثنا) ابن حميد وسفيان بن وكيع قالا : حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن طاووس عن ابن عباس عن رسول الله (ﷺ) بنحوه (حدثنا) هنيد وابوكريب قالا : ثنا يونس بن بكير قال : ثنا ابن اسحق ، قال : حدثنى الزهرى عن

عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس قال : مضى رسول الله (ﷺ) لسفر عام الفتح لعشر مضين من رمضان ، قصام رسول الله (ﷺ) وصام الناس معه ، حتى اذا اتى الكدير ما بين عسفان وافع افطر ٠ (حدثنا) هناد وابوكريب قالا : ثنا عبيدة عن محمد بن اسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس قال : خرج رسول الله (صلى العشر أو لعشرين مضت من رمضان عام الفتح فصام حتى اذا كان بالكدير افطر: (حدثنا) ابن بشار قال: حدثنا سالم بن نوح قال : حدثنا عمر بن عامر عن قتادة عن أبي نظرة عن أبي سعيد الخدرى قال : خرجنا مع النبي (ﷺ) لثمان عشرة مضت من رمضان ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، فلم يعب المقطر على الصائم ولا الصائم على المقطر ، قاذا كان فاسدين هذان التأويلان بما عليه دللنا من فسادهما فتبين أن الصحيح من التأويل هو الثالث ، وهو قول من قال «فمن شهد منكم الشهر فليصمه» جميع ماشهد منه مقيماً ، ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر · وتأويل قوله تعالى «ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من ايام آخر ، يعنى تعالى ذكره بذلك : ومن كان مريضا أرعلى سفر فأفطر فعليه صبيام عدة الايام التي افطرها من ایام اخر غیر ایام شهر رمضان(۲۸) ۰

لقد استطاع الطبرى لسعة علمه بالحديث والمذاهب الفقهية أن يجمع بين الرواية والرأى ، وقد اتخذ موقفا وسطا بين أتجاهى التفسير ، معتمدا على معرفته باللغة العربية من حيث اعرابها واساليبها البلاغية ، مما جعل تفسيره يلقى قبولا في أوساط العلماء والفقهاء على مر العصور ، وفقد حمل مشرقا ومغربا ، وقرأه كل من كان في وقته من العلماء ، وكل فضله وقدمه (۲۱) ، وقال عنه الفقيه المجتهد ابوبكر محمد بن اسحاق بن خزيمة المتوفى سنة ۲۱۱هـ ، بعد أن نظر فيه من أوله إلى آخره «ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير» (۳) ،

<sup>(</sup>٢٧) سبرة البقرة ، الآية ١٨٥

<sup>(</sup>۲۸) جامع البيان ۲/۱٤٦ ـ ۱٤٩

<sup>(</sup>٢٩) معجم الادباء ٦/ ٢٩٤

<sup>(</sup>۳۰) تاریخ بقداد ۱۹٤/۲

وقال عنه الفقيه ابوحامد احمد بن ابي طاهر لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا(۱) وقال عنه الفقيه المحدث ابوزكريا يحيى بن شرف المتوفى سنة ٢٧٦هـ: اجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسيرا الطبرى(۱) وقال عنه الجلال السيوطى عبدالرحمن بن ابى بكر الفقيه المؤرخ المتوفى سنة ١٩٩هـ: وكتابه اجل التفاسير واعظمها ، فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض ، والاعراب والاستنباط ، فهو يفوق بذلك على تفاسير الاقدمين(۱) .

ويظهر أن الطبرى كان يزمع أن يجعل تفسيره أكثر تفصيلا ، ألا أن طلابه استكثروا سعته فاختصره ألى ماهو عليه • فقد روى الخطيب البغدادى «أن أبا جعفر الطبرى قال لاصحابه: اتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ فقال : ثلاثون الف ورقة ، فقالوا : هذا مما تفنى الاعمار قبل تمامه • فاختصره في نحو ثلاثة الاف ورقة (٢٤) •

وقد طبع الكتاب كاملا لاول مرة بالمطبعة الاميرية ببولاق بمصر سنة ١٣٢٢هـ ف ثلاثين جزءا(٢٠) ٠



<sup>(</sup>۳۱) تاریخ بغداد ۱۹۳/۲

<sup>(</sup>۲۲) كشف الظنون ١/٧٧ط

<sup>(</sup>٣٣) نفس المصدر

<sup>(</sup>۲٤) تاريخ بغداد ۱۹۳/۲

<sup>(</sup>٢٥) معجم المطبوعات العربية ٢/١٣٢١

# (٤) الطبرى المؤرخ

#### مقدمة :

بلغ التدوين التاريخي عند العرب في القرن الثالث ذروته ممثلا بكتاب تاريخ الرسل والملوك للامام الفقيه المؤرخ ابي جعفر محمد بن جرير الطبري ، الذي اراد لكتابه هذا أن يكون متمما لكتابه العظيم في التفسير – جامع البيان عن تأويل القرآن – ولعل هذا ما يفسر لنا الوضوح ودقة التحري وتعدد الروايات مما اتسم به تاريخه والواقع أن كتابه المعزز بالاسانيد صار مصدرا اساسيا لمن جاء بعده من المؤرخين .

وقد يكون من المستحسن أن نستعرض بإيجاز الطرق التي اتبعها مؤرخو القرن الثالث في تدوين التاريخ ، قبل ان نبحث في كتاب الطبرى التاريخي ٠ فقد سلك معظم مؤرخي القرن المذكور في عرض المادة التاريخية طريقتين رئيستين ، تقوم الاولى على عرض الحوادث والاخبار بجسب سنوات وقوعها بحيث تجمع الحوادث ف سنة حدوثها ، وتعرف بالطريقة الحولية • ويقول المستشرق روزنثال ان كتابة التاريخ على طريقة الحوليات معروفة في الكتب الاغريقية() ، وهو ينوه بذلك الى تأثر المؤرخين العرب في طريقتهم الحولية بما جاء في الكتب المُفكِّيرة .. الا أن المؤرخ عبدالحميد العبادى يؤكد ف كتابه علم التاريخ» ان كتابة التاريخ بحسب سنوات وقوع الحوادث قد ابتكرها مؤرخو المسلمين ولم ينقلوها عن اليونان او الروم م ٢٠٠٠ وسوف نرى أن بعض قدامي المؤرخين ممن سبقوا الطبرى ، قد كتبوا تواريخهم بهذه الطربقة • ومما يؤخذ على الطريقة الحولية انها تشتت الخبر او الحادث وتجزؤه ، فان الحادث الذي يستغرق اكثر من سنة تتجزأ روايته فيذكر متفرقا في حوادث السنوات التي استغرق حدوثه فيها ٠ الا انها مع ذلك فهي اكثر تقدما من تاريخ الخبر من حيث ا نها ضمنت على الاقل الاستمرار الظاهري وتنسبيق مواد متنوعة ، وهي خصائص لا تتوفر في اسلوب رواية الخبر ٠

وقد انتبه احد كبار مؤرخينا القدماء هو ابوالحسن عز الدين محمد المعروف بابن الاثير المتوفى سنة ١٣٠هـ الى عيب الطريقة الحولية ، فقال في مقدمة كتابه (الكامل في التاريخ) ورأيتهم \_ اى المؤرخين الذين سبقوه وساروا على الطريقة الحولية \_ يذكرون الحادثة الواحدة في سنين فتأتى الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض ولا يفهم الا بعد امعان النظر ، فجمعت انا الحادثة الواحدة في موضوع واحد ، وذكرت كل شيء عنها في اى شهر او سنة كانت ، فاتت متناسقة متتابعة وذكرت في كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها ، فاما الحوادث الصغار فانني افردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل

اما الطريقة الاخرى لعرض المادة التاريخية فانها تقوم على عرض الاخبار والحوادث وربطها بسياق تاريخي متصل على اساس العهود · وتعتبر هذه الطريقة متقدمة على الطريقة الحولية ·

ورغم عناية اولئك المؤرخين بكلتا الطريقتين ، بضبط التحوادث من حيث اسنادها وتوثيقها ، فانهم صرفوا جل اهتمامهم الى شبئون السلطة الحاكمة ٠ أذ اقتصروا فيما تونوه مِنْ الاخبار على الافراد من خلفاء ووزراء وقادة ، وعلى حوادث الحروب والقتال ، من غير تحليل او تعليل ٠ هذا مع اهمال شئون عامة الناس وتأثيرهم على مجرى الاحداث • فلم يدونوا شبئا كافيا عن احوالهم الاجتماعية والاقتصادية والفنية الانادرا وعرضا وممع اهتمامهم باخبار السلطة ورجالها فان ما اوردوه عن هؤلاء تغلب عليه النظرة السطحية والاهتمام بالمظاهر دون تقصى ماوراءها من حوافز واسباب ، وما ترتب عليها من نتائج ٠ ولكن مع هذا فان ماحدث من تطور في تدوين التاريخ كان تمهيدا للمؤرخ العربي ابن خلدون لان يصل في مقدمته المشهورة الى المفهوم الصحيح لعلم التاريخ ، وما ذكره فيها من اراء تاريخيه لاتكاد تختلف عن الأراء الحديثة 🖰 🕟

<sup>(</sup>١) علم التاريخ عند المسلمين /٢٧٤

<sup>(</sup>٢) علم التاريخ /١٥

<sup>(</sup>٣) الكامل ١/٤

<sup>(</sup>٤) الحضارة العربية /١٠٤

#### تاریخ الطبری :

لقد اشتهر كتاب الطبرى في التاريخ كثيرا ، وقد اثنى عليه وعلى مصنفه عدد من قدامى المؤرخين ، قال عنه علي بن الحسين المسعودى في معرض اشارته الى ماصنف من كتب التاريخ «انما هي على جميع المؤلفات ، والزائد على الكتب المصنفات ، وقد جمع انواع الاخبار ، وحوى غلى الكتب المصنفات ، وقد جمع انواع الاخبار ، وحوى فنرن الآثار ، واشتمل على صنوف العلم ، وهو كتاب تكثر فائدته وثنفع عائدته ، وكيف لا يكون ذلك ومؤلفه فقيه عصره وناسك دهره ، اليه انتهت علوم فقهاء الامصار وحملة السنن والآثار» وقال عنه ياقوت الحموى بعد أن ذكر محتوياته «وهذا الكتاب من الافراد في الدنيا أن ذكر محتوياته «وهذا الكتاب من الافراد في الدنيا فضلا ونباهة ، وهو يجمع كثيرا من علوم الدين والدنيا» وقال عنه القاضى ابن خلكان «كان ثقة في نقله ،

واعتمد الطبرى في تصنيف كتابه التاريخي على ثقافته الواسعة ومعلوماته الغزيرة التي احاط بها كعالم نابه ، يضاف الى ذلك معاصرته قسما كبيرا من احداثه وحوادثه ، كما انه نقل اخبارا كثيرة عن رواتها الاولين مع ذكر اسانيدها ومن اهم من روى عنهم ، عروة بن الزبير الاسدى القرشي ، احد فقهاء المدينة ، وكان عالما بالمغازي ، سكن البصرة مدة ، ثم مات بالمدينة في سنة ٤٤هـ ، وهو اخو عبدالله بن الزبير (١) و وشرحبيل بن سعد الخطمي المدنى ، وهو احد العلماء بالمغازي والبدريين ، ومن رواة الحديث ، توفي سنة ١٢٣هـ (١) ومحمد بن اسحاق الحديث ، توفي سنة ١٢٣هـ (١)

وهشام بن عروة بن الزبير القرشي العالم بالانساب ، المطلبي المدنى اقدم مؤرخي العرب وله كتاب في السيرة النبوية رواها عنه ابن هشام ، توفى سنة ١٥١٠٠٠ ٠ واحد محدثي المدينة ورواة الاخبار ، توفي سنة ١٤٦(١١) • وابومخنف لوط بن يحيى الازدى المتوفي سنة ١٥٧هـ ، النسابة واشهر الاخباريين فيما يختص باخبار فتوح العراق(١١) • وسيف بن عمر الاسدى التميمي ، وهو من اصحاب السيروله كتب في الفتوح وحروب الردة والجمل ، وقد توفى عام ٢٠٠هــ<sup>(١٢)</sup> • وهشام بن محمد السائب ·· الكليي النسابة المشهور ، وقد الف في اخبار الاسلام ومحمد بن عمر الواقدى السهمى المدنى وهو من اقدم المؤرخين العرب ومن حفاظ الحديث ، صنف ف المغازي والفتوح والطبقات ، توفى سنة ٢٠٧هـ(١٠) • والهيثم بن عدى بن عبدالرحمن الطائي الكوف وكان عالما بالشعر والتاريخ والانساب ، صنف في الطبقات والطوائف ، توفي سنة ۲۰۷هــ(۱۱) ۰ ومحمد بن سعد الزهري المتوفي سنة ـ ٢٣٠هـ ، وهو الحافظ المحدث المؤرخ صاحب كتاب الطبقات الكبرى(١٧) • وعمر بن شيبة بن عبيد النميرى ، كان راوية للاخبار وعالما بالآثار ، وفقيها اديبا ، توفى سنة Y KYALIVII

وبهذا تكون مصادر كتاب تاريخ الطبرى كلها عربية مرفة ، وقد اخذ من كل من هؤلاء الرواة ما اختص به من الاخبال والإحداث والمعلومات الاخرى .

<sup>(</sup>٥) مروج الذهب ١/١

<sup>(</sup>T) معجم الادباء ٦/٥٤٤

<sup>(</sup>V) وقيات الاعيان ٢٢٢/٣

<sup>(</sup>٨) المعارف /٢٢٢ ، والاعلام ٥/١٧ وفيه انه توفي سنة ٩٣هـ

<sup>(</sup>P) الاعلام ٢/٣٢٢

<sup>(</sup>۱۰) القهرست ۱٤۲

<sup>(</sup>۱۱) المعارف /۲۲۳

<sup>(</sup>۱۲) الفهرست /۱۶۳ ء والاعلام ۱/۱۱

<sup>(</sup>١٣) الفهرست /١٤٣ ، والاعلام ٢/٠٢٠

<sup>(</sup>۱٤) الفهرست /۱٤٦ = ۱٤٩

<sup>(</sup>١٥) نفس المصدر /١٥٠ ، والاعلام ٧/٠٠٢

<sup>(</sup>۱۹) الفهرست /۱۹۱ ــ ۱۹۲

<sup>(</sup>١٧) وفيات الاعيان ٢/ ٤٧١ \_ ٤٧٤

لقد حدد الطبرى مضامين كتابه في مقدمته التي وضعها لكتابه ، بقوله موانا ذاكر ف كتابي هذا من ملوك كل زمان من لدن ابتداء ربنا جل جلاله خلق خلقه الى حال فنائهم ، من انتهى الينا خبره ٠٠ مقرونا ذكر ذلك من انا ذاكره في كتابي هذا بذكر زمانه ، وجملة ماكان من حوادث الامور في عصره ٠٠ بوجيز الدلالة غير طويل ، أذ لم نقصد بكتابنا هذا قصد الاحتجاج لذلك ، بل ذكرنا من تاريخ الملوك الماضية وجمل من اخبارهم ، وازمان ومبالغ ولاياتهم والكائن من الاحداث في اعصارهم»(١١) • والواقع أن الكتاب تضمن إلى جانب ماذكرناه من مواضيع اكد عليها الطبرى نفسه ، مواضيع اخرى تتصل باخبار عصره واحداث ايامه ٠ اى انه ارخ المدة التي عاشها ايضا ، ويعتبر هذا القسم اوثق ماجاء ف الكتاب من المعلومات التاريخية • وقد انتهى الطبرى من كتابه بعد أن ذكر ما وقع من أحداث في سنة ٣٠٢هـ حتى نهايتها(٢) • ويقول ياقوت الحموى أن الطبرى فرغ من تصنيفه في يوم الاربعاء من شهر ربيع الاخر سنة

٣٠٣هـ وقطعه على آخر سنة ٣٠٢هـــ(٢١) • لقد اتبع الطبرى في عرض مادة كتابه التاريخية طريقة الترتيب الزمنى للحوادث على السنين ، اي الطريقة الحولية • وهو لم يبتكر هذه الطريقة ، فقد سبقه مؤرخون آخرون الى ذلك • يقول ابن النديم أن الهيثم إن عدى الف كتابا في التاريخ مرتبا حسب السنين(٢٠١) • كما ان كتاب تاريخ خليفة بن خياط وضع على نفس الطربيقة • والاثنان اقدم من الطبرى ، وقد اشرنا أنفا ألى كلُّ الهيثم بن عدى احد المصادر التي اعتمد عليها الطبري ٠ لقد جعل الطبرى لكل سنة تاريخها يسرد فيه ما وقع فيها من احداث من بدايتها حتى انتهائها • وتتوقف التفصيلات التي يوردها على اهمية الحدث من وجهة نظره ، وما يتوفر لديه من المعلومات الموثقة عنه • ثم ينتقل وهو يبدأ في اول كل سنة بقوله : ثم دخلت سنة كذا ويضيف احيانا: ذكر الخير عما كان فيها من الاحداث او مافي معناه من العبارات واذا ما ذكر حدثا مهما افرد له عنوانا خاصا

وقد اعتاد الطبرى ان يورد الحوادث والاخبار منفصلة عن بعضها ، مستعملا عبارة «فمن ذلك» او «وقيها» • ومثل هذه العبارات هى الروابط الوحيدة بين الاخبار التى وقعت فى خلال السنة التى يؤرخ احداثها واخبارها •

اما فيما يتعلق بالخلفاء فقد درج على ان يضع عنوانا كاملا لكل خليفة تنطوى تحته اخباره في تلك السنة ، ويهتم بصفة خاصة بحوادث المبايعة ، والولاية بالعهد ويحرص على ذكر نصوص العهود الخاصة بذلك وعند وفاة الخليفة يجمل ترجمته وما عرف عنه واشتهر به ، ويذكر سبب وفاته ومدة خلافته وما بلغه من عمره ، وما قيل فيه من رثاء ولايد من ان يذكر اسم من تولى الحج بالناس في كل سنة ، ويشير الى بعض الحوادث الطبيعية كالزلازل والفيضانات والادبية التي وقعت في انحاء الدولة العربية وما صادف الحجاج من مصاعب ومشاكل في موسم السنة ويؤكد على قلة المياه ووفرتها ، كما يذكر احيانا وفيات بعض الامراء والقادة أو الاعيان من العلماء والفقهاء والادباء والشعراء ممن توفوا فيها ،

وغلبت على الطبرى طريقة المحدثين ومنهجهم في التحرى عن صدق الحديث وروايته ، فيهتم بتعدد البروايات عن الخبر الواحد ، واسناد كل منها الى طاحبها وذلك لانه كان فقيها مجتهدا ومحدثا ثقة وقد وصل مرتبة عالية بالرواية الفقهية ، مما اثر على اسلوبه في كتابة التاريخ بدقة وحرص ، مما جعل لكتابه مكانة مرموقة دائمة في الاوساط الفكرية ، واتخذه من جاء بعده مثالا يحتذى به في كتابة التاريخ ، بل ان الناس عنوابه كثيرا حتى ليكاد يكون عماد كل مؤرخ جاء بعده "كثيرا حتى ليكاد يكون عماد كل مؤرخ جاء بعده ويذهب المستشرق هاملتون جب ابعد من ذلك بقوله حقبة كاملة ، ولا نجد بعده مصنفا يأخذ على عاتقه من جديد جمع المواد عن تاريخ صدر الاسلام ، والنظر فيها وانما المصنفون بعده ، اما نقلة للروايات من تاريخ الطبرى ، واما مؤرخون من حيث انتهى الطبرى» (١٠) ،

<sup>(</sup>١٨) الفهرست /١٦٩ ، ووفيات الاعيان ١١٤/٣

<sup>(</sup>۱۹) تاریخ الطبری ۲/۱ ـ ۸

<sup>(</sup>۲۰) نفس المصدر ۱۵۰/۱۰ ـ ۱۵۱

<sup>(</sup>۲۱) معجم الادباء ٦/٢٢١

<sup>(</sup>۲۲) القهرست (۲۹۲

<sup>(</sup>٢٣) ظهر الاسلام ٢٠٤/٢

<sup>(</sup>٢٤) دراسات في حضارة الاسلام /١٥٦

والواقع أن أهمية الطبرى التاريخية لاتدانيها اهمية اى مؤرخ آخر سبقه او جاء بعده ، اذ انه بذل جهود جبارة في اختيار الروايات الموثوقة المتفق عليها من بين الروايات العديدة عن احداث التاريخ العربي منذ ظهور الاسلام حتى نهاية القرن الثالث ، وهي الحقبة التي انتهى عندها الطبرى في تاريخه ، وقد رتبها منسقة بحسب سنوات حدوثها ، مما وفر كثيرا من الوقت بوالجهد لمن جاء بعده من مؤرخي ودارسي التاريخ العربي والجهد لمن جود احتفظ لنا الطبرى ، اضافة الى ماذكره من حوادث واخبار ، بكثير من نصوص العهود ، والاشعار ، والاقوال ، وقد نسب كل قول او شعر الى قائله ومقتطفات من كتب لم تصلنا ، وكلها ذات قيمة تاريخية مهمة ،

ان تحری الطبری الدقة ، وحیاده فی الروایات التی یذکرها ، کفاه مؤونة بیان رأیه فیها ، تارکا للقاریء ان یختار مایراه من تلك الروایات والآراء ، الا اذا كان له رأی یختلف عما رواه ، فیرویه عن لسانه بقوله ؛ یقول ابوجعفر ۰۰

ومن الجدير بالذكر ان نشير الى جزالة اسلوب الطبرى، اذ رغم ان كتابه تاريخى في اساسه ، فانه كتب باسلوب شيق احتوى على ثروة ادبية ولغوية غزيرة لوذلك عند عرضه الروايات المختلفة لكثير من الاحداث بلغتها الاصلية البليغة ، وباسلوبها السهل الممتنع كيا ان معايشته لقسم غير قليل من الاحداث المهمة واطلاعه على تفاصيلها بنفسه زاد في قيمة كتابه واهميته وخلاصة مايمكن قوله عن الطبرى المؤرخ انه كانت وخلاصة مايمكن قوله عن الطبرى المؤرخ انه كانت تغلب عليه الرغبة في ان تكون جميع الاخبار والاقوال معززه باسانيدها ، ويحرص على ان يكون مايقدمه من المادة التاريخية يعتمد على مصادر معتمدة ، ولذا نراه يروى عن الخبر الواحد ، في كثير من الاحيان ، عن اكثر من راوية واحد ، ولو تباينت رواياتهم ، تاركا للقارىء ان يستنتج مايراه ، الا اذا كان له رأى خاص حول موضوع

معين فانه يدلى به بتواضع ، بعد ان يستنفد جميع الروايات • وواضع تأثر الطبرى في طريقته هذه القائمة على جميع الاخبار والاقوال دون حكم او تأويل ، باسلوب المحدثين ، ولاغرابة فهو من كبار المحدثين •

وكان حرص الطبرى على تيسير المادة التي يقدمها للقارئ قد دفعه الى ان يجزأها ليسهل له الاحاطة بها وكانت التجزئة لاتقوم على نوع المادة وكميتها ، وانما على زمن حدوثها • درج على عرض الاحداث التي وقعت فى كل سنة رغم انها قد تكون غير مرتبطة ببعضها ، ورغم انها جزء من الخبر لاكله •

ونراه يركز اهتمامه حول الاشخاص والحروب والوقائع الحربية ، فيظهر الاحداث كأنها نتائج اعمال الخلفاء والقادة وحدهم ، ومع ان ذلك يصدق في بعض الاحوال ، الا ان هناك عوامل عديدة اخرى اقتصادية واجتماعية اثرت في تكوين تلك الاحداث تتصل بذوى العلاقة بها من الناس وبمكان حدوثها .

كما انه لم يذكر شيئا عن نواحى التقدم الثقاف ومظاهر الحياة الاخرى التى ازدهرت في ايامه سواء في مدينة السلام أو في سامراء على أننا يجب أن لا ننسى أن نلك كان شأن مؤرخى عصره ومن جاء بعدهم إلى أمد طويل حكما أنه أغفل أخبار وحوادث الجانب الغربي من إلى العربي ، فلم يذكر شيئا عن أفريقية والمغرب والاندلس ، مما تلافاه أبن الاثير بعده في تاريخه و

على أن ما أسبغه الطبرى على كتابه من تدقيق المتكلمين وطول نفسهم، وما للفقيه من دقة وحب للنظام، وما للسياسي القانوني العملي من بصيرة في الأمور السياسية ، أدى ألى أحلاله مكانة مرموقة دائمة ومتزايدة في الأوساط الفكرية ، وأن دقته وطريقته اكسبت كتابه ميزة مهمة جعلته مثالا يحتذى به في كتابة التاريخ(٢٠) ،

ويبدو أن الطبرى قال لطلابه عن كتابه هذا نحو ما ذكره عن كتابه في تفسير القرآن الكريم ، فاجابوه بمثل ذلك فاختصره في نحو مما اختصر التفسيرات .

<sup>(</sup>٢٥) علم التاريخ عند المسلمين /١٨٦ ـ ١٨٨

<sup>(</sup>۲۱) تاریخ بغداد ۱۹۲/۲

## (٥) كتب الطبرى الاخرى

تدل مصنفات الطبرى التي وصلتنا على تعدد معارفه وعمقها وسعة اطلاعه فيما بحثه وصنف فيه من المواضيع ٠ وانه كان عالما دينيا بارعا في العلوم القرآنية. والحديث والفقه ، كما كان مؤرخا قديرا واسع الاطلاع ٠ قال عنه ابن النديم «علامّة وقته وامام عصره وفقيه زمانه وكان متقنا في جميع العلوم: علم القرآن والنحو والشعر واللغة والفقه ، كثير الحفظ»(١) · وقاله عنه ياقوت الحموى «كان الطبرى عالما بالفقه والحديث والتفاسير والنحو واللغة والعروض ، وله في جميع ذلك تصانيف فاق بها على سائر المصنفين» (٢) • وقال ايضا «وكان ابوجعفر قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكان كالقارىء الذي لا يعرف الا القرآن ، وكالمحدث الذي لا يعرف الله الحديث ، وكالفقيه الذي لا يعرف الا الفقه ، وكالنحوي الذي لا يعرف الا النحو، وكالحاسب الذي لا يعرف الا الحساب • وكان عاملا للعبادات جامعا للعلام واذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلا على غرها» ١٠ ووصفه ابن خلكان بقوله «كان اماما ف لمنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وله مصنفات في علوم عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله» (الله عنه ابن الجوزي «وكان قد جمع من المناه» الله عنه الله العلوم ما رأس به اهل عصره ، وكان حافظا للقرآن ، بصيرا بالمعانى ، عالما بالسنن ، فقيها في الاحكام ، عالما باختلاف العلماء ، خبيرا بايام الناس وأخبارهم ، وتصانيفه كثيرة منها كتاب التاريخ وكتاب التفسيرء وتهذيب الآثار الا انه لم يتمم تصنيفه ، وله في اصول الفقه وفروعه كتب كثيرة»(<sup>ه) •</sup>

ويعتبر الطبري من المكثرين في التصنيف ، حدث عبدالله بن احمد الفرغاني في كتابه المعروف بكتاب الصلة وهو كتاب وصل به تاريخ الطبرى «ان قوما من تلاميذ ابن جرير حصلوا ايام حياته منذ بلغ الحلم الى ان توق وهو ابن (٨٦) سنة ، ثم قسموا عليها اوراق مصنفاته ، فصار منها على كل يوم اربع عشرة ورقة ، وهذا لا يتهيأ لمخلوق الا بحسن عناية الخالق»(١) · وقد اعتاد الطبرى ان يقدم كل كتاب يصنفه بخطبة على معنى كتابه فيأتى الكتاب منظوما على ما تقتضيه الخطبة (۱) • مما يستدل منه ان الطبرى كان يضع ما نسميه برؤوس الاقلام او الخطة لمضمون الكتاب الذى يعتزم تصنيفه دالا بذلك على سعة علمه في الموضوع الذي يصنف فيه • وقد عنى الطبرى بالعلوم القرآنية ، فكان الى جانب علمه بالتفسير (وقد افردنا لذلك فصلا خاصا) يحسن القراءة مجودا فيها ، وقد الم بانواع القراءات وصنف فيها ٠ وكان اول امره يقرأ بقراءة حمزة ، وقد اخذها بروايتين الاولى عن سليمان بن عبدالرحمن الطلحي ، والاخرى عن على بن كيسة (١) ٠ وبالنظار لإلمامه بمختلف القراءات فقد اختار قراءة خاصة به لم يخرج بها عن الشهور ، الا أنه لم ينتصب للأقراء ، فلم يقرأ عليه سوى آحاد من الناس(١) ، وقد امتدح المقرىء الشهير ابوبكر بن مجاهد قراءته ، وقال وقد سمعه يتلو سورة الرحمن في صلاته «ماظننت أن الله تعالى خلق بشرا يحسن يقرأ هذه القراءة»(١٠) وله «كتاب الفصل بين القراءة» ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ واختلاف القراء في حروف القرأن ، وعلل ذلك

<sup>(</sup>۱) الفهرست /۳٤٠

<sup>(</sup>Y) معجم الادباء  $\Gamma/VY3$ 

نفس المصدر  $\Gamma/\Lambda$  = 173  $\Gamma$ 

<sup>(1)</sup> وفيات الاعيان ٢٣٢/٣

<sup>(</sup>٥) التنظم ٦/١٧١

<sup>(</sup>١) معجم الادباء ٦/٢٢٦

<sup>(</sup>V) نقس المصدر ٦/٢٤٤

<sup>(</sup>٨) نفس المصدر ٦/٢٤٤

<sup>(</sup>٩) نقس المصدر ٢/٢٧٤

<sup>(</sup>۱۰) تاریخ بغداد ۲/۱۹۶

وشرحه ، وفصل فيه اسماء القراء بالمدينة ومكة والبصرة والشام وغيرها ، والفصل بين كل قراءة ، فيذكر وجهها وتأويلها والدلالة على ماذهب اليه كل قارىء لها ، واختياره الصواب منها والبرهان على صحة ما اختاره ، مستظهرا في ذلك بقوته على التفسير والاعراب ، وصدره بخطبة تليق به (۱۱) وقال ابن مجاهد عن هذا الكتاب مماصنف في معنى كتابه مثله (۱۱) .

وله كذلك كتاب في «عدد أي القرآن واسباب نزولها» و وكذلك عن الطبرى بالحديث وقد سمعه على كبار محدثي زمنه ممن اشرنا اليهم في الفصل الخاص بفقه الطبرى ، وصنف عدداً من الكتب منها : كتاب المذيل ، وهو يشتمل على من قتل او مات من اصحاب رسول الله (ﷺ) في حياته ، او بعده ، على ترتيب الأقرب فالاقرب منه او من قريش او من القبائل ثم ذكر موت من مات من التابعين والسلف بعدهم ثم الخلق الى ان بلغ شيوخه الذين سمع منهم ، وذكر جملاً من اخبارهم ومذاهبهم وتكلم في الذب عن ذوى الفضل منهم ممن رمى بمذهب هو برىء منه كنحو الحسن البصرى وقتادة وعكرمة وغيرهم ، وذكر ضعف من نسب الى ضعف من الناقلين،

وذكر فى آخر الكتاب ابواباً تتناول من حدَّث عنه الاخوة ، او الرجل وولده ، ومن اشتهر بكنيته دون اسمه ، او باسمه دون كنيته ، وهو من محاسن الكتب وافضلها يرغب فيه طلاب الحديث واهل التواريخ ، وكان قد انجزه واخذ باملائه سنة (٣٠٠)

ومن كتب الطبرى الاخرى في الحديث : كتاب تهذيب الآثار ، وفيه تفصيل الثابت من الآخبار عن رسول الله

(ﷺ) ، وهو كتاب يتعذر على العلماء عمل مثله ويصعب عليهم تتمته (۱۱) • يقول عنه السبكى : ويعتبر من عجائب كتبه ابتدا به يمارواه ابوبكر الصديق (رض) مما صح عنده بسنده ، وتكلم عن كل حديث بعلله وطرقه ومافيه من الفقه والسنن واختلاف العلماء وحججهم ، وما فيه من المعانى والغريب ، فتم منه مسند العشرة واهل البيت والموالى ، وفيه قطعة كبيرة من مسند ابن عباس ، ومات قبل تمامه (۱۱) •

وكتاب المسند المجرد ، وقد جمع فيه ما قرأه من حديث على الناس مما سمعه عن شيوخه(١١) ٠

ومن كتب الطبرى الاخرى الذى هو اقرب الى الكتب الدينية ، كتابه المسمى «ادب النفوس الحميدة والاخلاق النفيسة» وربما سمى بادب النفس الشريفة والاخلاق الحميدة و ويتضمن اضافة الى علوم الدين ، الكلام عن الورع والاخلاص والشكر والتخاضع والخشوع والصبر والامر بالمعروف والنهى عن المنكر و وبدأه بالكلام في الوسوسة واعمال القلوب ، ثم ذكر شيئا من الدعاء وفضل القرآن ، وما روى عن ذلك من السنن واقوال المحابة والتابعين في ذلك وكان هذا الكتاب آخر محسنقاته ، اذ ابتدأ به في سنة (٢١٠) ومات بعد مدة قصابرة من ذلك ""

واضافة الى ماذكره من كتب الطبرى ، ذكر له صاحب هدية العارفين : كتاب الشذور ، وكتاب الفضائل ، وكتاب المستبرشد (١٠٠٠) .

<sup>(</sup>۱۱) معجم الادباء ٦/١٤١ ـ ٤٤٢

<sup>(</sup>١٢) نفس المصدر ٢/٢٤٦ وسماه في هدية العارفين ٢٧/٢ الجامع من القراءات (١٣) معجم الادباء ٦/٥٤٥ ، وفي هدية العارفين ٢٧/٢ سماه : تاريخ الرجال

<sup>(</sup>١٤) نفس المصدر ٦/٤٤٩ ، وتاريخ بغداد ١٦٣/٢

<sup>(</sup>١٥) طبقات السبكي ١٣٦/٢

<sup>(</sup>١٦) معجم الادياء ٦/-٤٥

<sup>(</sup>١٧) معجم الادباء ٦/ ٤٥٠

<sup>(</sup>١٨) هدية العارفين ٢٧/٢

#### مصادر البحث:

ابن الاثير ، عز الدين او الحسن علي بن ابى الكرم الشيبانى : الكامل في التاريخ (الجزء الثامن) دار صادر ــ بيوت ، ١٣٨٥ ــ ١٩٦٥

ابن الجوزى ، ابو الفرج عبدالرحمن بن علي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر أباد الدكن ، ١٣٥٧

ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد الحضرمى : المقدمة المطبعة الخيرية بمصر ـ الطبعة الاولى ، ١٣٢٢

ابن خلكان ، ابوالعباس شمس الدين احمد بن محمد : وفيات الاعيان وانبا ابناء الزمان (الجزء الثالث) تحقيق : محمد محى الدين عبدالحميد مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السعادة بمصر ، ١٩٤٨

ابن قتيبة ، ابومحمد عبدالله بن مسلم : المعارف حققة وقدم له : ثروت عكاشة مطبعة دار الكتب بمصر ، ١٩٦٠

ابن كثير ، الحافظ اسماعيل بن عمر : البداية والنهاية مكتبة المعارف ببيروت ، ومكتبة النصر بالرياض الطبعة الاولى سنة ١٩٦٦

ابن النديم ، محمد بن اسحاق : الفهرست مطبعة الاستقامة بالقاهرة

البغدادى ، ابوبكر احمد بن علي الخطيب : تاريخ بغداد (الجزء الثاني) دار الكتاب العربي ، بيوت ، لبنان

البغدادى ، اسماعيل باشا : هدية العارفين طبع وكالة المعارف بمطبعتها باستانبول ـ ١٩٥١

الانبارى ، ابوالبركات محمد بن ابى السعد النحوى :

نزهة الالباء ف طبقات الادياء

تحقيق : الدكتور عطية عامر

المطبعة الكاثوليكية \_ بيروت ، ١٩٦٣

الجاحظ ، ابوعثمان عمرو بن بحر :

كتاب الحيوان (الجزء الاول)

تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون

مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ، الطبعة الاولى ، ١٣٥٩ \_ ١٩٤٠

حاجى خليفة ، مصطفى بن عبدالله :

كشف الظنون (الجزء الثاني:

عنى بتصحيحة محمد شرف الدين بالتقايا ورفعة الكليسي

مطبعة المعارف باستانبول ، ١٩٤١

الحموى ، ياقوت الرومي :

ارشاد الاريب الى معرفة الاديب \_ معجم الادباء \_ (الجزء السادس)

اعتنى بتصحيحه د٠٠٠ مرجليوث

مطبعة هفوية بالموسكي بمصر ، ١٩٣٠

الخوارزمى ، محمد بن احمد بن يوسف :

مقاتيح العلوم

مطبعة الشرق بمصر ، ١٣٤٢

الذهبي ، ابوعبدالله شمس الدبن :

تذكرة الحفاظ (الجزء الثاني)

دار احياء التراث العربي \_ ١٣٧٤

السبكى ، تاج الدين عبدالوهاب بن تقى الدين : طبقات الشافعية الكبرى (الجزء الثاني) المطبعة المسينية بمضر

الشهرستاني ، ابوالفتح محمد بن عبدالكريم :

الملل والنحل (الجزء الاول)

تحقيق محمد سيد كيلاني

مطبعة ومكتبة البابي الطبي بمصر ، ١٣٨١ \_ ١٩٦١

الطبرى ، ابوجعفر محمد بن جرير :

(١) جامع البيان عن تأويل أي القرآن

شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ـ الطبعة الثانية ١٣٧٣ ــ ١٩٥٤

(٢) تاريخ الرسل والملوك (الجزأن ٨،١)

تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم

دار المعارف بمصر ... ١٩٦٩

مسكويه ، ابوعلي احمد بن محمد : كتاب تجارب الامم (الجزء الاول) نسخه وصممه : هـ ف امدروز مطبعة شركة التمدن الصناعية بمصر ـ ١٣٣٥ ـ ١٩١٤

> المسعودى ، ابوالحسن علي بن الحسين : مروج الذهب ومعادن الجوهر (الجزء الاول) المطبعة البهية المصرية ، ١٣٤٦

امين ، احمد : ظهر الاسلام (الجزء الثانى) مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٢

> جب ، هاملتون : دراسات في حضارة الاسلام ترجمة الدكتور احسان عباس وأخرون دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٤

> رؤرنثال ، فرانز : علم التاريخ عند المسلمين ترجمة الدكتور صالح احمد العانى مراجعة محمد توفيق حسنى نشرته مكتبة المثنى ببغداد منه ١٩٦٣

سركيس ، يوسف اليان ؛ معجم المطبوعات العربية والمعربة مطبعة سركيس ، بمصر ، ١٣٤٦ ــ ١٩٢٨

هرنشو : علم التاريخ ترجمة عبدالحميد العبادى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٣٧

> هل ، يوسف : الحضارة العربية ترجمة ابراهيم احمد العدوى مكتبة الانجلو المصرية ، ١٣٧٥ ـ ١٩٥٦

بحوث التاريخ القديم والآثار



ì

# دراسة مركزة في نقاط للفكر العسكرى العراقى القديم عبر ألفى عام قبل الميلاد 1000 من م

اعداد الدكتور فاضل عبدالواحد علي الدكتور فاروق ناصر الراوي

لابد من الاعتذار في البدء عن التأخر في تقديم هذا البحث لأسباب خارجة عن امكانية الباحثين ولابد البضا من التنويه بأن هذا البحث المركز هو حصيلة دراسة مستقيضة في الوقائق المسمارية السومرية والبابلية وفي الآثار الفنية وحرصا من الباحثين على ابراز جوانب الفكر العسكرى العراقي القديم بحجمه وزخمه الفعال فقد حرما على حذف كل التفاصيل والاقتصار على طرح الاسس المهمة لتلك الجوانب بشكل نقاط مركزة جدا ادراكا منهما أن مثل هذا الموضوع يصلح لبحث مستفيض قد يأخذ حجم كتاب في الأقل والراكا منهما أن مثل هذا الموضوع يصلح لبحث مستفيض قد يأخذ حجم كتاب في الأقل والمراكا منهما أن مثل هذا الموضوع يصلح لبحث مستفيض قد يأخذ حجم كتاب في الأقل والراكا منهما أن مثل هذا الموضوع يصلح لبحث مستفيض قد يأخذ حجم كتاب في الأقل والراكا منهما أن مثل هذا الموضوع يصلح لبحث مستفيض قد يأخذ حجم كتاب في الأقل والراكا منهما أن مثل هذا الموضوع يصلح لبحث مستفيض قد يأخذ حجم كتاب في الأقل والراكا منهما أن مثل هذا الموضوع يصلح لبحث مستفيض قد يأخذ حجم كتاب في الأقل والراكا منهما أن مثل هذا الموضوع يصلح البحث مستفيض قد يأخذ حجم كتاب في الأثران المؤلم الم

هناك حقيقة ادركها سكان وادى الرافدين ابتداء بالسومريين وانتهاء بالآشوريين هى انهم امام تحديات خطيرة وان لاسبيل للحفاظ على الوطن وعلى المنجزات الحضارية فيه الا بوجود قوة ضارية تدفع عن الوطن شرور الطامعين وتحفظ ازدهاره الحضارى لذلك حفلى الجيش وفي عصر مبكر جدا من الالف الثالث ق م باهتمام الحكام السومريين الذين يعود اليهم الفضل في تأسيس اقدم الجيوش المعروفة في العالم القديم وعلى الرغم من ان الجيش السومرى في عصر فجر السلالات الم يكن دائميا ، كما هو الحال في العصر الآشورى ، فانه اسهم وبشكل فعال في درء الاخطار عن البلاد وخاض بنجاح كبير اقدم الحروب الطاحنة على الجبهة الشرقية بنجاح كبير اقدم الحروب الطاحنة على الجبهة الشرقية مع العيلاميين على وجه الخصوص .

وتدل الآثار المكتشفة في المدن السومرية من عصر فجر السلالات في حدود ٢٥٠٠ ق م على ان الجيش السومري كان يتكون من صنف المشاة وصنف العربات بصورة رئيسية وكان الرمح والفأس هما السلاحان الأساسيان لهذين الصنفين ١ اما القوس فانه كان من النوع البسيط والراجح انه لم يستعمل في المجال العسكري لكنه بالتأكيد استخدم في الصيد وفي العصر الاكدي اللاحق (٢٣٧١ ـ ٢٢٣٠ق م) ادخل القوس المركب كسلاح فعال اعطى تفوقا واضحا للجيش الاكدي كما ان اتباع اسلوب المناورة والحركة بدلا من القتال

باسلوب الكراديس (الصف) ، كان من التغييرات الاشاسية التي نلاحظها في النحوتات الاكدية ، ومن العصر الاكدي تأتينا اقدم الاشارات على اقطاع ضباط الجيش أراضي يستغلونها مقابل خدماتهم في الجيش وقطع الحيش العراقي القديم مرحلة مهمة من التطور في زمن سلالة اور الثالثة والعصر البابلي القديم (٢١١٣ ـ ١٥٩٥ ق م) ويتضح ذلك جليا من المواد القانونية العديدة في شريعة حمورابي التي نظمت حقوق وواجبات العسكريين بشكل واضح ودقيق و

ووصل الجيش العراقى القديم ذروة التطور زمن الأشوريين الدين خلقت منهم طبيعتهم الجبلية والتحديات الخطيرة التى كانوا يواجهونها من الاقوام المجاورة لهم شعبا ذا روح عسكرية عالية و قد استطاع الأشوريون بفضل هذه الروح العالمية وبفضل خبرتهم الجيدة في صنع سلاحهم بأيديهم ان يكونوا في العصر الآشورى الحديث (٩١١ ـ ٦١٢ ق م) جيشا نظاميا دائميا يعمل على مدار اشهر السنة حتى صار بحق اشهر قوة ضاربة في الشرق الأدنى القديم دون منازع والحديث عن الجيش في العصور القديمة يقودنا

بالضرورة الى الرجوع الى مصدرين اساسيين: الأول: الوثائق المسمارية المدونة بالسومرية والبابلية والتى تتعلق بأخبار الحروب والحملات العسكرية والأسلحة والرتب وكل ماله علاقة بالاسرى والغنائم

وكذلك القوانين التى تنظم حقوق وواجبات الفرد من الخدمة العسكرية ثم المراسلات والتقارير ذات الطابع العسكري .

الثانى: مشاهد المعارك التى صورها الاقدمون على المنحوتات الجدارية وغيرها من الآثار الاخرى التى تعتبر سجلات تاريخية مهمة عن المعارك فى العصور القديمة ومن خلال الدراسة المستفيضة لهذه المراجع يمكننا ان نسجل النقاط الآتية كمعالم بارزة فى الفكر العسكرى العراقى القديم اى فى زمن السومريين والبابليين والإشوريين اى فى عصور زمنية شملت حوالى الفى عام والآشوريين اى فى عصور زمنية شملت حوالى الفى عام

۱ ـ كان الملك باعتباره رئيس الدولة ، يعتبر القائد العام القوات المسلحة وكان يشارك فعلا في قيادة المعركة ، وقد بقى هذا المفهوم سائدا في وادى الرافدين منذ عصر فجر السلالات وحتى آخر الادوار الحضارية ، واقدم دليل على هذا المفهوم هو مسلة العقبان من لكش التى تصور الامير السومرى ايناتم وهو في عربة قتالية في مقدمة جيشه (يعود تاريخ هذه المسلة الى حدود بريم عربة منه السلة الى حدود بريم المسلة المسلة الى حدود بريم المسلة المسلة

٢ - مع كل الاستعدادات التي كانت تستحضر للمعركة على صعيد الاعداد والتخطيط والتجهيزات فقد كان الايمان عميقا وفي كل العصور بأن النصر فن صنيع الالهة وايا كان الملك المنتصر وفي اي عصر قائه لا يعزو نصرا حققه الا الى فضل اسناد وعون الإله مكان يكون الاله ننكرسو زمن ايناتم في لكش والاله مردوخ زمن نبوخذنصر الاول وعشتار واشور في عهد الملوك الأشوريين ثم ان زيارة معابد الالهة على الطريق الى ساحة الحرب كان امرا معروفا في العصور القديمة ومن الوثائق القديمة التي العصور القديمة ومن الوثائق القديمة التي سجلت مثل هذه الممارسة وثيقة التحرير للملك السومري اتوحيكال (٢١٢٠ ـ ٢١١٤ ق م) الذي الكوتيين المحتلين فقدم الصلوات والقرابين وحقق في النهاية نصرا حاسما على الاعداء والقرابين وحقق في النهاية نصرا حاسما على الاعداء و

٣ - كان الثبات واستذكار الالهة وقت الظروف الحرجة من المعتقدات الاساسية عند القائد • يقول الملك الأشورى سنحاريب في هذا الخصوص ، ان العيلاميين زحفوا لملاقاته عند مدينة خالوى على نهر دجلة حتى بدوا له ولجنده كالجراد وان الغبار المنبعث من اقدامهم ارتفع غيمة سوداء فوق ارض

المعركة ، ويعترف سنحاريب بأن العيلاميين سدوا عليه الطريق وانه عندئذ : راح يدعو الالهة سين وشمس وبعل ونابو ونركال وعشتار لتنصره على اعدائه ، ثم يقول سنحاريب ما نصبه : «استجابت الالهة لدعائى فجاءت مسرعة لعوتى وعندئذ انقضضت على اعدائى كالاسد الهصور » \*

- ٤ ــ ان عمق الايمان بقدرة الالهة على صنع النصر اعطى رجال الدين في العراق القديم دورا بارزا اثناء الحروب، اذ كان الملوك يستشيرونهم قبل الاقدام على خوض المعارك لمعرفة ما تخفيه الالهة لتلك الحملة من اسباب النجاح او الفشل من جهة اخرى كان بعض رجال الدين يصاحبون الحملة العسكرية وهناك اشارة الى رفع شعار او رمز الالهة والى قيام بعض الكهان بتسجيل تفاصيل المعارك باعتبارهم في مقدمة من يجيد الخط المسمارى والمسمارى والمسماري المسماري المسموري المسماري المسما
- الاهتمام بتوفير مورد مضمون لافراد القوات
  المسلحة بمنحهما أراضى زراعية ليستغلوها مقابل
  خدمتهم في الجيش · كما خصصت لهم في العصر
  الأشورى الحديث جرايات عينية تصرف لهم
  بصورة منتظمة وبكميات معينة ·
- آ وضع تشريعات قانونية صريحة وواضحة تنظم الخدمة العسكرية في الخدمة العسكرية في العراق القديم الزامية على كل مواطن، ومنع القانون قبول بديل عن المكلف، كما فرض عقوبة الاعدام على كل فرد يتهرب من الخدمة العسكرية او قدم بديلا عنه وفرض المشرع نفس العقوبة على مأمور التجنيد الذي يقبل بديلا عن شخص كلف بالخدمة او تجنيد شخص معفو منها وكلف بالخدمة او تجنيد شخص معفو منها و
- ۷ كان تكريم المتميزين من القادة والجند من الامور التى اهتم بها ملوك وادى الرافدين و واقدم دليل جاءنا في هذا الصدد وثيقة بابلية من زمن الملك نبوخذنصر الاول (١١٢٤ ١١٠٣ق م) ملك سلالة ايسن الثانية و فبعد ان تتحدث هذه الوثيقة عن تفاصيل النصر الحاسم الذي حققه هذا الملك على العيلاميين في معركته الشهيرة على ضفاف نهر اولاي (احد فروع الكرخة) تذكر تكريمه لقائد قوات صنف العربات وهو رتي مردوخ ولافراد قبيلته (كرز يابكو) ممن شاركوا في هذه المعركة وكان لهم دور بارز في تحقيق النصر و

- ٨ ـ عدم التقليل من اهمية العدو او الاستخفاف بقوته
   الى الحد الذى دفع بعض الملوك الآشوريين الى
   الاشادة بقدرات الخصم والقول بأنهم كانوا
   يقاتلون عدوا ندا له قيادة متمرسة ٠
- ٩ اختلاف اسالیب القتبال والخطط العسکریة
   والصنوف حسب طبیعة ارض المعركة:
- أ حروب المناطق الجبلية ، صنف الخيالة والمشاة ·
- ب حروب الاراضى السهلية ، صنف العربات والمشاة مع اسناد من المقلاعيين جـ حصار المدن ، صنف الاكباش والسلالم والهندسة والمشاة مع اسناد من المقلاعيين والنبالين •
- د حدوب الاهوار ، محاربون في سفن وقوارب ، مع صنف الهندسة لبناء الجسور المتنقلة لعبور الموانع المائية ونقل الخيول والعربات والمعدات في سفن خاصة .
- ١٠ ضرب الاحلاف العسكرية المعادية والاسراع في القضاء على حركات التمرد والعصبيان في الاقاليم التابعة ٠ وقد تجلت هذه السياسة بشكل واضح زمن الأشوريين وخاصة في معالجة حركات التمرد ف بابل التي كانت تغذيها عيلام بصورة علانية ٠ لقد ادرك الأشوريون خطورة نجاح عيلام ف التحالف مع بابل وبالتالي اقامة حكم معاد في وبسط وجنوب البلاد • ومعروف ان عيلام وراء حركة التمرد التي قام بها مردوخ - بلادان زمن سرجون الثاني (۷۲۱ ـ ۷۰۵ ق م) والتي استلزمت جهدا عسكريا كبيرا للقضاء عليها ٠ كما نجحت السياسة العيلامية وبذكاء في استغلال الخلافات الشخصية بين الملك الأشورى أشوربانيبال واخيه شمش \_ شوم - اوكن حاكم بابل بحيث دفعت الاخير الي اعلان العصيان ضد اخيه مما اضطر الملك الأشودي الى الاسراع لفرض الحصار على بابل واقتحامها ، لكن اخاه المحاصر ابي الاستسلام وفضل الانتحار حرقا في قصره المشتعل بالنيران ٠ امام هذه الحقائق عن الاطماع العيلامية لم يبق من

امام هذه الحقائق عن الاطماع العيلامية لم يبق من بديل لدى الملك الأشورى سوى اجتثاث بؤرة الشر نفسها وبالفعل فمن خلال عمليات عسكرية في عيلام استمرت ثلاث سنوات (٦٤١ ـ ٦٣٩ ق م) استطاع الملك الآشوري القضاء على الحكم العيلامي بعد اندحار قوات الملك العيلامي تيومان وسقوط عاصمته شوشة بأيدي الأشوريين و

- ١١ \_ امتلاك صنف استخبارات كفوء وبريد سريع لنقل الاخبار فبالاضافة الى التقارير والرسائل التي كان يبعثها الحكام الآشوريون من المقاطعات فقد كان لهؤلاء الحكام بدورهم «عيون» او معتمدون يزودونهم بالمعلومات والاوضاع العسكرية في الاقاليم وتدل الرسائل الرسمية المتبادلة بين الملوك الأشوريين وحكام الاقاليم ان «عيون» الملك كانوا ينتشرون فى كل اقاليم الامبراطورية وما بجاورها من اقصى الجنوب وصولا الى بحيرتى وان وارميه في بلاد اورارتو (ارمينيا) شمالا - وتذكر تلك الرسائل ان تلك «العيون» كانت ترصد تحركات ملك اورارتو وقواه وكل تغير في ولاء قبائل تلك المنطقة للسلطة الأشورية ، ولذلك لم تكن مفاجأة حين حاول ملك اورارتو روساس التمرد فأسرع الملك الأشوري سرجون بشن حملة تأديبية انتهت باحتلال عاصمته مصاصر وبانتحار روساس الذى طعن نفسه بخنجره ٠
- ۱۲ ـ لقد استعمل العراقيون القدماء وطوروا اسلحة كثيرة متنوعة في مقارعة الاعداء ولعل آخر واخطر اسلحتهم في هذا المجال ما استعملوه من اساليب النفسية ، لقد اتخذت الحرب النفسية صورا متعددة منها :
- التفصيل الى حد المغالاة احيانا فى خسائر العدو البشرية وفى ما تركه من سلاح مهان وغَنَائُمْ .
- ب تصوير العدو على المنحوتات الجدارية في حالات الانكسار والاندحار والاستسلام امام قوة الجيش الأشوري المتفوق ·
- جـ وضع هذه المنحوبات في القاعات الملكية الخاصة باستقبال الضيوف والمعتمدين والسفراء لتذكرهم دائما بقوة الجيش الأشورى الذي لا يقهر لكي يحسب حكامهم الف حساب قبل التفكير بالخروج عن طاعة الملك الآشوري ٠
- د ـ تمكين بعض الاسرى عن عمد من الهرب والنجاة من الموت لكى يقصوا على اهليهم قصصا تروى عظمة الجيش الآشورى وتفوقه المستمر مما يبعث الخوف والهلع في نفوس الآخرين ٠
- هــ اتقان لغة العدو ومخاطبة الناس بلغتهم مباشرة بعد فرض الحصار عليهم في المدينة المقصودة وذلك لبعث روح الخوف والفزع في نقوسهم ولزعزعة ثقتهم بحكامهم ، عن

طريق استعراض قبوة وقدرة الجيش الآشورى، وطرح عروض مغرية عليهم مقابل الاستسلام والتخلى عن الوقوف الى جانب حاكمهم •

۱۳ حجب العراقيون القدماء ذكر خسائرهم في المعارك ولم يحدث أن ذكر أحد ملوكهم ذلك في عصر من العصور بينما نراهم يعطون تفاصيل دقيقة عن خسائر العدو البشرية والمادية فالملك سينحاريب يذكر التفاصيل التالية فيقول أنه كبد العدو و٢٠٨٠٠٠ رجلا و٢٠٢٠ حصائا ويغلا و٣٧٥٠١٠ حمارا و٢٠٠٠ من الماشية و٠١٠٠٠٠ من الاغنام ٠

١٤ ـ تشجيع المقاتلين والشخصيات المهمة من سكان البلاد المعادية على الهجرة والهروب الى وادى الرافدين عن طريق تقديم المكافآت والاغراءات المادية ٠

١٥ ــ التأكيد على رعاية اسرى الحرب والعناية بهم وقد معوروهم على بعض المنحوتات وهم يتناولون وجبات الطعام وينقلون على ظهور الحيوانات وف العربات ، وكانت شئون الاسرى موكولة بموظفين خاصين وكان يجرى تشغيل بعض الاسرى فل الاعمال الإنشائية والبعض الآخر يجند في الاقاليم التابعة للامبراطورية ،

۱٦ - اتبع الأشوريون سياسة نقل بعض سكان البلاد التابعة للامبراطورية الى مناطق اخرى وخاصفة عندما يكون سكان تلك المدينة سببا في احداث الشغب واعمال التمرد على السلطة الآشورية، ويعتبر الملك شلما نصر الاول (١٢٧٤ - ١٢٤٥ ق م) اول من اتبع هذه السياسة عندما نقل اعدادا من سكان بلاد اورارتو (ارمينيا) وبلاد الحوريين (جنوب غرب تركيا) بسبب اعمال الشغب وتعرضهم للقوافل التجارية وهناك من

الباحثين من يرى ان اقدام الآشوريين على مثل هذه السياسة كان احيانا بدافع حاجتهم الى الفنيين والحرفيين كعمال التعدين والبناء وذوى الخبرة في تربية الخيول وقيادة العربات العسكرية ·

وعلى الرغم مما يقوله بعض المستشرقين حول هذه السياسة فانها خلقت من دون شك مجتمعا فريدا حيث امتزج بسببها كثير من المجموعات العراقية دون تفضيل الواحدة منها على الاخرى ، ان اقواما كثيرة من بلدان الشرق القديم نقلت واسكنت في بلاد أشور واستخدمت للعمل في الحقول والاعمال الحرفية والتجارة والجيش ، وهكذا التحمت .تلك المجموعات لتكون الامبراطورية الأشورية وجدير بالذكر ان هؤلاء المهجرين كانوا يعتبرون احرارا بكل ما في هذه الكلمة من معنى ،

ان الفكر العسكرى العراقى القديم قد حظى باهتمام عدد كبير من المستشرقين المختصين بالأشوريات وبعض العسكريين الصهاينة وفسر موضوع نقل المستوطنين على يد الآشوريين بشكل يتنافى مع الحقائق التاريخية وقد صدر مؤخرا كتاب بعنوان:

B.ODED, MASS DEPORTATIONS AND DE-PORTEES IN THE NEO-ASSYRIAN EMPIRE DR., LUDWIG REICHERT VERLAG, WIES-BADEN, W.G. 1979.

١٧ ـ چعل ارض العدو مسرحا للعمليات العسكرية
 لالحاق اكبر قسط ممكن من الخسائر الاقتصادية
 والعمرانية ٠

 ١٨ ـ استخدام عنصر المباغتة والسير نحو الهدف على طرق متعددة وعدم العودة من المعركة على نفس طريق الذهاب \*

19 ـ بالتحصينات الدفاعية وبناء الاسوار والخنادق حول العواصم والمدن وبناء القلاع في المناطق الحدودية وعلى الطرق التجارية المهمة ·

## مراجع مختارة عن الفكر العسكرى في العراق القديم

- A.K.GRAYSON, ASSYRIAM AND BABYLONIAN CHRONICLES, NEW YORK, 1975.
- 14. A.K.GRAYSON, (ASSYRIAS'S FOREIGH POLICY IN RELATION TO ELAM IN THE EIGHT AND SEVENTH CENTURIES B.C.) BASHDAD, 1981.
- 15. F.M. FALES, (THE ENEMY IN ASSYRIA'S ROYAL INSCRIPTION YIONS) (THE MORAL JUDGEMENT) MESOPOLAMIEN
  UND SEINE NACHBARN, BERLIN, 1978.
- 16. B.ODED, MASS DEPORTATIONS AND DEPORTEES IN THE NEO ASSYRIAN EMPIRE, WIESBADEN, 1979.
- 17. D.POTTS, THE ZAGROS FRONTIER AND THE PROBLEM OF RELATIONS BETWEEN THE IRANIAN PLATEAU AND SOUTHERN MESOPOTAMIE IN THE THIRD MILLENNIUM B.C. (MSN, 1978).
- PETER CALMEYER, MESOPOTUMIEN UND IRAN IM II UND 1 JAHRTAUSEND. MSN. 1978.
- 19. M. LIVERANI, (THE IDEOLOGY OF THE ASSYRIAN EMPIRE) MESOPOTAMIA, 7, 1979. COPENHAGEN STUDIES IN ASSYRIOLO-

GY.

- ١ سطه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،
   ١٩٧٣ ٠ ٠ ١٩٧٣ ٠
- ٢ ـ مجموعة من الاساتذة والباحثين ، العراق في التاريخ
   بغداد ، ١٩٨٣ ٠
- ٣ ـ مجموعة من الاساتذة والباحثين ، الصراع العراقي
   الفارسي بغداد ، ١٩٨٣ ٠
- ٤ ـ د · فاضل عبدالواحد على «الاكدبون طلائع على
   الجبهة الشرقية» آفاق عربية ، ٣ ـ ٤ ، ١٩٨٠ ·
- د · فاضل عبدالواحد على «اقدم حرب للتحرير عرفها التاريخ» ، سومر ، ٣ ، ١٩٧٤ ·
- ٦ ـ د فاضل عبدالواحد علي «دقيقة النصر للملك نبوخذ نصر الاول» تاريخ العرب العسكرى المؤتمر العلمى الاول لجمعية المؤرخين والآثاريين في العراق بابل بغداد ٢٢ ـ ٢٦ الملول ١٩٨١ •
- ۷ ـ د فاروق ناصر الراوى ، «معارك النصر : سجلاتها
   ف الكتابات المسمارية تاريخ العرب العسكرى
   المؤتمر العلمى الاول لجمعية المؤرخين والآثاريين في
   العراق بغداد ـ بابل ۲۲ ـ ۲٦ ايلول ۱۹۸۱ •
- ۸ ـ د فاروق ناصر الراوى «الوثائق المسمارية شواهد على انتصاراتنا في عيلام» ، بين النهرين ، العددان ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٤ ٠
- ٩ ـ د ٠ فاروق ناصر الراوى التحدى الحضارى للامة الندوة الفكرية الثانية فى فكر الرفيق القائد صدام حسين ٥ ـ ٥ ـ ١٩٨٤ ٠
- ١٠ يوسف خلف عبدالله ، السلاح والجيش في العصر
   الأشوري الحديث ، بغداد ١٩٧٧ .
- 11. A.K.GRAYSON, ASSYRIAN ROYAL IN-SCRIPTIONS, WIESBADEN, 1972 – 1976.
- 12. A.K. GRAYSON, (THE EMPIRE OF SARGON OF AKKAD), AFO, 25, 1974 PP. 56 -64.

- 20. D.D. LUCKENBILL, ANCIENT RE-CORDS OF ASSYRIA AND BABYLONIA, NEW YORK, 1968.
  2 VABUMES.
- JULIAN. READE, (IDEOLOGY AND PROPAGANDA IN ASSYRIAM ART), MESOPOTAMUIA.
   PP. 329 343.
- 22. H.W.F. SAGGS, THE GREATNESS THAT WAS BABYLON. LONDON, 1968.
- 23. H.W.F. SAGGS, THE MIGHT THAT WAS ASSYRIA 9 LONDON, 1984.
- H.W.F. SAGGS, (ASSYRIAN WAR FARE IN THE SARGONID PERIOD), IRAQ, 25, 1963.
- 25. H.W.F. SAGGS, (ASSYRIAN PRISONERS OF WAR AND THE RIGHT LIVE), AFO, 19, 1982.

- 26. J.D.HALL, AN ANALYSIS OF POWER IN ASSYRIAN PALACE RLIEF SCULP-TURES, MACQUARIE. UNIVERSITY HISTORY HONOWRS THESIS, 1982.
- YIGAEL YADIN, THE ART OF WAYARE
   IN BIBLICAL LANDS LONDON. JAR-ROLD AND SONS LTD., 1963.
- 28. JACK M. SASSON. THE MILITARY ESTABLISHMENTS AT MARI, ROME, 1969.
- 29. ZADOK, THE JEWS IN BABYLONIA; TEL- AVIV, 1976; WEST SEMILTK IN BABYLONIA, JERUSALEM, 1977.
- 30. C. ZACCAGINNIG (THE ENEMY IN THE NEO-ASSYRIAN ROYAL INSCRIPTIONS: THE (ETHNOGRAPHIC DESCRIPTION) MSN, 1978.

### الملاحق

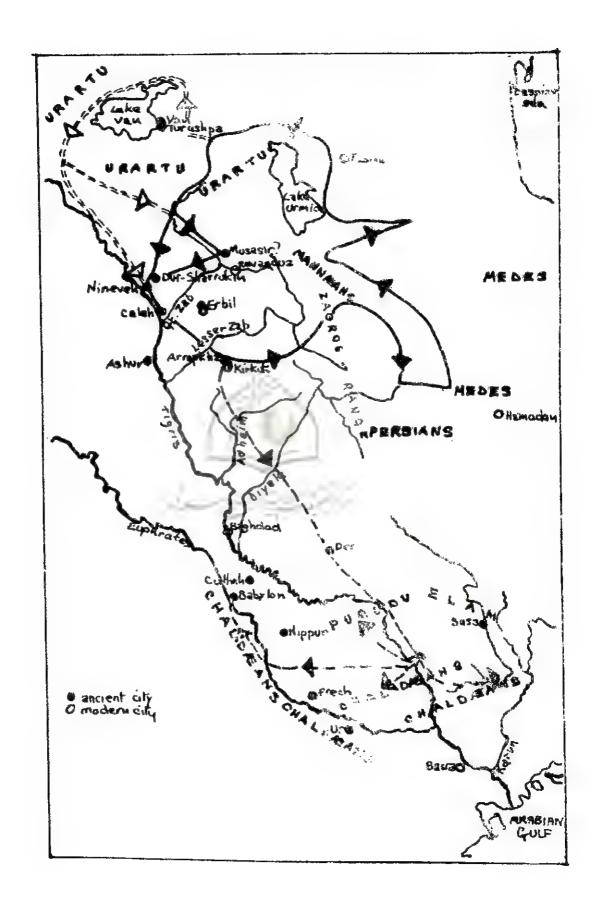
١ خارطة تبين الحدود التقريبية للأمبراطورية
 الأشورية الحديثة ·

٢ ـ خارطة تبين مسيرة جيش سرجون الثانى في احدى
 حملاته على الحدود المتاخمة لحدودنا الشمالية
 الشرقية والجنوبية والجنوبية الشرقية •



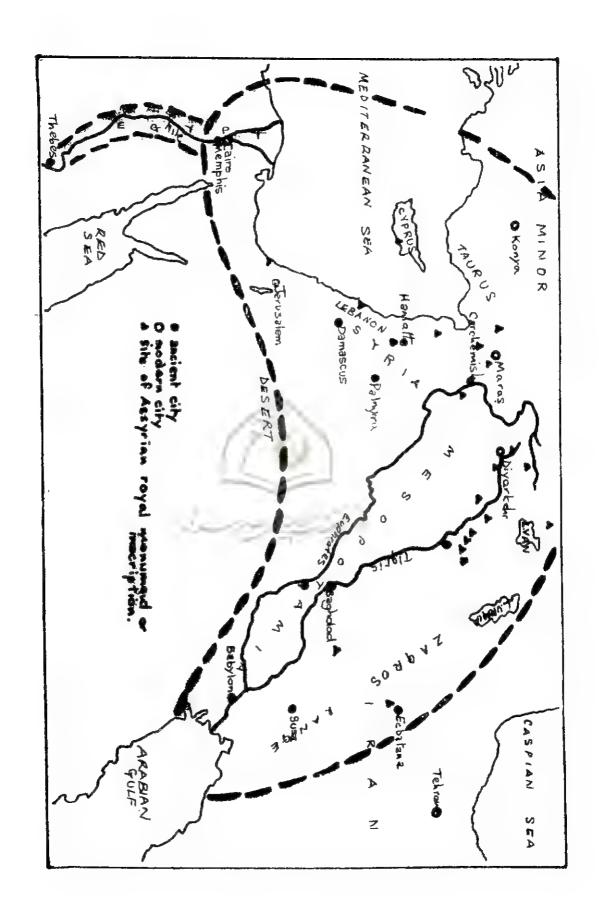


;





.





-

«اعادة كتابة تاريخ الأمة ، ضرورة وطنية وقومية»



# الفن والعمارة في مسجد قبة الصخرة المشرفة

د • شحاده الناطور كلية الآداب/جامعة اليرموك

لاشك أن بناء المساجد أحد فنون العمارة الاسلامية الهامة ، الذى يعبر عن الخلفية التاريخية المتصلة جذورها بمرحلة زمنية متقدمة ، ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا : انه أول وأهم المحاور التى قامت عليها الفنون ، وشكلت أهم عناصر استقطاب الفنانين على مر العصور · واذا كان فن عمارة المساجد يلحقه بين الحين والآخر

واذا كان فن عمارة المساجد يلحقه بين الحين والاخر عملية الاضافة والتحسين (()، فان هذا الفن يحتفظ بملامحه الأصلية لفكرة التخطيط الأولى التي وضعها الرسول (ﷺ)، بأجزائه الأساسية من صحن وحرم ومحراب () .

ولما كانت تعاليم الاسلام شديدة الالتصاق بالمسلمين، وتدعو للاجادة والاتقان في العمل عملا بقوله تعالى «صُنع الله الذي اتقن كل شيء» (أ)، وقوله عليه السلام «إنَّ الله يحب اذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه «وتمثلاً للعديد، فقد تأثر الفنانون بتعاليم العقيدة، وظهر هذا واضحا بما انعكس على انتاجهم من تجميل وتزيين وتنميق، وخير مثال على هذا، مسجد قبه الصخرة المشرفة الذي يعد من أعجب المباني واتقنها، فقد أخذ من كل بديعة بطرف (أ)، ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا مع لوبون أنه أعظم بناء يستوقف النظر في فلسطين وأهم ما شاده الانسان (١).

<sup>(</sup>١) أن الاضافة والتحسين تتم في النسب والأحجام والظلات وأساليب البناء ٠٠ المخ٠

<sup>(</sup>٢) جورج مارسيه: الفن الاسلامي، ص ١٣٠٠

<sup>(</sup>٢) سورة النحل أية ٨٨٠

رُ عَلَى سورة الأعراف أية ٢٢ (قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطبيات من الرزق) سورة الحجر أية ١٦ «وقد جعلنا في السماء بروجا وزينًاها للناظرين»

<sup>(</sup>٥) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص٤٥٠

<sup>(</sup>٦) غوستاف لويون : حضارة العرب ، ص ١٧٦

لقد بنى هذا المسجد الخليفة الأموى ، عبدالملك بن مروان وسماه الأوروبيون خطأ مسجد عمر ، وقد رصد الخليفة لإعماره خراج مصر مدة سبع سنوات (۱۰) ، وأشرف على بنائه رجاء بن حيوة ويزيد بن سلام وولداه ، وقد شرع ببنائه عام ٢٦هـ (٥٨٥م) ، وانتهى بناؤه سنة ٧٧هـ (١٩٦م) ، والجدير بالذكر انه زاد من المبلغ المرصود مائة الف دينار ، فأمر الخليفة لهما بالمبلغ جائزة ، فكتبا له : «نحن أولى أن نزيده من حلي نسائنا ، فضلا عن أموالنا ، فأصرفها في أحب الأشياء اليك» فضلا عن أموالنا ، فأصرفها في أحب الأشياء اليك»

يقع مسجد القبة فى وسط فناء واسع ، طوله من الشمال الى الجنوب ٢٢٩ ذراعا (١١٥م) وعرضه من الشرق الى الغرب ٥ ٢٢٣ ذراعا (١٩٥٥م) ، ويرتفع ٢١ قدما من الجهات الأربع (سبعة أذرع) .

وبناء المسجد ثماني الشكل ، طول كل ضلع ٩٥ر٢٠م وارتفاعه ٥٠ر٩م ، وفي كل واجهة من الاضلاع الثمانية ،

سبع نوافذ ، خمس منها يدخلها النور ، واثنتان مسدودتان ، ما عدا الأضلاع الأربع على الجهات الأربع ، ففى كل واحدة منها أربع نوافذ ، اثنتان عن يمين الباب واخرتان عن شماله ينفذ النور منها جميعيا ، وفوق كل نافذة أية قرأنية ، ويغطى الأجزاء الخارجية وعلى ارتفاع متر واحد الواح من الرخام الأبيض ، وأما الباقى فمكسو بالفسيفساء المتعددة الألوان متظهي خلاله الآيات القرأنية .

والمسجد من الداخل، مؤلف من جدران المسجد، واعمدة حاملة للقبة، يتركز عليها السقف، وهي مؤلفة من ثماني اسطوانات ملبسة بالرخام، وسنة عشر عمودا مختلفة الالوان وبين كل عمود توجد اسطوانة، ويرى فوق اقواس التثمينة الوسطى إفريز كتب عليه سورة النساء بخط كوفي النساء بخط كوفي النساء بخط كوفي المناء المناء بخط كوفي المناء المناء بخط كوفي المناء المناء

والأعمدة مثبتة جيدا ، وعلى رؤوسها تيجان ، وهى تحمل الأعمدة مع جدار المسجد وسقف القبة الكبيرة ، المرصع بفصوص الذهب ·

ويحتل الرخام القسم السفلى من الجدران ويعلوه القاشانى ، وفيه أفريز مكتوب عليه سورة ياسين (ويقال انها كتبت من زمن السلطان عبدالحميد الثاني) ·

ولمسجد قبة الصخرة اربعة ابواب مزدوجة من الخشب ، ومصفحة بالرصاص ، ويعرف الباب الشرقى بباب اسرافيل او باب داود والغربى باب القطانين والشمالى بباب الجنة والجنوبى فهو المقابل للمسجد الاقصى •

أما القبة ، فهى مستديرة قطرها ٤٤ر٢م وارتفاعها ٨٤ر٢٥م ، وتتألف من طبقتين العليا كانت من صفائح الرصاص (وعند تجديدها في العهد الاردني ١٩٦٤م استبدل الرصاص بالبرونز) • يراها الناظر من الخارج ، وطبقة أخرى من الداخل ، كتب قرب القمة أية الكرسي بماء الذهب ، ويفصل بين الطبقتين الداخلية والخارجية لباد خفيف لمنع الحرارة في الصيف خشية الحريق ، وبقع فوق الصخرة التي عرج بالنبي عليه السلام الحالساء .

والقبة رقبة ، كتب عليها من الداخل سورة طه بماء الذهب في وفي الرقبة ست عشرة نافذة من الزجاج المذهب ، وتعلو كل نافذة طبقة من الجص ومغطاة بقطع من الزجاج المختلف الألوان والأشكال .

والقبة مرفوعة على اثنى عشر عمودا من الرخام على أربعة سوارى ، وبين كل ثلاثة أعمدة سارية مربعة طول كل من أضلاعها الأربعة ثلاثة امتار وهي مكسوة بالرخام

<sup>(</sup>۱) انظر البعقوبين البلدان ، ص ۳۲۹ (خراج مصر في عهد عمر بن الخطاب السنة الأولى ۱۶ مليون ، الثانية ۱۰ مليون ، في عهد عثمان عشرة ملايين) ٠ المقريزي الخطط ، حــ۱ ، ص ۷۲ ، ۱۹ ، ۹۹ تقدر تكاليفه ۸۲ ـ ۹۸ مليون ديتار ذهبا لأن خراج مصر كان في عهد عمر بن الخطاب ۱۲ مليون ، وفي عهد عثمان ۱۶ مليونا وفي عهد سليمان بن عبدالملك ۱۲ مليونا ٠

انظر التفاصيل: الحميرى: الروض المعطار، ص ٦٩ (تحقيق احسان عباس) (٢) مجير الدين الحنبلي: الانس الجليل يتاريخ القدس والخليل، جـ ١، ص ٢٧٢، ٢٧٢

<sup>(</sup>١) انظر المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٦ ــ ١٧١ الحنبلي : الأنس الجليل ، حد ١ ، ص ٢٧٢ ـ ٢٧٢ ، عارف العارف : تاريخ أحرم القدسي ، ص ٢٩

ويعد مسجد قبة الصخرة أقدم أثر معمارى عربى اسلامى متكامل، وهو ينفرد عن غيره من المساجد بشكله الثمانى الفريده التصميم والابتكار مما يدهش المشاهد حتى اعتبر أعظم المبانى الأثرية لما فيه من زخرفة متزنة ، فقد كان ولا يزال صورة للمثل الأعلى للفن عند المسلمين (")، وتدل زخرفته على مقدار ما وصل اليه تقدم الزخرفة عند المسلمين والتى انتجتها العبقرية الاسلامية (") وذلك انعكاس لتحريم الاسلام للرسم البشرى الذى أجبر الفنانين على استخراج طراز جديده بميزات جديدة (")،

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه: هل بناء مسجد قبة الصخرة وذخرفته كان ابتكارا عربيا أصيلا لم يسبق له مثيل ؟

يرى عدد من الباحثين ان شكلها الثمانى ، وتلبيس جدرانها بالفسيفساء الذهبية ينطق بأثر الفن البيزنطى (<sup>1)</sup> ، وقد نسب شكلها لبعض الكنائس في فلسطين (<sup>3)</sup> كانت قائمة حينئذ ، بينما رأى آخرون انه مقتبس عن كاتدرائية بصرى (<sup>6)</sup> ،

ولكن أذا عدنا إلى ما كتبه مجير الدين الحنبلى نجد أن عبد الملك «وصف ما يختاره من عمارة وتكوينها للصناع على فصنعوا له وهو ببيت المقدس القبة الصغيرة وهى شرقى

قبة الصخرة التي يقال لها قبة السلسلة ، فأعجبه تكوينها ، وأمر ببنائها كهيئتها (١) » ·

ويتضح من هذه المعطيات أن التصميم جاء بناء على رغبة الخليفة وبالتالى لايمت الى الاقتباس بصلة الا اذا افترضنا أن الخليفة قد زار الكاتدرائية المثمنة أو كنيسة مثلها ، وهذا مالا نستطيع أن نجزم به بينما عرفت الزخرفة الاسلامية المثلثات والمربعات المتداخلة ،

ومن هذا المنظور يرى الباحث ان هذا التصميم الشكل الثماني عربي اسلامي صميم ، جاء انتصارا او تتويجا لتطبيق عملي لقبة السلسلة مع مراعاة مضاعفة النسب في مسجد قبة الصخرة وقد حاول عدد من الباحثين التصدى لطريقة تخطيط هذا المسجد ، وكان اشهر هؤلاء المهندس الفرنسي «ماوس (") Mauss » وقدم المتوثه بنظرية هندسية نالت استحسان عدد من علماء بحوثه بنظرية هندسية نالت استحسان عدد من علماء الآثار كريشموند (ا) وكرنسول (ا) ، الا أن هذه النظرية اعتمدت على دائرة وهمية ثم رسم مربعين متداخلين اعتمدت على دائرة وهمية ثم رسم مربعين متداخلين المحرى احمد فكرى ان الأساس كان المربعين المتداخلين اللذين احمد فكرى ان الأساس كان المربعين المتداخلين اللذين النجا مثمنا متساوى الاضلاع (ا) وهو بذلك ينكر ما توصل اليه ماوس من رسم دائرة وهمية وانما «الدائرة»

(٢) كريستي: تراث الاسلام (فصل الفنون الفرعية) ، حـ ٢ ، ص ٧(القاهرة لجنة التأليف والترجمة) ٠

```
    (۱) كريستي ، تراث الاسلام (فصل الفنون الفرعية) ، جـ ۲ ، ص ۱۹۳
    (۲) مارتن بريجز : تراث الاسلام (فصل فن العمارة) جـ ۲ ، ص ۱۹۱
```

Encyclopedia Britinnica .Vol 15 ,P480

حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، جـ ٢ ، ص ١٣٠ ، أسد رستم : الروم وصلاتهم بالعرب جـ ١ ، ٢٨٧ -

(٤) بريجز: تراث الاسلام، جـ ٢ مص ١٧٤ (فصل فن العمارة)

(ه) حتى : تاريخ سوريا ، جـ ٢ ، ص ١٢ Dussund : Surie Antique, P 110 ١٢ ص

C.Mauss: Note sur la methode prir tracer la plan de la Mosquee d'Omar revue Archeologique, zsereexil, 1888,12 21,et23630 (Y)

K.A.Creswell: Early Muslim Architecture,8019 (Y)

(٣) مجلة عالم الفكر ، ص ٢٢٦ (المجلد الحادي عشر ، العدد الأول)

(٤) مجلة عالم الفكر، ص ٣٠ (المجلد الحادي عشر، العدد الأول)

E.T.Richmond: The Dome of the Rock in Jerusalem, London 1925 (1)

أما النقوش والفسيفساء ، فقد استعمل على الاسلوب البيزنطى (\*) الذى لم يخرج أصلا عن الاطار الهلنستى من حيث الموضوعات والعناصر (\*) ، وان كان هناك عناصر متميزة يظهر فيها التأثير الساسانى وبخاصة الأجنحة المتناظرة والأشرطة المتماوجة المستعارة من تيجان الكاسرة (\*) .

لقد تحقق هذا الابداع الزخرف والفنى نتيجة الامتزاج والاختلاط والتأثر مع الأقاليم المفتوحة ، وتلبية لكتب الخليفة الى سائر الأمصار لاعمار هذا المسجد (أ) ، فقام هؤلاء الفنانون المهرة بزخرفة المسجد من الداخل والخارج بزخارف فسيفسائية متعددة العناصر ، نباتية حينا ، وهندسية بأشكال متعددة في مثلثات ومربعات ومستطيلات تتداخل وتتلاقى بتناسق رشيق حينا آخر ، ثم تم الاستفادة من الكتابة العربية فاستخدمت في الزخرفة أيضا ، وساعد الخط الكوفي الطيع في أعطاء أشكال هندسية بتشكيلات جميلة بجانب المضمون ، مما جعل الخط في هذا المسجد أحد الفنون الرئيسية فيه ولا) .

وهكذا جسد الفنانون من مختلف الأقطار عملا متكاملا في فن العمارة ، وفن التقنية الزخرفية لا مثيل له في عصره ، استخدمت فيه سائر عناصر الفنون السائدة حينئذ مجتمعة ، بعد أن طور البعض وأصاب التحسين والاضافة بما يتفق مع ذوق وثقافة العصر \* ونحن لا نغالى : إذا قلنا أن هذا المسجد كان النواة للمعترضة

الأموية الفنية ، التي قامت على الجمع والتحوير والاضافة (١) ٠

ولما كانت الحضارة ملكا للانسانية ، وان كل أمة تساهم فيها بقدر ما وصلت اليه من درجات الحضارة ، فلا عجب أن يتأثر مصممو قبة الصخرة بقبة كنيسة القيامة التي تبعد عنها مئات من الأمتار (") ، كما أثر طراز هذا المسجد على الأوروبيين كذلك ، فحاولوا بناء كنائس على طرازه ، فقد ذهب لوبون بأن هناك كنائس كثيرة بنيت في اوروبا على طرازه منها اكس لا شابل وكنيسة الهيكل (لندن) (") ،

ومما يلفت النظر عند زيارة هذا المسجد ، أن الزائر يرى ما فيه من الأعمدة والأساطين أمامه مباشرة بما في ذلك ما هو موجود في الجهة المقابلة بحيث لا يحتجب عن نظره منها شيء ، مما يدل على مقدار الفن المعماري عند من أقاموه وأشرفوا عليه ، وقد حير هذا الباحثين ، وحاولوا أن يجدوا سبب ذلك بعد مرور اثني عشر قرنا ، فوجدوا أن ذلك يعود الى وجود انحناء بسيط في دائرة دعامات القبة ، وقد وجد هذا الإنحناء كريزول ثلاث درجات ، ولولا هذا الانحاء لحجبت الأعمدة الأمامية الأخرى التي في الطرف الآخر لانها تكون واقعة على خط مستقيم واحد (۱) ،

ومناك أسئلة تطرح نفسها: ما سبب بناء هذا السجد وبهذا الاتقان والابداع ؟ ولماذا تزامن مع ثورة عبدالله بن الزبير في الحجاز ؟

The state of the s

```
(٥) جورج مارسيه : الفن الاسلامي ، ص ٤٥
```

\_ 188 \_

ر و ا ا ا ا

,

į

**ح** تر

T)T)T)

٤)

1)

۲) ۲)

٤) ٤) ٥)

٦)

V)

<sup>(</sup>١) نعمت علام: فنون الشرق الأوسط، ص ٢٢

<sup>(</sup>٧) المرجع والصفحة

<sup>(</sup>A) انظر مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، حــ ١ ، ص ٢٧٢

<sup>(</sup>٩) الجاحظ: التبصير بالتجارة ، ص ٢٦

<sup>(</sup>١) جورج مارسيه : القن الاسلامي ، ص ١٧

<sup>(</sup>٢) نعمت علام : فنون الشرق الاوسط ، ص ٤٠ -

عبدالقادر الريحاوى: العمارة العربية الاسلامية ، ص ٣٣

Cresell: The Origin of theplace of the Dome of the rock, P,27 (7)

<sup>(</sup>٤) غوستاف لويون: حضارة العرب ، ص ١٥٦

<sup>(</sup>١) عارف العارف: تاريخ الحرم القدسي ، ص ٣٩

ان أول المؤرخين الذين حاولوا ايجاد التسويغ لبناء مسجد قبة الصخرة المشرفة هو اليعقوبي (١) «ت٢٨٤»، وقد ربط بالحكم والخلافة حينئذ ، وأوجد صيغة مشتركة في التعامل بين السلطة الأموية والمجتمع ، لأن معظم العالم الاسلامي كان قد بايع عبدالله بن الزبير بالخلافة (٦٤ ـ ٧٣) ، ما عدا أقليم الاردن .

فقد قال فى كتابه «ومنع عبدالملك أهل الشام من الحج وذلك لأن ابن الزبير يأخذهم اذا حجوا بالبيعة ، فلما رأى عبدالملك ذلك منعهم من الخروج الى مكة ، فضج الناس وقالوا : تمنعنا من حج بيت الله الحرام ، وهو فرض علينا : فقال : هذا ابن شهاب الزهرى يحدثكم ان رسول الله (ﷺ) قال : (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى ، ومسجد بيت المقدس) وهو يقوم مقام المسجد الحرام ، وهذه الصخرة التى يروى ان رسول الله وضع عليها قدمه لما صعد الى السماء () ،

وعلى الرغم من أن المؤرخين المتزامنين مع اليعقوبي لم يذكروا اية اشارة لذلك بما فيهم المؤرخون الثقاة كالبلاذرى «ت٢٧٩» والدينوري و«ابن خرداذبه

ت ۲۹۰» والطبرى «ت ۳۱۰ الا أننا نجد عددا من المتأخرين الذين جاءوا بعد اليعقوبي بعدة قرون قد ذكروا ذلك ، ولعلهم قد وقعوا تحت تأثيره كالاصطخرى (¹)» «ت منتصف القرن الرابع الهجرى» و«أبن كثير (¹)» «ت ۷۷۶ والقلقشندي (۱) ت ۸۲۱هــ» وغیرهم (۱) فالي أي مدى يمكن أن تقبل رواية اليعقوبي السابقة ، وبخاصة اذا علمنا انه من أكثر المؤرخين الأوائل تعاطفا مع العلويين انطلاقا من شيعية الانتماء ، مما جعل كتابته تبدو شديدة التحامل على الأمويين احيانا (1) والمبالغة (١). احيانا اخرى وفي شدة القسوة على عبدالملك وبخاصة قوله عنه : «ولا أعلم فرعون هذا الوقت الا عبدالملك» وهذا الوصف يناقض تسمية عبدالله بن عمر له \_ قبل الخلافة «حمامة المسجد» وانه الثقة للمسلمين في العلوم الشرعية بعد الصحافة (1) وكذلك رأى الشعبي فيه «فإني ما ذاكرته حديثًا الا زادني فيه» وقول ابي الزياد «كان فقهاء المدينة اربعة : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير، قبيصة بن ذؤيب، وعبدالملك بن مروان (١)، ٠ هذا الى جانب ان الزهرى في ذلك الوقت كان طالب علم وليس براو (۱)

ويناء على ما تقدم لعلنا لا نبالغ اذا تحفظنا من رواية النبعقوبي الآنفة الذكر واعتبرناها خارجة عن الاطار المقلول ·



- (۲) علما انه لا توجد اية اشارة لدى البلاذرى (ت۲۷۹) ، او الدينورى (ت۲۸۲) ، ابن خرداذبه (ت۲۹۰) ، أو الطبرى (ت ۲۱۰) .
  - (٣) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٢٦١ (دار صادر) ٠
  - (۲) البعقوبي : تاريخ البعقوبي ، جـ ۲ ، ص ۲۱۱ (دار صادر) .
    - (٤) الاصطخرى: السالك والمالك، ص٤٤
    - (٥) ابن كثير: البداية والنهاية ، حـ٨ ، ص٢٨٠
  - (٦) القلقشندي: مأش الإنافة في معالم الخلافة ، حدا ، ص ١٢٩.
    - (١) انظر: الدميري (ت ٨٠٨): حياة الحيوان، حـ١، ص١٥٥
  - (٢) انظر نقده لحملة الحجاج لابن الزبير، حـ ٢ ، ص ٢٦٦ ـ ٢٧٧
  - (٣) انظر وصفة استباحة الجيش الاموى لمدينة الرسول ، حــ ٢ ، ص ٢٥٠ ــ ٢٥٢
    - (٤) الدميرى: حياة الحيوان: حدا ، ص ٦٥
      - (٤) اليعقوبي ، تاريخ حــ ۲۸۱ ، ص ۲۸۱
    - (٥) این الاثیر: الکامل، حدا، ۲۰ (دار صادر)
  - (٦) انظر وصِفه لاستباحة الجيش الأموى لمدينة الرسول، جـ٢، ص ٢٥٠، ٢٥٣
  - ، بايع انك عبد قن ليزيده ، ص ٢٥١ ، وختم اعناق قوم من اصحاب رسول الله ، ص ٢٧٢ ٠
    - (٧) الدورى: نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ٩٩

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: ماذا كان يرغب عبد الملك من بناء هذا المسجد ؟ فهل انطلق في بنائه نتيجة خشيته على المسلمين من اعجابهم بكنائس المدينة وفخامتها (') ؟ أم انه رغب أن يخلد ذكرى الاسراء (') والمعراج ببناء مسجد فوق الصخرة المقدسة التي يقطع الدهود (') منها الحجارة ؟

لاشك انه قد وقع تحت تأثير عدد من العوامل لعل منها مكانة المدينة وقدسية المكان المنطلق من الدين

تصميما وزخرفة ليكون مزارا يستقطب المسلمين كافة باعتباره أحد الأماكن التى تشد اليها الرحال ومسجد عبدالملك لليوم ليوم أسير ويستنجد همم العرب والمسلمين لتخليصه من براثن الصهيونية وعسى أن يكون ذلك قريبا و

الحنيف ، فأراد ان يبنى مسجدا يفوق كنائس المدينة



(١) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٥٩ ، ١٧٠

(٢) احمد فكرى : مجابة عالم الفكر ، ص ٢١ (المجلد الحادى عشر ، العدد الأول)

(٣) يرجِز: تراث الاسلام، حــ ٢، ص ١٣١ وقصل فن العمارة، ٠

(٢) يبير و المنظم المستحين واليهود على المسلم على السواء ، وأن المسلمين والمستحيين واليهود على السواء ، وأن يكن هذا البناء حافزا المستحين واليهود على السواء ، وأن يكن هذا البناء حافزا المستحين واليهود الدخول في الاسلام ٠

وهذه الافتراضات مرفوضة لأنها غير قاطعة

Ileg Grabar: The Umayyad Dom of the Rock in Jerusalem, Vo. 12 P. 83 - 92.

#### المصادر

```
ابن الاثير: على بن ابي الكرم بن محمد (توف سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)
                                                الكامل في التاريخ ٠
                          بيروت : دار الكتاب العربي ، سنة ١٩٦٧م ٠
الاصطخرى: ابراهيم بن محمد (توفى في النصف الاول من القرن الرابع الهجري)
                             المسالك والممالك (تحقيق محمد عبدالعال)
                     القاهرة : وزارة الثقافة والارشاد ، سنة ١٩٦١م ٠
          ابن بطرطة : ابرعبدالله محمد بن عبدالله بن محمد ابراهيم الطنجى ٠
                                                 رحلة بن بطوطة ١
                                 بيروت : دار التراث ، سنة ١٩٦٣م ٠
                           الجاحظ: عمرو بن بحر (توفي سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م)
                   التبصير بالتجارة (تصحيح حسن حسني عبدالوهاب)
                       القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٧ز سنة ١٩٣٥م إ
                           الحميرى: محمد بن عبدالمنعم (توفى سنة ١٠٠هـ)
           الروض المعطار في خبر الاقطار (تحقيق د ١٠ احسان عباس)
                  بيروت : مؤسسة ناصر للثقافة ، ط٢ ، سنة ١٩٨٠م ٠
                                    الحنبلي : مجير الدين (توفي سنة ٩٢٨هـ)
                               الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل
                          عمان : مكتبة المحتسب ، سنة ١٩٧٣م 🕶
                                  الدياتين : كمال الدين (توفى سنة ١٨٠١هــ)
                                            حياة الحيوان الكبرى
                               القاهرة: المكتبة الاسلامية، سنة بلا
                     القلقشندى : احمد بن عبدالله (توفى سنة ٨٣١هـ/١٤١٨م)
                مأثر الأناقة في معالم الخلافة (تحقيق عبدالستار فراج)
                             الكويت : وزارة الارشاد ، سنة ١٩٦٤م ٠
                   ابن كثير: عماد الدين اسماعيل (توفي سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
                                                  البداية والنهاية ٠
                              بيروت : مكتبة المعارف ، سنة ١٩٦٦م •
    المقدسي : شمس الدين ابوعبدالله محمد بن أحمد أبوبكر (توفي سنة ٣٧٥هــ)
                  أحسن التقاسيم في معرقة الاقاليم (تحقيق دى جوج)
                                        بریل: لیدن سنة ۱۹۰۱م •
                       المقريزى: تقى الدين احمد بن على (توفى سنة ١٤٥هـ)
                        الخطط (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)
           اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن جعفر (توفى سنة ٢٨٤هـ/١٩٩٨م)
                              ١ ــ البلدان ٠ بريل : ليدن سنة ١٨٩٢م
               ۲ ـ تاريخ اليعقوبي ٠ بيروت : دار صادر سنة ١٩٦٠م ٠
```

#### المراجع

```
ترجمة: زكى محمد حسن 🥶
                                القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٦م ٠
                                               حتى ، فيليب : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ٠
                                                       ترجمة : د ٠ كمال اليازجي ٠
                                                  بيوت : دار الثقافة سنة ١٩٥٩م ٠
                                          الدوري ، عبدالعزيز : نشأة علم التاريخ عند العرب ٠
                                            بيروت : المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٦٠م ·
                                            الريحاوى ، عبدالقادر : العمارة العربية الاسلامية •
                                       دمشق : وزارة الثقافة والارشاد سنة ١٩٧٩م ٠
K.A.C reswell: E arly Muslims Architecture. Beirut: Librairie Qu Liban. 1968
                                                     العارف ، عارف : تاريخ الحرم القدسي ٠
                                   القدس : مطبعة دار الايتام الاسلامية سنة ١٩٤٧م،
                                             علام ، نعمت : فنون الشرق الاوسط ·
القاهرة : دار المعارف ط ٢ سنة ١٩٧٧|م
                                      ترجمة زكى محمد حسن
                               القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشو بسنة ١٩٨٨٦٠٠
                      E.T.Richmond: The Dome Of The Rock In Gerusalem. London, 1925.
                                                         لوبون ، غوستاف : حضارة العرب ٠
                                                              ترجمة عادل زعيتر
                                     القاهرة : مصطفى الحلبي ، ط٤ ، سنة ١٩٦٤م ٠
                                                          مارسيه ، جورج : القن الاسلامي ٠
                                                         ترجمة د ٠ عفيف بهنسي ٠
                                              دمشق : وزارة الثقافة ، سنة ١٩٦٨م •
```

بريجز «مارتن»: تراث الاسلام (فصل فن العمارة)

# الدعاية قديما وحديثا - مع التركيز على العراق ـ

الدكتور خالد حبيب الراوى كلية الآداب/ جامعة بغداد

#### مقدمة

تعمق الانتباه على الدعاية باعتبارها سلاحا مستقلاً وخصوصا اثناء الحروب ، فقد تبدت تأثيراتها الواضحة في العصر الحديث اثناء الحرب العالمية الاولى وما بعدها ، سيما في فترة تهيؤ هتلر لاستلام السلطة في المانيا وبعد استلامه لها ، على الرغم من انه الدعاية كانت معروفة في الفترات السابقة ، لكنها لم تكن منظمة وذات تأثيرات واسعة على الجمهور الا بعد انتشار وامتداد النفوذ النازى في المانيا والفاشي في ايطاليا وسنعرض في هذا البحث الى تطور الدعاية منذ الزمن الغابر وحتى الوقت الحاضر مركزين على الدعاية في العراق .

ونجد انه من المفيد ان نرى جذور كلمة الدعاية في اللغة العربية ، فقد جاء في اساس البلاغة للزمخشرى أ دعوت فلانا وبفلان اى ناديته وصحت به ٠٠ والنبى داعي الله ، وهم دعاة الحق ٠

وَيَهِ فَ المنجد : دعا دعاءً ودعوى : ناداه/رغب الله/ استعاثه والداعى من يدعو الناس الى دينه أو مذهبه ، والدعاية عند المحدثين : نشر الدعوة لشخص أو الحزب أو المبدأ أو غير ذلك ·

وجاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي ، أن الداعى تطلق على المؤذن والمداعاة هي المحاجاة ·

والدعاية ترجمة لكلمة Propagandaوهى اصطلاح لاتينى ، والكلمة مشتقة اصلا من الفعل Propagare الذي يعنى (تكثير النبات بزرع الاقلام) وقد تطور المصطلح في عهد الكنيسة الرومانية الكاثوليكية واكتسب معناه الجديد الذي يجسد نشر وبث الاخبار والمعلومات

### الدعاية تاريخيا

ثمة رأى يقول بأن الدعاية قديمة جدا قدم السياسة نفسها ، ويشير اصحاب الرأى الى انه قد كانت هناك

رموز واشارات ذات دلالات دعائية ظهرت عبر مئات والمؤف السنوات مثل ملابس الجنود والموسيقى المصاحبة لهم، ولم تكن هذه الرموز والاشارات مقتصرة على الحضارات المعروفة بل كانت معروفة بين القبائل البدائية وحتى المتوحشة (۲) •

وهناك جملة اشارات في ادبيات الدعاية نحر استخداماتها في العراق القديم ، فيذكر انه عثر في مدينة نينوى عاصمة دولة أشور على ما يمكن تسميته بـ(مطبوعات الجيش) وذلك من خلال المنشورات والتقارير المحفوظة في الالواح الطينية المفخورة وقد ألقت تلك المنشورات ضوءا على عصر الملك أشور بانيبال وغزوه لمصر كما عددت تقاصيل الحروب الأشورية واساليبها(۱) •

وبالا مراء، يمكن التعويل على كثير من الوثائق السمارية التي حفلت باخبار المنازعات والصراعات بين العيلاميين وبين الآشوريين ليستدل على ان العيلاميين والاقوام الاخرى التي استوطنت المناطق الشرقية والشمالية الشرقية المتاخمة للعراق هم على حد كبير من التهور والجحود، فقد كانوا ينهلون من معين التراث التقاف ويقتبسون اسس المقومات الحضارية لوادى الراقدين لكنهم كانوا يتحينون الفرص لشن الهجمات

المستمرة على العراق بالرغم من كل الويلات التي لحقت بهم جراء اعتداءاتهم (١٠)٠٠

لقد كانت بابل معرضة لهجمات عيلام ، وكانت احدى ترانيم التوبة ما بين ٦٢٦ و٦٣٩ قبل الميلاد تذكر :

«في البلاد خلاف ، وفي القصر نزاع ، لا تترك جانبي التمرد والتآمر الشرير يخطط ضدى دائما() ·

وكان كورش مشغولا بحرب الدعاية في الامبراطورية البابلية ، ويذكر أن كورش كان قد تحالف مع اليهود الذين سباهم نبوخذ نصر وقد ساعدوه بالتجسس والمعلومات وكذلك من خلال التسرب الى اجهزة الحكم ، ثم قاموا بتخريب الاجهزة التي تسربوا اليها ، وبذلك اعانوا كورش على احتلال بابل (١٠ ويذهب أكثر من كاتب الى تأكيد هذا الرأى ، حيث لم تكن الاسباب الحقيقية التي ادت إلى انهيار بابل هي ضعف دفاعاتها فحسب بل وجود (رتل خامس) في داخل المدينة (١٠ وقد وجدت دعاية كورش ارضا خصبة بين المواطنين عندما غيروا ولاءهم الى الملك الغارسي .

ومن الغرائب الكبرى في التاريخ ، أن قمبيز ابن كورش الأصغر قدم الخضوع للآلهة في عيد رأس السنة الجديدة في بابل حيث استلمت السلالة المنصب من الألة مردوخ ، وبذلك مارست الملكية على بابل ليس بمقتظى الفتح فحسب بل بدعوة مقدسة ايضا (!!) (٨) ، وهو نفس ما تسعى اليه ، في الوقت الحاضر ، الفئة الحاكمة في ايران .

وعلى كل حال ، فان التاريخ حافل بشواهد كثيرة على الهمية استخدام الدعاية في اوقات الحروب خاصة ، ولعل أما كتبه كوتيليا في كتابه صناعة الحكم في الهند القديمة يلخص صورة استخدام الدعاية في الازمنة الغابرة والتي تتلخص في أن على المنجمين وأتباع الملك الآخرين أن يلهبوا معنويات الجنود بتوضيع الطبيعة المنيعة لطوابير جيش الملك ، وأن على العملاء السريين أن يبثوا أو ينشروا في صفوف العدو أتساعات هزيمتهم المحتمة (أ) وصفوف العدو أتساعات هزيمتهم المحتمة (أ)

### الاسلام والدعاية

لعل الافق الأرحب لاستخدام الدعاية باعتبارها نشراً للأفكار والمبادىء والآراء في عصر الاسلام كان يتجسد في (الدعوة) للدين الجديد ونشره والحث والحض على اتباعه والنهى عن الإرتداد عليه او مخالفة احكامه واوامره، وقد حفلت الكثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية بما يجسد الدعوة للدين ونصره ودحر من يقف امامه وبذا، فقد كان للتحريض السهم الاوفر في تجميع الناس حول الاسلام ورفع روحهم المعنوية الى اعلى درجة

من خلال تعميق ارتباطهم بالمعانى السامية للمبادىء التى تدفعهم الى الجهاد والاستشهاد في سبيل الدين وكانت آيات القرآن واحاديث الرسول تعزز الروح المعنوية للمؤمنين(۱۰) •

ومن الآیات التی تتضمن تحریضا للمسلمین وتعزیزا لروحهم المعنویة: (یا ایها النبی حرّض المؤمنین علی القتال ان یکن منکم عشرون صابرون یغلبوا مائتین وان یکن منکم مائة یغلبوا ألفا من الذین کفروا) \*

و(ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن الهم الجنة يقاتلون ف سبيل الله)(١٠٠٠ ٠

(ولا تحسين الذين قتلوا ف سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون) (١٠) ٠

(وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ٠
 درجات منه ومغفرة ورحمة)(١٣) ٠

(يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم)(١٠)

وفى الواقع ان أيات القرآن ذات العلاقة بالموضوع كثيرة ، كذلك فان الاحاديث النبوية بهذا الصدد هي ايضا عديدة ، ومنها :

(من شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة) -

(الجنة تحت ظلال السيوف)

وقال الرسول حين سئل عن خير الناس منزلة ، فقال رجل ممسك برأس فرسه في سبيل الله حتى يموت أو يقتل)(١٠٠) ٠

وقال الرسول عندما انتصر الشيبانيون في واقعة ذي قار \_ اليوم انتصف العرب من العجم وبي نصروا \_ ولم تكن هناك بعد وشائج (اسلامية) تربط بين عرب ذي قار وعرب الجزيرة (١١) لكنها الروح العربية ·

وعندما تم تحرير العراق من الفرس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، اصبح العراق عربيا وانتهت احلام ايران بتفريس هذا القطر العربي .

وقد عبر رستم في معركة القادسية عن حقده على عمر (اكل عمر كبدى ، احرق الله كبده ، علّم هؤلاء علموا) وحقده هذا هو نفس الحقد الفارسي الذي امتد في احقاب التاريخ واخذ صورا متعددة لتدمير السطوة العربية والنهوض العربي وقد عبر ابو لؤلؤة الفارسي عندما ضرب عمر عن حقده الفارسي بقوله (أكل عمر كبدى)

ويبدو ان الخليفة العربى كان يعرف بعمق مدى لؤم وحقد الفرس حتى انه قال (وددت لو ان بيننا وبين فارس جبلا من نار فلا يعلون الينا ولا نصل اليهم)(۱۷۰

وينبري الامام على (رضى الله عنه) في السنة السادسة والثلاثين في ذي قار قائلا:

(يا اهل الكوفة انتم وليتم شوكة العجم وملوكهم وفضضتم جموعهم حتى صارت اليكم مواريثهم واغنيتم حوزتكم واعنتم الناس على عدوهم)(١٨)

والشعر والنثر العربي مليئان بالشواهد الكثيرة على قوة الكلمة وفعلها التحريضي والتثويري لدى الناس ٠٠ وقد تكون المبالغة التي يعرض فيها شاعر قوة قبيلته او الجانب الذي ينتمي اليه مسئلة قد تستهجن او يسخر منها في الوقت الحاضر ، لكنها كانت ذات مفعول سحرى في تلك الايام ولعل الابيات الشهيرة لعمرو بن كلثوم تمثل النموذج الذي ذكرناه:

ملأنا البر حتى ضاق عنا وظهر البحر نملوه سفينا لنا السدنيا ومن اضحى عليها وببطش قادرينا اذا بلغ الرضيع لنا فطاما تخر له الجبابرة ساجدينا ويلخص ودّاك بن ثميل المازني مفعول نداء النخوة عند العرب:

اذا استنجدوا لم يسالوا من دعاهم لأية حرب أم بأى مكان وعلى اية حال ، فقد بقى للدعاية تأثيرها الكبير على المواطن العربى في جميع العصور سواء في اوقات الحروب الناء فرض الحصارات على المدن المحصارات المحصارات على المدن المحصارات على المدن المحصارات على المدن المحصارات ال

وقد استخدمت الدعاية للمرة الاولى ويشكل رسمَى عندما انشأ البابا جورج التاسع ، وبعد الاصلاح الدينى في عام ١٦٢٢ الجمعية المقدسة للدعاية والتبشير في الخرج ، وفي عام ١٨٤٢ وجد التحديد التالى للدعاية في احد القواميس(١٠): «نشر الافكار والمبادىء بطريقة سرية والتي يمكن أن تجعل معظم الحكومات تتعامل معها برعب ومقت شديد» .

وحقا ، فان الدعاية المخططة التي تهدف الى التأثير على العقول والعواطف وعلى افعال مجاميع معينة لها جذورها في التاريخ ٠٠ فقد اتبع الصليبيون في العصور الوسطى دعاية منظمة مخططة لاجتذاب المسيحيين الى الحملات الصليبية وكان جنكيزخان يعتمد على الدعاية التي تسبق غزواته وهجماته في تضخيم سمعة قواته لتسهيل انتصاراته ٠٠ وقد ادخلت الطباعة معها عهدا جديدا للدعاية باستخدام الكلمة المكتوبة والواسعة الانتشار ٠

وقدمت الثورة الفرنسية دروسا مهمة في دراسة الجموع لاغراض الدعاية • وقد كتب گوستاف لويون في كتابه ما الحشد مجموعة من الافكار الاساسية لاستعمال الدعاية في الحشود والتجمعات • ١٠٠٠ •

#### الدعاية في القرن العشرين:

ولابد من الاعتراف ، ان الدعاية لا ترافق الحالات السياسية فحسب ، بل ترافق الحالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كذلك ، وفي جميع العصور وفي مختلف الظروف .

وفي مطلع القرن العشرين، وفي القطر العراقي بالذات كانت الدعايات، والاتساعات بشكل اخص، تنتشر سريعا بين مختلف طبقات الشعب وفي مناطق مختلفة، ولمعل من اهم الاسباب التي كانت تساعد على انتشار الدعاية هو هبوب رياح التغيير واستشعار الجماهير بالتغييرات التي تلوح في الافق ٠٠ وفعلا فقد شهدت بدايات القرن العشرين تغييرات كبرى المت بالقطر العراقي وتتلخص فيما يلى:

١ ـ زوال الحكم العثماني الذي كان مهيمنا على العراق
 مئات من السنين •

٢ \_ قيام الاحتلال البريطاني ١

٣ ـ تأسيس الحكم الوطني ٠

وقد شهد العراق اثناء الصراع التركى ـ البريطانى مراعات اعلامية ودعائية بين الطرفين كانت تهدف الى كيسب المواطنين العراقيين من خلال تشويه كل طرف للطرف الآخر \* ويذكر ان اتساعات كانت تدبر من قبل السلطان التركية وان احداها انتشرت بين سكان مدينة البصرة ومفادها ان قوات الجيش العثمانى أوشكت على يخول البصرة منتصرة ، وهرع جمع من المواطنين يخول البصرة مانزير ، ولكن الناس اكتشفوا ان الجنود المنتصرين الذي كانوا ينتظرونهم ماهم الا اسرى اتراك ، فخاب املهم وارتفع عويل النساء(\*\*) .

وظلت بريطانيا تسعى الى تحسين علاقاتها مع الشعب العراقى اثناء الاحتلال وبعد الاحتلال ، ولكن يبدو ان نشاط الجماعات التى بقيت لها علاقات ولائية مع الاتراك او من الوطنيين العراقيين لم يتوقف فى بث دعاياته ضد البريطانيين ، وقد اشارت جريدة المانجستر كارديان الى تجدد الاتساعات التى تجد لها سوقا رائجة فى المقاهى عن هجمات الاتراك وانتصاراتهم وقرب احتلالهم للموصل ، وذكرت الجريدة انه حكم على ثلاثة من الوكلاء الاتراك لبتهم الدعوة الى اعادة الحكم التركى الى العراق ، وقد حكم على واحد منهم بالحبس الشديد لمدة سنة لنشر الدعوة بأن مصطفى كمال سيحتل العراق ويقتل جميع الموظفين (۱۳) .

وقد شهد العالم ، ولاول مرة في تاريخه ، هدير آلات الدعاية النازية عند ظهور نجم هتلر في بداية الثلاثينات من هذا القرن بشكل مركز ومنظم لم يكن معروفا بهذا الشكل والحجم من قبل .

وكانت استراتيجية هتلر تقوم على الحصول على التأييد من قبل جميع السكان وليس الناخبين فقط ٠٠ وكانت الدعاية النازية تخاطب العواطف وبلا سبب وتتجنب النقاشات ٠٠ وكانت نظريات گوبلز في الدعاية غاية في الدقة ـ وقد اعتبر ان الدعاية ينبغى ان تكون مخططة وتقاد من قبل سلطة واحدة ٠

والدعاية في منظور كوبلز ليست بالضرورة ان تكون صادقة ، بل ينبغى ان تكون معقولة وتحتاج الى بعض المعلومات المحددة كأساس لها ، وليس مهما بقدر ما يجب أن تحث مصالح الجمهور ، حقا ان الدعاية بمعناها الحديث ، بالنسبة لمعظم سكان اوروبا اخذت مداها مع بروز هتلر ٠٠ ولم تفقد الدعاية النازية تأثيرها الا عندما هزمت المانيا ٠

وقد ادرك هتلر خطورة استعمال جهاز الراديو باعتباره ينتقل الى ابعد المناطق ويصل الى اوسع عدد من الجماهير فى الدعاية ، وكتب هتلر عن الراديو فى كتابه كفاحى Mein Kampf انه سلاح رهيب بأيدى اولئك الذين يعرفون كيف يستخدمونه \_ وقال كوبلز فى افتتاح معرض راديو برلين عام ١٩٣٣ ان الراديو فى القرن العشرين سيلعب الدور الذى لعبته الصحافة فى القرن التاسيخ

قد قبل ان گوبلز لو بقى حيا لرحب باستخدام التلفزيون في الدعاية (٢٠) ٠

وكانت الدعاية الألمانية ذات تأثير واضح في الخديد كن مناطق العالم قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية ومن هذه للناطق كان العراق -

وقد خول گوبلز وزیر الدعایة النازی الدکتور گرویا الدبلوماسی الالمانی ببث الدعایة فی العراق کما یقول احد الکتاب (۲۲) ۰

وقامت ايطاليا بانشاء اول محطة اذاعة تنطق باللغة العربية موجهة من خارج الوطن العربي ، وكان الهدف منها هو بث الدعاية الثقافية الايطالية بغية زيادة النفوذ الايطالي في الشرق الاوسط وتقوية العلاقات بين ايطاليا وبين المواطنين العرب ،

وكان الراديو واسطة مثالية لنشر الدعاية وبثها فى منطقة تكون فيها نسبة الأمية عالية سيما وان الايطاليين وزعوا اجهزة راديو بأسعار رخيصة للمواطنين العرب وذكر تقرير بريطانى فى عام ١٩٣٥ ان الاخبار اصبحت تزداد شعبيتها فى المقاهى العربية وان القرويين اصبحوا يأتون بانتظام فى الأماسي الى يافا للاستماع الى الراديو(٢٠٠٠)

وقد علق احد المراقبين على انتشار نفوذ الاذاعة الايطالية على المستمعين العرب بأنهم كانوا مع كل رشفة قهوة يكونون ويبتلعون الدعاية الايطالية ·

ثم راحت اذاعة باري الايطالية تهاجم السياسة البريطانية وتروج للفاشية الايطالية ·

وبدأت الاذاعة العربية بثها من المانيا في ٧ نيسان ٥ وبدأت ١٩٣٩ ٠

وكانت مجموعة اخرى من الدول قد بدأت بثها باللغة العربية وعلى رأسها بريطانيا وكان من تلك الدول تركيا ، ايران ، اسبانيا ، فرنسا ، الولايات المتحدة ، الهند ، اليابان ، الصين ، والاتحاد السوفيتي ، وكانت صعوبات استلام البث بالنسبة لمحطات الولايات المتحدة ، الهند ، اليابان ، ايران ، فرنسا واسبانيا قد ادت الى قلة الاستماع الى هذه المحطات وبالتالى الى عدم وجود تأثير لها في الشرق الاوسط(۱۲) .

لقد كانت ألبي بي سي البريطانية دائبة العناية بمستوياتها الاداعية قبل الحرب العالمية ، ولكن العالم الذى هزت اسسه الحرب صارت فيه السياسة والدعاية هما العصب والدم بالنسبة للاذاعة وقد استخدم البريطانيون في الشرق الاوسط المحطات القوية في القدس ودلهي وعدن ، ومحطات الحلفاء في القاهرة وانقرة (٢٠٠٠) •

وقد اعطى المتحاربون اهمية خاصة لمنطقة الشرق الاوسطون فقد كانت حالة السلام تعنى بالنسبة للبريطانيين والحلفاء في المنطقة استمرار تزويدهم بالكميات الضرورية من البترول لاستمرارهم بالحرب واختصار لآلاف الاميال نحو الهند والصين والمحيط الباسفيكي •

ومن المكن القول ان الراديو كان هو الوسيلة الاساسية للدعاية بالنسبة للكتلتين المتحاربتين في الحرب العالمية الثانية(٢٠٠) •

هذا على الرغم من ان القاذفات الامريكية والبريطانية قامت برمى حوالى 7 بليون قطعة من الدعاية والمعلومات على اوروبا ، بين ايلول ١٩٣٩ ونهاية الحرب ، وقد قامت مجاميع مختلفة من الوكالات المدنية والعسكرية بانتاج تلك النشرات التى كانت ذات اغراض متعددة ، فبعضها كان يقوى معنويات المدنيين تحت الاحتلال الالمانى ، وبعضها كان يحرض على المقاومة او يزعزع معنويات الالمان ، وقد طورت القوات الجوية الامريكية في عام ١٩٤٤ قنبلة المناشير ، وكانت كل طائرة قاذفة تحمل ١٢ قنبلة وتحتوى كل واحدة منها على ٨٠ الف منشور وكانت المناشير تصل الى ٧ او ٨ مناطق فى كل غارة ، وخلال

٣١٩ عملية ليلية تم اسقاط بليون ونصف البليون منشور فوق المانيا ، النرويج الدانمارك ، فرنسا ، بلجيكا وهولندا(٢٠) ،

واثر التمحور الدولى حول القطبين العائمين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى واحتدام الحرب الباردة التى هى صورة لحرب الدعاية ظهرت العديد من الوسائل والاساليب الجديدة المستخدمة من قبل الاطراف ذات العلاقة ٠

ويعتبر راديو اوروبا الحرة وراديو الحرية من ابناء الحرب الباردة ، وقد بدأ راديو اوروبا الحرة بثه في ٤ تموز ١٩٥٠ متوجها الى ما وراء الستار الحديدى اى الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ولا تزال هاتان المحطتان تبثان حتى اليوم(١٦) .

وبالمقابل ، فان الدعاية الشيوعية لا يمكن ان تفهم بمعزل عن الاهداف العامة والاستراتيجية للشيوعية العالمية ٠٠ فمعروف ان هدف الشيوعية هو الإطاحة بالرأسمالية وتأسيس نظام شيوعى عالمي ٠

وقد اعتبر الشيوعيون الدعاية والتحريض والحرب الايدلوجية اسلحة في عملهم السياسي ·

واعطى جورج بليخانوف الذى اسس اول حزب ماركسى في روسيا عام ١٨٨٣ اهمية كبرى للدعاية وفرق لشخص او بضعة اشخاص وبين الدعاية كاثارة للجماهير وتحريض لهم وهى التى تخدم وتعرض فكرة او بضعة افكار قليلة لعدد كبير من الناس - وقد اصبح رجل الدعاية يتعامل اساسا مع الكلمة المكتوبة في حين يتعامل الداعية او المحرض مع الكلمة المنطوقة (٢٠) ،

أقد استخدم الشيوعيون في نشاطاتهم الاعلامية مجفوعات ليست ممنوعة قانونا من ممارسة نشاطها ، ففي بيوت مثلا كانت صناعات النشر والتي تدار من قبل مجاميع جبهوية او من انصار السلام تطبع الكتب والمطبوعات الناطقة او المؤيدة لوجهة النظر الشيوعية ٠٠ وقد كانت حصيلة ذلك النشاط في العراق وحده عام وقد كانت حصيلة ذلك النشاط في العراق وحده عام 190٤ بيع ٢٠٠٠٠ نسخة من الكتب والمطبوعات الشيوعية ٠٠ الشيوعية ٠٠ الشيوعية ٠٠ الشيوعية ٠٠ الشيوعية ٠٠ الشيوعية ٠٠ الشيوعية

وقد كانت المطبوعات الشيوعية المستوردة منها والمحلية تغرق المنطقة وكانت الكتيبات والصحف الشيوعية توزع مجانا وتباع الكتب بأسعار زهيدة (١٠) وبالتأكيد فان الغربيين كانوا يمارسون نفس السياسة في المنطقة وكانت تدعمهم أجراءات السلطات المحلية التي كانت تواليهم ٠

وكانت بعض حصائل الحرب الباردة فى منطقة الشرق الاوسط والتى كشفت فيما بعد ، ان البريطانيين كانت لديهم دائرة سرية للبحث الإعلامي ، اعلنت ذلك جريدة

الاوبزرفر، وكان من نشاطات دائرة البحث الاعلامى قيامها بانشاء وكالة الانباء العربية عام ١٩٥١، وذكرت الصحيفة انه خلال ايام الحرب الباردة كان يجرى اعداد مئات المقالات والنصوص الفكاهية التى كانت توزع على الصحف الاجنبية بالاضافة الى اعمال ادبية منها رواية اوريل – مزرعة الحيوان – ورواية كوستلر – ظلام ف الظهيرة،

وجاء في الصحيفة انه في عام ١٩٥١ كان التركيزيتم على اقناع العرب بأن الشيوعية هي ضد الاسلام وقد قامت وزارة الخارجية البريطانية باتلاف المواد التي تم نشرها وتوزيعها بواسطة عملياتها الدعائية المناهضة للشيوعية خلال ايام الحرب الباردة ولم تكشف عن المعلومات رغم مرور السنوات المحددة لكشف المعلومات في بريطانيا(٢٠) و

وقد حاولت دار النشر المعروفة بنكوبن ان تقدم تعريفا للدعاية في قاموسها السياسي الذي اصدرته عام ١٩٥٧ اذ وصفتها بأنها تعبيرات عن السياسة او وقائع ذات طبيعة سياسية عادة ، هدفها الحقيقي يختلف عن هدفها الظاهري .

وَجُرِى تطوير ذلك التعريف ليكون تعبيرا بواسطة حكومة أو حزب سياسي ويصمم للتأثير على الجمهور بدلا من الوصاول إلى الحقيقة أو يقود إلى التفاهم بين الحكومات المختلفة أو الاحزاب المتعارضة في السنوات التي شهدت ظهور الثورات القومية والوطنية في الوطن التعريف/ويمو الحركات الثورية ، أصبح للدعاية دورها المؤثر في علاقات القوى والانظمة العربية فيما بينها من جهة ومع القوى والانظمة الاجنبية من جهة أخرى وصار لكل طرف جهازه الدعائي المدرب الذي يعتمد على افكار ومبادىء الجهة التي يمثلها و

واثر ثورة ۱۷ - ۳۰ تموز ۱۹۲۸ ووضوح مسيرتها الأيديولوجية ، قامت العديد من الجهات العربية والاجنبية الرجعية والعميلة بشن حملات دعائية متواصلة ومركزة على الثورة بهدف عرقلة مسيرتها وانهاء دورها الثورى وكان قمة العدوان الذى تعرض له القطر العراقى هو فى قيام ايران بشن حرب شاملة فى 3/9/9/1 حيث جندت الامبريالية والصهيرنية طاقاتها بجانب الايرانيين ضد العراق ، ورافقت تلك الحرب الضروس حرب دعائية ضارية ، استطاع العراق ان يبددها ويلغى تأثيراتها 9/9/9/1

وعلى الصعيد العالمي ، فان الصراع الاعلامي بين الدولتين العظميين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي هدفه هو ممارسة الضغوط على الطرف الآخر(٢٠٠) -

ولا تقف احدى الدولتين عند حدودها الخاصة لتوجيه دعايتها ضد الدولة الاخرى فنراها تمد مساعداتها وخبراتها لكافة الدول او التنظيمات او التجمعات التي يمكن ان تسهم في اثارة الحرب الاعلامية ضد الدولة العظمي الاخرى العظمية العظمية

وعلى سبيل المثال فان الولايات المتحدة تقوم بتمويل ما يسمى بحملة علاقات عامة (للمجاهدين الافغان) لمساعدتهم على ابراز قضيتهم للرأى العام العالمي وخصص الكونغرس الامريكي في هذا الاطار نصف مليون دولار لبرنامج يتضمن ضمن ما يتضمنه توظيف خبراء وتدريب صحفيين من الافغانيين لاستخدام اجهزة وتزويدهم بكاميرات لابراز قضيتهم ١٠٠ ان الهدف من الحملة او البرنامج هو تسهيل عملية جمع وتطوير وتوزيع الصور والروايات المؤثرة عن تطورات الوضع في افغانستان واستخدامها في الظروف المناسبة ١٠٠

وفي الجانب الآخر تقف الحملات الدعائية الافغانية والسوفياتية لتواجه الحملات الدعائية الامريكية والغربية (۱۲) •

وكُذلك الحال بالنسبة لقيام الولايات المتحدة بانشاء محطة اذاعة (مارتى) المرجهة ضد كوبا ودعمها لها ان الدعاية في النهاية ، طريقة منظمة لايصال المعلومات الى الرأى العام وهي تتخذ صورا مختلفة ومع ارتفاع تكاليف الحرب الحقيقية والمواجهة بين القوتين الكبيرتين فان حرب الكلمات هي الحرب المشرعة فعلا بين الاطراف القوية ، ان وكالة الاستخبارات الامريكية تقدر بأن الميزانية السوفيتية المخصصة أي للدعاية الدولية تزيد عن ثلاثة بلايين دولار كل عام (١٨٠٠) .

وبالمقابل فان الميزانية الامريكية المخصصة للدعاية ضخمة ايضا ، وتجند ادارة الرئيس الامريكي ما يزيد عن ٩٣٠٠ موظف يعملون في وكالة المعلومات الامريكية ، يساعدهم في ذلك جيش من الوكالات الحكومية الاخرى ، تزيد ميزانياتهم عن اربعة مليارات دولار ٠

ويوميا تتداخل اصوات الموجات القصيرة الاذاعية حيث يحاول كل طرف أن يوضح وجهة نظره ويشوه وجهة الطرف الآخر(٢٠)٠

وف حرب الدعاية الطاحنة فان التكنولوجيا الحديثة تصبح واسطة مفضلة من كل الاطراف للوصول الى ابعد المسافات والى اكبر عدد من البشر ·

#### خاتمة

اصبحت الدعاية ، او بمعنى اصوب حرب الكلمات ، من الفنون الدقيقة وذات التأثيرات الخطيرة على شعوب الارض جميعها ·

وفى الواقع بدأت الدعاية تكتسب اهميتها عندما وصف لينين الكلمات بأنها اسلحة فى ثورة ١٩١٧ وطورت مفاهيمها فيما بعد فى المانيا النازية ·

ان الدعاية لا تعنى بشكل مستمر انها تقوم بتحريف الحقائق وتشويهها بقدر ما تقوم احيانا بنشر الحقائق للدعم وجهة نظر او قضية معينة ٠٠ وكما تخلص احدى الدراسات (١٠) فانه سواء كانت دعاية القوتين العظميين تستند الى الحقيقة ، او الى الاكاذيب ، فان هدفها هو دعم استراتيجية معينة ٠

19 John C. Clews, Communist propaganda, Methuen and Co. Ltd, London, 1764,P.3

۲۰ ــ المصدر السابق ــ ص ۷

- ۲۱ ـ هادى طعمه ، الاحتلال البريطاني والصحافة العراقية ، دراسة في الحملة الدعائية البريطانية 1918 ـ وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، 1948 ، ص ١٤٠
- ۲۲ ـ د · فاضل حسين ، دراسة في الدبلوماسية العراقية ـ الانكليزية التركية ، في الرأى العام ، بغداد ، ۱۹۷۷ ، ص ۲۳۲ ـ ۲۳۷
- 23 Julian Hale, Radio Power propaganda and International Broadcasting, 1975, Paul Elek, London, Q.1
  24 Vernon Mackenzie, Here Lies Goebbels, 1940, Michael Joseph Ltd, London, P.196
- 25 Callum A. Macdonald, Radio Bari Italian Wireless Propaganda in the Middle East and British Countermeasures 1934-38, Middle East Studies, Vol.13, No.2, 1977, P.195
- ۲٦ يونس بحرى ، هتار ونحن ، هنا برلين حى العرب ، الجزء الخامس ، ١٩٥٦ ، بيروت ، ص ٢٥
- 27 Nevill Barbour, Broadcasting to the Arab World, Middle East Journal 1951, P.63
- 28 S. Hilleson, Broadcasting to the Near East, Hilleson, Broadcasting to the Near East, Royal Central Asian Journal, July 1941, Vol. 27, Part 3, P.340.
  - 29 Seth Arsnian, Wartime Propaganda in the Middle East, Middle East Journal, October 1948, Vol. 11, Part 4, P.419.
  - 30 The Encyclopadia of World War II, (edt. by) Thomas Parrish, 1978, Secker and Warbury, London P.359.
  - 31 Ralap A.Uttaro, The Voices of America in International Radio propagganda, Law and Contemporary Problems, Vol.45, No.4,1982, P.103.
  - 32 F.Bowon Evans (ed.), Worldwide Communist propaganda activities, 1955, Macmillan Company New York, P.6.
  - 33 Ibid, P.8
  - 34 Ibid, PP-72-73.
  - 35 Darid Leigh, Secret Cold War Files are Scrapped by foreign Office, The Observer, 28-2-1982, P.4.
  - ۳۹ ـ عن كريستيان سانيس مونيتور ـ الرأى العام الكويتية ۲۹/۹/۹۸۰ ، العدد ۷۸٤۷

- ۱ ـ د فخرى الدباغ ـ الحرب النفسية ـ الموسوعة المعنيرة رقم (٣٨) ، منشورات وزارة الثقافة والفنون / ١٩٧٩/ص ٥ ٠
- 2 Serge Chakotin, The rape of the masses, George Routledge and Son Ltd, London, 1940,P.128
- ٣ ـ د · محمود محمد الجواهرى ، الصحافة والحرب ،
   المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم
   الاجتماعية ، نشر الرسائل الجامعية ، القاهرة ،
   ١٩٦٦ ، ص ٧ ·
- ٤ ـ د فاروق ناصر الراوي ، الوثائق المسمارية شواهد
   على انتصاراتنا في عيلام ، مجلة بين النهرين ـ العددان ٣٤ ـ ٣٥٠ ، ١٩٨١ ، ص ١٤٩ ـ ١٥٠ •
- هاري ساكز ، عظمة بابل ، موجز حضارة بلاد وادى الرافدين القديمة ، ترجمة الدكتور عامر سليمان ابراهيم ، بدون اسم الناشر او التاريخ ، ص ١٦٤٠٠٠
- ٦ العقيد جمال السيد ، الحرب النفسية ، المكتبة الثقافية ، العدد ٢٨٣ ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٣٤ ص ٣٤ .
- ۷ ـ د ۰ هاري ساکز ، عظمة مصدر سبق ذکره ، ص ۱۸۱ ۰
  - ٨ ـ المصدر السابق، ص ٢١٦٠
- المناذل طاقه ، في الاعلام والمعركة ، وزارة الثقافة والاعلام ، مديرية الاعلام العامة ، السلسلة الاعلامية ، (رقم٨) ، ١٩٦٩ ، بغداد ، ص ١٠٠
- ۱۰ ـ الدكتور عبداللطيف حمزة ، الاعلام في صدر الاسلام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ۱۹۷۱ -
  - ١١ ـ من سورة التوبة
  - ١٢ ـ من سورة البقرة
  - ١٣ ـ من سورة النساء
  - ١٤ ـ من سورة النساء
- ١٥ ـ الدكتور عبداللطيف حمزة ، الاعلام ف صدر الاسلام ، مصدر سبق ذكره ٠
- ۱۸ ـ عبدالرزاق الحصان ، ربیعة العراق ، بغداد ، ۱۹۳۷ ـ ص ۳۷ ۰
- ۱۷ ـ الدكتور عبداللطيف حمزة ، الاعلام ف صدر الاسلام ، مصدر مذكور ـ سابقا ـ ص ۲۲۰
- ۱۸ ـ عبدالرزاق الحصان ـ ربيعة العراق ـ المصدر المذكور سابقا ـ ص ٤١

٣٧ ـ جريدة القبس الكويتية ـ العدد ٤٨٣٩ ق
 ١٩٨٥/١١/١ ـ ص ١٩ نقلا عن مجلة (شيترن)
 الالمانية : (واشنطن تمول حملة دعائية ضخمة
 لصالع المجاهدين الافغان) ٠

٣٨ - جريدة الانباء الكويتية ، نقلا عن تايم : كيف ينظر
 العالم للحرب الكلامية بين العملاقين ، تاريخ
 ١٩٨٥/٩/٥ ، ص ١٤

۳۹ ـ جريدة القبس (الكويتية) ـ حرب الكلمات بين مـوسكـو وواشنطـن ، الـعـدد ٤٨٦٦ في ٢٨ / ١٩٨٥ ، ص ٣٤ ـ المصدر السابق ٠ ـ عــ المصدر السابق ٠



«نحن لا ننسخ الماضي ولانستنسخ منه ، إنما نتعامل معه بنظرة متفاعلة مع روح الحاضر والمستقبل »



\_

\*

سيرة مرؤرخ





### سيرة ذاتية

الاسم : حسن أحمد ابراهيم · تاريخ الميلاد : ١٣ اكتوبر ١٩٣٨ ·

الدرجة العلمية : بروفسير منذ يوليو ١٩٨٠ ٠

المؤهلات العلمية : بكالوريوس شرف ـ جامعة الخرطوم ، ١٩٦٣ ، ماجستير ـ جامعة الخرطوم ، ١٩٦٥ · دكتوراه ـ جامعة لندن ١٩٦٠ ·

التخصيص العام : تاريخ حديث ٠

التخصص الدقيق: تاريخ السودان ومصر الحديث ٠

#### الوظيفة الجالية:

عميد كلية الآداب \_ منذ فبراير ١٩٨٤ ، والأمين العام المساعد لاتحاد المؤرخين العرب لشئون الاتفاقيات والعلاقات الدولية وممثل السودان في اتحاد المؤرخين الافارقة ٠

#### الوظائف السابقة:

مساعد تدريس ـ جامعة الخرطوم ١٩٦٣م ـ ١٩٧١م محاضر / جامعة الخرطوم ١٩٧٠م ـ ١٩٧٤م استاذ مشارك جامعة الخرطوم ١٩٧٤م ـ ١٩٧٠م رئيس قسم التاريخ جامعة الخرطوم ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨م مدير الدراسات العليا للآداب والعلوم الانسانية ٠

### المؤتمرات والزيارات:

۱ ـ حضرت عددا كبيرا من المؤتمرات في البلاد العربية والأفريقية وفي اوربا وأمريكا وكندا ۲۰ ـ استاذا زائرا وذلك بمنحة من مؤسسة ملريب بجامعتي جورج تاون وهورد بالولايات المتحدة ۳۰ ـ ساهمت بمقالين في مشروع كتاب تاريخ افريقيا الذي تتبناه وتدعمه مؤسسة اليونسكو ۰

#### الابحاث العلمية: (كتب)

- ١ \_ محمد على في السبودان (الخرطوم ١٩٧٣) ٠
- ٢ \_ معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا (بالانجليزية) ٠
- ٣ ـ رجلة محمد على للسودان ١٨٣٨ ـ ١٨٣٩ (الخرطوم ١٩٨٠) ٠
- ٤ ـ تاريخ السودان الحديث (الكتاب المقرر في تاريخ السودان الحديث لتلاميذ الصف الثالث ـ الثانوي العالي منذ ١٩٧٨ وحتى الإن ٠

#### (مقالات)

- ١ ـ عدد من المقالات باللغة الأنجليزية عن المهدية الجديدة ودور السيد عبدالرحمن المهدي في الحركة الوطنية السودانية ـ نشرت في مجلات علمية امريكية وسودانية ٠
- ٢ ـ مقالات أخرى بالانجليزية عن الموضوع نفسه لم ينشر بعد وستجمع كل هذه المادة لتنشر قريبا بمشيئة الله ف كتاب
   بالانجليزية عنوانه السيد عبدالرحمن المهدي خبير المناورة السياسية •



\*







,

# سامراء في التاريخ والتراث والأدب الخميس ١٩٨٧/٣/١٩

## اعداد الاستاذ سالم الألوسي

دأبت الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب احتبال الفرص والمناسبات الوطنية ، والقومية ، لاقامة الندوات والملتقيات والمؤتمرات العلمية التي تؤرخ وتوثق الاحداث والوقائع البارزة ف تاريخ العرب القديم والمعاصر والحديث .

وبرعاية الاستاذ كامل ياسين رشيد عضو القيادة القطرية اقامت الامانة العامة للاتحاد في الساعة السادسة من مساء الخميس ١٩٨٧/٣/١٩ ندوة علمية ف مدينة سامراء تحت شعار «سامراء في التاريخ والتراث. والأدب» شارك فيها عدد من الاساتذة المتخصصين ل تضمنت عدة محاولات تناول فيها المحاضرون جوانب من تاريخ سامراء ، وقد حضر الندوة جمهور كبير من العلماء والمثقفين ووجوه المدينة ، كان في مقدمتهم الاستاذ عبدآلله فاضل وقد أفتتحت الندوة بالوقوف دقيقة واحدة حداداً على روح شهداء قادسية صدام الذين هم اكرم منا جميعا ، وقد ادار الندوة الدكتور نوري بخيت السامرائي الاستاذ في قسم التاريخ بجامعة بغداد واستهل كلامه بالحديث عن أهمية سامراء من النواحى التاريخية والحضارية والأسباب التى دعت الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب لاقامة هذه الندوة العلمية ٠

وكان الدكتور فوزي رشيد الاختصاصي الاثاري بدائرة الآثار والتراث ، أول المتحدثين وعنوان المحاضرة «سامراء قديما» حيث تناول اسم سامراء او سر من رأى وعلاقة الاسم باسماء وردت في النصوص والكتابات المسمارية ، كما ذكر نتائج التنقيبات والآثار التي تكشف عن مستوطنات وتماثيل وألهة للعبادة من القرن الرابع قبل الميلاد .

أما المحاضر الثاني فكان الدكتور طاهر العميد المستشار بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي حيث استعرض بمحاضرته «القصور والمساجد في سامراء» عمارة المساجد الجامعة والقصور في سامراء التي اتسع عمرانها بشكل ادهش المؤرخين ، حيث اضحت من اعظم المون الإسلامية في القرن الثالث للهجره (التاسع للميلاد) خلال فترة تاريخية قياسية لم تتجاوز الخمسين عاماً فلا متاول حياة المراة السامرائية ، بعدها جاء دور المخاضر الاستاذ عبدالحميد العلوجي الذي تناول حياة المراة السامرائية ، بعدها جاء دور المخاضر الديتور لبيد ابراهيم ـ وكان موضوع بحثه المخاضر الديتة العظيمة ، الدور العسكري لدينة سامراء» حيث المدينة العظيمة ، الله ودفاع الجيوش العباسية عن حدود الامبراطورية بالاسلامية وقضائها على الحركات الشعوبية التي استهدفت الوجود العربي والحضارة العربية .

وكانت المحاضرة الأخيرة للأنسة رفاه السامرائي الاستاذة في مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد ، حيث عائجت في محاضرتها «التصوير في سامراء» العناصر الفنية في الرسوم الجدارية التي كشفت عنها التنقيبات والآثار في المدينة قبيل الحرب العالمية الأولى وبعدها جاءت هذه التصاوير التي كان الآثر المميز في نشوء تطوير فنون التصوير العربي الاسلامي .

وبعد انتهاء المحاضرات وجه مدير الندوة الانتباه الى الله عدداً من الاستاتذة يودون المشاركة في اضافة بعض المعلومات التاريخية وكان في مقدمتهم الدكتور حسين على محفوظ الذي تناول دور سامراء في العلم واللغة والأدب والتراث حيث ذكر اسماء سامراء ومنزلة هذه المدينة المعروفة في التراث ومكانتها ومعطياتها في

اللغة والطب والشعر خاصة · وقد عددت المحاضرة جمهرة من اعلامها الكبار ومنجزاتهم ، ونوهت باعتزاز أهلها بالانتساب الى الأئمة الاطهار ، هذا يضاف الى أهميتها في القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر في تخريج الفقهاء والعلماء والمؤلفين ·

ثم اعقبه الاستاذ سالم الألوسي بحديث مختصر عن أهمية سامراء باعتبارها «مدينة الفروسية الأولى» في العصور الاسلامية مشيراً إلى انها كانت تضم اكبر المسكرات مثل القادسية واسطبلات ، اضافة الى وجود عدد من ميادين سباق الخيل واقامة الحلائب وقد ركز الاهتمام بأحدى سوق للسباق التى تتألف من أربع دوائر متماسة تجرى داخلها الخيول وفي وسطها الدكة التى كان الخليفة وحاشيته يجلسون فوقها لمشاهدة المتسابقين ، وقد اعتبرت هذه الساحة من أعظم ما انتجته العبقرية العربية في التخطيط والهندسة ، وتعد الأولى من نوعها في العالم مما يستوجب صيانتها والحفاظ عليها .

وكان الدكتور الطبيب كمال السامرائي من المشاركين في هذه الندوة حيث وجه الانتباه الى اهمية دور سامراء في تاريخ الطب العربي ، فذكر كلاً من سلموية بن بنان ويوحنا بن ماسويه من اطباء الخليفة المعتصم ، ومن اطباء المتوكل حنين بن اسحاق العبادى ويوحنا بن ماسويه ويخيشوع بن جبرائيل ، ومن الاطباء المشهوريل

ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي وسند بن على الطبيب والمنجم وكذلك ابو معشر البلخي وكان طبيبا ومنجما •

ثم جاء دور الشيخ يونس السامرائي فأشار الى ان تاريخ سامراء يحتاج الى عشرات المجلدت الى تتناول جوانب عدة من تاريخ هذه المدينة الخالدة ، وذكر الى انه وضع عدداً من المؤلفات التي تعالج بعض الصفحات المجهولة من تراث وحضارة سامراء كالادب والشعر والالعاب الشعبية والصناعات الفولكلورية وغيرها •

واعقبه الدكتور عبدالله السامرائي الذي اشار الى ضرورة البحث في الجوانب الجديدة التي تشكل اضافات جديدة الى سامراء وقد اختتمت الندوة بتعقيب جيد ورصين من الاستاذ عبدالله وزير الأوقاف والشئون الدينية اثنى فيها على جهود المشاركين في هذه الندوة العلمية وطالب بان تكون نموذجاً لندوات مماثلة تتناول تاريخ مدن وحواضر عراقية اخرى ، كما شكر الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب على هذه المبادرة واعتبرها مظاهرة ثقافية تاريخية تستحق الثناء والتقدير ومطاهرة تتاريخ مستحق الثناء والتقدير والمناه

واختتمت الندوة بارسال برقية بعث بها الحاضرون تحية للقائد المنصور صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية تثميناً لدوره التاريخي في الحفاظ على حضارة الأمة وامجادها •

# عروض الكتب والرسائل العلمية في التاريخ



.

# كتاب (بحوث في تاريخ السنة المشرفة) للدكتور اكرم ضياء العمري

الطبعة الثالثة مزيدة منقحة طبع الكتاب في بيروت في مؤسسة الرسالة سنة ١٩٧٥ والكتاب يقع في ٢٩٢ ص صدر الكتاب بمقدمة للدكتور عبدالكريم زيدان تحدث فيها عن تعريف السنة النبوية وحجيتها والاحكام التي جاءت بها وعن تدوينها وحفظها ثم تكلم عن علم الجرح والتعديل وأهميته في كل وقت خاصة في هذا الزمن الذي اتجه فيه المستشرقون الى شن الغارة على السنة النبوية ورواتها المهارة على السنة النبوية

وبعد هذه المقدمة أورد مقدمات المؤلف لكل طبعة من الطبعات الثلاث بين أن الطبعة الاولى كانت في سنة ١٩٦٧ والثانية في ١٩٧٧ وقد ذكر في الطبعة الاولى دوافع ظهور علم الرجال وحركة الوضع في الحديث وعَرَضَ لجهود العلماء في مقاومة حركة الوضع بالتأكيد على الاستناد ومعرفة الرجال مع وصف وتحليل كتبهم خلال القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية وذلك لبيان

مكانة كتاب الطبقات بين هذه المؤلفات الكثيرة والرحلة فى طلب العلم وتدوين الحديث ومختلف جهودهم للحفاظ على السنة •

وبين في الطبعة الثانية انه وسع فصل تدوين الحديث وأسس تنظيم علم الرجال ·

وفي هذه الطبعة الثالثة ذكر انه توجد اضافات وفوائد

# الفصل الاول

تكلم عن الوضع في الحديث ومهد له بتعريف الحديث والاهتمام به وانه المصدر الثاني للتشريع الاسلامي وتعرضه لمحاولات قوية للدس عليه فتكلم عن بدء الوضع واثر الخلافات السياسية في الوضع ودور الخوارج في الوضع والخلافات الكلامية والزنادقة والقصاصين ووضع جهلة الصالحين للحديث ودور العصبية للمدن والجنس والامام والوضع لأغراض خاصة ·

# الفصل الثاني ص ٥٥ ـ ٨٥

تكلم عن جهود العلماء في مقاومة الوضع ثم تحدث عن الاستاد وظهور علم الرجال ·

# الفصل الثالث ص 20 - ٢٠٠٧ المصنفات في علم الرجال حتى نهاية القرن الخامس (دراسة وتحليل)

تكلم عن كتب معرفة الصحابة وعن المصنفين في معرفة الصحابة وكتب الطبقات والمصنفين في الطبقات وعن كتب الجرح والتعديل فعرف علم الجرح والتعديل وانواع كتب هذا العلم ثم تحدث عن مؤلفي كتب الضعفاء وعن مؤلفي كتب الثقات وعن مؤلفين جمعوا بين الثقات والضعفاء وعن المصنفات في رجال الحديث المذكورين في الكتب الستة وغيرها وكتب معرفة الاسماء ولكتب الاسماء والكنى والالقاب وكتب المؤتلف والمختلف وكتب المتفق والمفترق والمتشابه وتواريخ الوفيات والمصنفات في الوفيات والمصنفات في الوفيات والمستعدة ثم تكلم عن كتاب الشيوخ وكتب الرجال عن الشيعة ثم تكلم عن كتاب

الرجال لأبي جعفر احمد بن ابي عبدالله البرقي وعن رجال الكثي لأبي عمر محمد بن عمر بن عبدالعزيز الكثي وكتاب الرجال لأبي العباس احمد بن علي بن احمد بن العباس النجاشي وكتاب الفهرست لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي وكتاب الرجال للمؤلف المذكور

ثم تكلم عن أسس تنظيم كتب علم الرجال وعن التنظيم على النسب والتنظيم على المبات والتنظيم على المدن والتنظيم على المدن والتنظيم على حروف المعجم وعلم الرجال والتاريخي وعلم الرجال والنقد التاريخي وعلم الرجال والنقد التاريخي و

### الفصل الثالث

عن نشاط الرحلة في طلب الحديث •

### الفصل الرابع ص ٢١٦ - ٢٣٤

عن تدوين الحديث ، فنجده يتكلم عن الكتابة ف حياة الرسول (ص) وكتابة الحديث في حياة النبي (ص) أيضاً كما يذكر احاديث النهي عن الكتابة واحاديث السماح بالكتابة ورأي العلماء في تعارض هذه الاحاديث وبعد ذلك يتحدث عن كتاب الحديث في جيل الصحابة وأمثلة الصحف التي كتبها الصحابة في الحديث وكتابة الحديث في جيل التابعين فما بعدهم ،

### الفصل الخامس

عن كتب الرواية المهمة ، فلقد تكلم عن الموطأ ومسند الامام احمد بن حنبل وصحيح الامام البخاري وصحيح الامام مسلم وكتاب سنة ابي داود السجستاني وجامع الترمذي وسنة النسائي وسنة ابن ماجة وكتب الرواية المهمة بعد القرن الثالث الهجري .

وذيّل الكتاب يثبت المصادر فذكر: أ المصادر القديمة المطبوعة والمصادر الاعجمية القديمة •

ب \_ المخطوطات ثم المراجع الحديثة \_ والمراجع الاعجمية الحديثة وهذه من ص ٢٥١ \_ ٢٧٢ ·

واعقبها بفهرس باسماء المصنفين ص ۲۷۳ ـ ۲۸۷ وبفهرس الموضوعات ص ۲۸۹ ـ ۲۹۲ · وبذلك ينتهى هذا الكتاب ·

ندى نعمان عبدالرحمن كلية الآداب بغداد



# العلاقات الاردنية ـ السورية منذ استقلال البلدين عام ١٩٤٦ ولغاية عام ١٩٧٦

### عرض عبدالمجيد عبدالحميد

ارتأت الضرورة ان اقدم عرضا تاريخياً عن مسيرة الثورة العربية ودورها في تحرير البلاد العربية في السيطرة العثمانية واخفاقاتها في تحقيق أهدافها وبالاخص الهدف الاكبر وهو انشاء دولة عربية واحدة ثم كان لابد من مقدمة تاريخية توضح صورة نشؤ دولتي سوريا والاردن حتى نيلهما الاستقلال واتبعت المقدمة بموجز عن البنية الاجتماعية ـ الاقتصادية في كلا البلدين حتى يتسنى فهم التطورات السياسية الداخلية والخارجية لاحقا والخارجية لاحقا والخارجية لاحقا والخارجية المحالة المناسبة الداخلية والخارجية المحقا والخارجية المحقا والخارجية المحتماعية المحتماء والخارجية المحتماء والخارجية المحتماء والخارجية المحتماء والمحتماء والمحتم

بعد هذا العرض وجدت من الافضل تقسيم البحث الى مراحل زمنية لتلافي التكرار وتسهيل عملية العرض والتحليل للاحداث المتشابكة ضمن اطار البلد الواحد وثم ضمن اطار المنطقة العربية وثم ضمن اطار المنطقة، فقسمت فترة البحث الصراعات الدولية على المنطقة، فقسمت فترة البحث البالغة ٣٠ عاما الى ست مراحل كانت الاولى : منذ الاستقلال وحتى اغتيال الملك عبدالله مؤسس الدولة الاردنية في عام ١٩٥١ والثانية : تبدأ منذ ١٩٥٢ الى ١٩٦١ حيث وحتى ١٩٦١ المشقاق حزب الانفصال وثم منذ ١٩٦١ وحتى ١٩٦٦ انشقاق حزب البعث في القطر السوري ومن ١٩٦٦ الى ١٩٧١ الانشقاق الثاني لحزب البعث واستلام حافظ الاسد السلطة ومنذ ١٩٧١ ولغاية ١٩٧١ حيث اعلان القيادة السياسية الموحدة بين القطرين ·

ان هذه الاطروحة تبحث في العلاقات المتبادلة بين القطرين العربيين المتجاورين المملكة الاردنية الهاشمية والجمهورية العربية السورية منذ استقلالهما في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وقد خضعت هذه العلاقة منذ ١٩٤٦ ولغاية ١٩٧٦ لتقلبات كثيرة ، فلم يعد ما يعتبر بالامر المفاجىء اذا تغيرت العلاقة بين ليلة وضحاها نحو الافضل او الاسوأ ،

فخلال الفترة الزمنية الاولى اي منذ ١٩٤٦ ولغاية العرب انطبعت العلاقات بالتوتر السياسي بناء على التدخل الاردني في الشئون السياسية السورية بالدرجة الاساس، حيث حاول الملك عبدالله من خلال اتصالاته

مع الشخصيات السياسية وبعض المجاميع الشعبية تحقيق خططه القومية الوحدوية في سوريا الكبرى و لكن الاوضاع السياسية الداخلية في سوريا حالت دون تحقيق مشروع سوريا الكبرى ، من جانب كانت المعارضة القوية للأجزاب والزعماء المحليين والشخصيات العسكرية في سوريا ومن الجانب الاخرام يتمتع رجال السلطة في الاردن بالقوة الضرورية للتنفيذ لغرض تحقيق اهداف السياسة الخارجية ويعود هذا الضعف الى جذور الانتداب البريطاني الذي لم يُبق للدولة إلا التركيبة التبعية في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والمنافة الى ذلك كان للموقع الجغرافي السياسي الاردني الله ق تطور العلاقات مع سوريا و مكما بين هذا الاردني الله ق تطور العلاقات مع سوريا و مكما بين هذا الاردني الله ق تطور العلاقات مع سوريا و مكما بين هذا الاردني الله ق

اضافه الى دلك خان الموقع الجغراق ـ السياسى الاردنى اثر فى تطور العلاقات مع سوريا وكما بين هذا البحث فقد خضعت السياسة الخارجية الاردنية لمجموعة مؤثرات أهمها: التأثير الخارجي للقوى الاجنبية فى المنطقة مثل بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية كما هو حال تأثير الدول المجاورة فى المنطقة مثل الكيان الصهيوني وعلى مستوى آخر ومختلف فى اسبابه ونواياه هو تأثير الدول العربية مثل الملكة العربية السيودية والملكة المصرية والمملكة العراقية وفي هذا السياق تبلورت على المستوى العربي الداخلي مقاومات السياق تبلورت على المستوى العربي الداخلي مقاومات على اساس التنافس السياسي من ناحية وعلى اساس التقوقع القطري ذي الافق الضيق المناقض للمصالح القومية الاستراتيجية مكتفياً بتحقيق مصالح شخصية البعض الفئات القائمة على السياسة ومتطابقا مع مصالح القوى الخارجية من ناحية آخرى والخورجية من ناحية آخرى والمنات القائمة على السياسة ومتطابقا مع مصالح القوى الخارجية من ناحية آخرى والمنات القائمة على السياسة ومتطابقا مع مصالح القوى الخارجية من ناحية آخرى والمنات القائمة على السياسة ومتطابقا مع مصالح القوى الخارجية من ناحية آخرى والمنات القائمة على السياسة ومتطابقا مع مصالح القوى الخارجية من ناحية آخرى والمنات القائمة على السياسة ومتطابقا مع مصالح القوى الخارجية من ناحية آخرى وكالية وكاليونية المنات القائمة على السياسة ومتطابقا مع مصالح القوى الخارجية من ناحية آخرى والمنات القائمة على السياسة ومتطابقا مع مصالح القوي الخارجية من ناحية آخرى والمنات القائمة على السياسة ومتطابقا مع مصالح القوية المنات القائمة على السياسة ومتطابة المنات القائمة على السياسة ومتطابق المنات القائمة على السياسة ومتطابق المنات القائمة على السياسة ومتطابق المنات القائمة المنات القائمة المنات القائمة المنات القائمة على السياسة ومتطابق المنات القائمة على السياسة ومتطابع القومية القومية المنات القائمة على السياسة ومتطابع المنات القائمة المنات القائمة على السياسة ومتطابع المنات القائمة المنات القائمة المنات القائمة المنات ا

وامتازت الاحداث السياسية في فلسطين خلال هذه المرحلة الزمنية بلغب دور مؤثر على تطور العلاقات المتبادلة بين الاردن وسوريا · وبنفس الوقت انعكست الصراعات العربية الداخلية على مجريات الحرب العربية لا المسهيونية في أيار وتموز في عام ١٩٤٨ التي تكللت بالفشل والهزيمة ، ولم يكن هذا العامل الوحيد بل كان من جملة عوامل مثل التبعية الاقتصادية والعسكرية وكمحصلة لها التبعية السياسية للدول الاستعمارية التي خلقت الكيان الصهيوني وتعمل جاهدة من اجل المحافظة عليه ·

وانعكست نتائج تلك الهزيمة سلبياً على العلاقات الاردنية ـ السورية حيث بدأت الفئة الحاكمة في سوريا تبحث عمقا تحمله مسئولية فشلها السياسي وهزيمتها العسكرية في فلسطين فوجدتها بشخص الملك الاردني ونظامه والقت عليه بكاهلها وحاولت الفئة السياسية في سوريا مدعومة لنفس الاسباب من قبل أنظمة عربية اخرى مثل الملك فاروق توجيه الرأي العام في اقطارها الى ان اسباب الفشل ليست في بنية انظمتهم وسياساتها التي سادها الغباء لانها لم تقم على اساس النظرة الاستراتيجية للامور وفقدانها اية صيغة من صيغ بعد النظر •

وعلى ضوء نتيجة الحرب ركزت السياسة الاردنية جهودها لضم القسم المتبقى ف فلسطين خارج الاحتلال الصهيونى خاصة المناطق التى كانت تحت سنيطرة الجيش العربى والجيش العراقى واثارت هذه السياسية توترا حادا في المنطقة العربية ، وتطابقت المواقف للحكرمات السعودية والمصرية والسورية في معارضة السياسة الاردنية ساعية لتحقيق صيغة بديلة لإنشاء دولة فلسطينية على مناطق فلسطين المتبقية • على الرغم من ذلك استطاعت سياسة الملك عبدالله كسب قطاع كبير من الزعماء الفلسطينيين ووجهاء المناطق الريفية الذين اعربوا عن رغبتهم في الالتحاق بالمملكة الاردنية طوعا وتم ضمها رسميا في شهر نيسان ١٩٥٠ وحقيقة انه لولا تأييد الحكومة البريطانية وموافقة الكيان الصهيوني على ذلك لم يكن بمقدور هذه الخطوة أن ترى النور ٠ وكانت ردة الفعل العربية قوية على ذلك فحارب النظام السوري توحيد الضفة الغربية مع الاردن معتبرا اياها توسعية وفضل شكرى القوتلى أن تتعامل الزعامات الفلسطينية مباشرة مع البريطانيين على التعامل مع الملك عبدالله من خلال هذه الوحدة ٠

لقد غيرت عملية ضم الضفة الغربية الى الاردن صورة التوزيع البشري في المملكة الاردنية الامر الذي اثر في عملية التحول الاجتماعي للمجتمع الاردني وذلك من

خلال تشكيل العنصر الفلسطيني غالبية المجتمع الاردني وفي الجانب الاقتصادي تراكمت المشاكل الاقتصادية جراء ذلك وتفشت البطالة بين صفوف الشعب لا سيما المشردين في المخيمات مما سهل للجانب السوري عملية استغلال الموقف لاهدافه السياسية واصبحوا ضحية لاعلامه المضاد للسياسة الاردنية واخذ النظام السوري بتقديم العون والتأييد للمعارضة الاردنية حتى تسنى اغتيال الملك عبدالله في القدس بتاريخ ٢٠ تموز ١٩٥١٠

وفي المجال الاقتصادي فان التبادل التجاري سجل تطورا ملحوظا على الرغم من استمرار التوتر السياسي في العلاقات منذ ١٩٤٦ وحتى اغتيال الملك لا سيما ان سوريا كانت شريكا تجاريا مهما بالنسبة للاردن وبالاخص بعد الحرب العربية الصهيونية حيث تحولت طرق التجارة الاردنية في الموانيء الفلسطينية في حيفا وعكا الى الموانيء اللبنانية والسورية هذا من جانب ومن الجانب الاخر كانت سوريا تعتبر مصدرا مهما لكثير من البضائع الحيوية للسوق الاردنية مثل المواد الغذائية والحيوانات والحبوب والصناعات النسيجية مما كان له مردود ايجابي على الاقتصاد الاردني والسوري ولم تستغل الفئات الحاكمة في سوريا هذا العامل كأداة ضغط سياسية على السياسة الاردنية وتعليل ذلك يعود الى احتياج الفئات صاحبة المصالح التجارية في سوريا الى اسواق لتعريف بضائعها إضافة الى الفوائد المالية التي كانت تجنيها على النقل والموانيء ٠

بعد اغتيال الملك عبدالله الذي ذهب ضحية لاهدافه السياسية كما ذهب ضحية غدر السياسة البريطانية وبعض حلفائها في المنطقة العربية ، فقد دفع التطور السياسي الداخلي في المملكة الاردنية بشكل ايجابي خلال الفترة الزمنية الممتدة منذ ١٩٥١ وحتى ١٩٥٦ عجلة بناء العلاقات وتطورها نحو الافضل مع الجمهورية العربية السورية · فعمل الملك طلال الذي ورث العرش عن والده على الغاء مشروع سوريا الكبرى من البرنامج السياسي لحكومته وبدأ سياسة تقارب تجاه سوريا كما هو الحال تجاه المنافس التقليدي للبيت الهاشمى الملك عبدالعزيز أل سعود ·

وعلى الصعيد الداخلي احدث الملك طلال اصلاحات دستورية جديدة اكثر ديمقراطية عما كانت عليه وضمنت حقوةا عامة للمواطنين كانت غير واردة في الدستور اصلاً • وكان الملك طلال يعارض السياسة البريطانية مقتديا بذلك نهج الملك غازي بن فيصل الاول في العراق وكان على تناقض مع قائد الجيش العربي الفريق كلوب باشا البريطاني ، بنفس الوقت كان يعاني الملك طلال من

ازمة نفسية اخذت تتطور نحو الاسوأ ، الامر الذي فتح قريحة الفئة الحاكمة في الملكة العراقية لأن تعرب عن رغبتها في المشاركة في حلقة الصراع العربي الدائر على الاردن التي كان للدور السورى فيها اثر كبير وباستلام الملك الشاب حسين بن طلال العرش في عام ١٩٥٣ وضع حدا نهائيا للاطماع السورية والعراقية والسعودية في الاردن و

وقد لعبت المتغيرات السياسية في المنطقة العربية دوراً مهما في ترتيب العلاقات العربية الداخلية مثل جلوس الملك فيصل الثاني على عرش العراق عام ١٩٥٣ وجلوس الملك سعود بن عبدالعزيز على عرش السعودية بعد وفاة والده وصعود الرئيس جمال عبدالناصر بعد الاطاحة بالملك فاروق اثر ثورة يوليو ١٩٥٧ ودوره في السياسة العربية القومية ، وكذلك انهاء الدكتاتورية العسكرية لاديب الشيشكلي في سوريا عام ١٩٥٤ وتشكيل حكومة وطنية أئتلافية نهجت في سياستها الخارجية خطا قوميا تحرريا مناهضا لسياسة الاحلاف العسكرية الغربية واسهمت في تعميق العلاقات السياسية والعسكرية مع المملكة الاردنية على اساس التعايش السلمي والاحترام المتادل والمصالح المشتركة ٠

وقد تأثرت السياسة الداخلية الاردنية بالتوجه القومي للسياسة السورية التي رأت من واجبها الاساسي العمل على تحقيق الوحدة العربية وعلى ضوء ذلك نهجت في سياستها الخارجية والاقليمية (المقصود بها محليا منطقة الشرق الاوسط) مبدأ عدم الانحياز وقاوم خلف بغداد وفي هذا الصدد كان حزب البعث العربي حلف بغداد وفي هذا الصدد كان حزب البعث العربي الاشتراكي أول حركة سياسية في المنطقة العربية دعت الى سياسة الحياد بين المعسكرين العملاقين وازاء ما غرف بالصراع الغربي الشرقي ، وقد جاء ذلك موثقاً من خلال تصريح صلاح الدين البيطار لجريدة والبعث » يوم خلال تصريح صلاح الدين البيطار لجريدة والبعث » يوم ٢٤ شباط ١٩٥١ (راجع نضال البعث – ج ص ١٢٥٠

وتطور هذا المفهوم بعد توقيع ميثاق حلف بغداد الى الحياد الايجابي الذي يعني مقاومة الاستعمار وبنفس الوقت رفض سياسة الاحلاف غربية ام شرقية توخيا للمحافظة على السلام العالمي ، واعتبر الحزب سياسة التعايش السلمي على المستوى العالمي ملائمة لدفع النضال ضد الاستعمار وضد التخلف في العالم الثالث الى الامام وانتشار النظام الاشتراكي الذي يمنع استغلال الانسان والذي يشجع التعاون الدولي على الساس مبدأ التعامل بالمثل (انظر بيان الحزب حول الحياد الايجابي بتاريخ ٢٦ شباط ١٩٥٥ في نضال البعث ـ ج " ـ ص ٢٦ شباط ١٩٥٥ في نضال البعث ـ ج " ـ ص ٢٦ شباط ١٩٥٥

ازاء مجمل هذه المتغيرات برز التنسيق المصرى ـ السعودى ـ السوري الذى انعكست أثاره على الظروف السياسية الداخلية في الاردن لا سيما للدور الكبير الذى يمكن ان يلعبه الاردن في مشكلة فلسطين • فنمت الاحزاب السياسية وتوصلت الى المشاركة في مجلس النواب وكسبت عناصر عسكرية داخل الجيش العربي • كانت محصلة هذه التطورات ان استطاعت السياسة الداخلية الاردنية تسريح قيادة الجيش العربي الانكليزية واستبدالها بقيادة شبابية اردنية •

في أذار عام ١٩٥٦ ومن خلال تعاظم وزن الاحزاب القومية على الساحة الاردنية الذي حظى بدعم الجيش العربى فرض توجيها معينا على السياسة الخارجية الاردنية وحال دون انضمام الاردن الى حلف بغداد ٠ واستطاع التيار الشعبى الداخلي ان يحتم التزام السياسة الخارجية الاردنية التنسيق مع دول المثلث العربى مصر والسعودية وسوريا وتعمقت العلاقات وعلى كافة الاصعدة مع القطر العربي السوري • وعلى المستوى الداخلي عاش الاردن بحبوحة ديمقراطية تكللت بنجاح الاحزاب الوطنية في انتخابات مجلس النواب في تشرين أول ١٩٥٦ والتي على اثرها شكل زعيم الحزب الوطنى الاشتراكي سليمان النابلسي الحكومة الاردنية فاستلم زعيم حزب البعث حقيبة وزارة الخارجية بنفس الوقت كانت وزارة الخارجية السورية من نصيب حِزبِ البِعِثِ ايضًا • واستطاعت الحكومة الاردنية ان تحقق تعارنا وثيقا مع الجمهورية العربية السورية على اساس الثقة المتبادلة والمنفعة المشتركة في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية وعسكرت وحدات من الجيش السوري على الاراضي الاردنية لمجابهة اية اعتداءات صهيونية وأصبح القطر السورى المستورد الثاني بعد القطر اللبناني للمنتوجات الاردنية وبنفس الدرجة كانت سوريا ثاني بلد في العالم مصدر للاردن وحافظ ميزان التبادل التجاري بين البلدين على زيادة لصالح الاقتصاد السوري ٠

وعقدت حكومة سليمان النابلسي العزم على انهاء المعاهدة الاردنية \_ البريطانية الموقعة في عام ١٩٤٦ وكخطوة أولى اساسية لتحقيق هذا الهدف الوطني كان لا بد من تأمين المصدر المالي البديل و فعقدت اتفاقية التضامن العربي بتاريخ ١٩ كانون ثاني ١٩٥٧ التى بموجبها التزمت السعودية ومصر وسوريا بدفع مبلغ ٥ر١٢ مليون جنيه استرليني للميزانية الاردنية ولمدة عشر سنوات وعلى اثرها استطاعت الحكومة الغاء المعاهدة الاردنية \_ البريطانية بتاريخ ١٩٥٧ اذار ١٩٥٧

وانهت القواعد العسكرية البريطانية وأجليت القوات البريطانية عن الاردن وجاءت هذه الخطوة على ضوء حرب السويس لتشكل انتكاسة جديدة للسياسة البريطانية في المنطقة حيث انحصر النفوذ البريطاني في الملكة العراقية وامارات الخليج العربي و

انعكست الاحداث السياسية في المنطقة العربية على الوضع السياسي الدولى • فخشيت الادارة الامريكية على المسالح الامبريالية الاستراتيجية ف المنطقة العربية الامر الذي دفع الرئيس ايزنهاور في الخامس من كانون الثاني عام ١٩٥٧ لان يتقدم بمشروع يقضي الى ربط دول المنطقة بالامبريالية الامريكية تحت شعار «سد الفراغ» وكأن المنطقة العربية فارغة من السكان والقوى المحلية او وكأنه قرار الهي يقضى بان تخضع على الدوام هذه المنطقة لنفوذ قوة خارجية • وأدى طرح هذا المشروع الى انقسام في الصف العربي حيث وافق عليه غالبية الدول العربية ودولة الكيان الصهيوني وانحصر الرفض فقط بدولتي مصر وسوريا • وبقبول الاردن هذا المشروع الذي رافقته تطورات سياسية داخلية أدت الى استقالة وزارة سليمان النابلسي عاد التوتر الشديد يسيطر على العلاقات الاردنية \_ السورية واوقفت كل الخطوات التنسيقية والتعاون الذي كان قائما

وخلال هذه المرحلة الزمنية منذ ١٩٥٦ وحتى ١٦١١ حدثت تطورات سياسية داخلية في سوريا انعكست مباشرةً على العلاقات الثنائية بين الاردن وسوريا ٠ فَتَمَيُّ دور الاحزاب القومية وزاد نفوذ الحزب الشيوعي السوري في الجيش وتعمقت الصلات بين السياسة الخارجية المصرية والسياسة الخارجية السورية إذ شددا على نهجهما المعارض للامبريالية الامريكية وفتح باب التعاون مع الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي وادي تعميق هذا التعاون إلى اندفاع سوريا لعقد ميثاق الوحدة مع مصر بتاريخ ١ شباط ١٩٥٨ ٠ وشكلت الوحدة خطرا مفاجئا على بعض الدول العربية مثل لبنان والمملكة العراقية والمملكة الاردنية والمملكة العربية السعودية الامر الذي دفع السياسة الاردنية لعقد الاتحاد العربي مع المملكة العراقية بتاريخ ١٤ شباط ١٩٥٨ بناء على ظروف سياسية داخلية موضوعية ولم يتمكن الاتحاد العربي في الاستمرار لوقوع الثورة بتاريخ ١٤ تموز ١٩٥٨ التي قضت على النظام الملكي وسيطر توثر شديد على المنطقة هدد الاستقرار والنظام في المملكة الاردنية الهاشمية واغلقت الجمهورية العربية المتحدة حدودها البرية والجوية مع الاردن وكذلك تبعتها الجمهورية العراقية وخلقت بذلك عزلة سياسية وازمة اقتصادية خانقة مما استرجب استدعاء قوات أجنبية الى الاردن ٠

واستطاعت الحكومة الاردنية بحكم علاقاتها مع الولايات المتحدة الامريكية أن نفك الحصار الاقتصادى من خلال نقل الطائرات الامريكية الوقود من الخليج العربى ثم من لبنان إلى الاردن •

ولم ينته عام ١٩٥٨ حتى بدأت بوادر سياسية ايجابية تظهر في المنطقة لصالح السياسة الاردنية وذلك بناء على الصراع الذي نشب بين عبدالكريم قاسم في العراق وجمال عبدالناصر في الجمهورية العربية المتحدة واستثمرت السياسة الاردنية هذا الصراع لصالحها لا سيما أنها كانت بعي ضعف تأثير نهج عبدالكريم قاسم على جماهير الشعب الاردني فيما إذا قورن بتأثير جمال عبدالناصر فأعادت العلاقات الدبلوماسية مع بغداد ووقعت اتفاقا اقتصاديا مباشرة في تشرين الاول عام ١٩٦٠ مم الحكومة العراقية وتشرين الاول عام ١٩٦٠ مم الحكومة العراقية

وف الاقليم الشمالي ف الجمهورية العربية المتحدة تفاقمت الامور بازدياد عدد المساكل الاقتصادية والسياسية وظهرت الانفرادية والاضطهاد السياسي للاحزاب بموازاة جهود القوى الخارجية المعادية للوحدة العربية ، وسيطرت حرب اعلامية بين الاردن والجمهورية العربية المتحدة من جهة وبين الجمهورية العربية المتحدة والمعودية من جهة والمعراق من جهة ثانية وبين المتحدة والسعودية من جهة تاللثة وازداد التوتر حدةً عندما اقدمت بعض أجهزة الأمن في الاقليم الشمالي على تفجير مبنى رئاسة الوزراء الاردني مستهدفة قتل رئيس الوزراء هزاع المجالي بالفشل كل المحاولات التي استهدفت الاطاحة بالنظام بالفشل كل المحاولات التي استهدفت الاطاحة بالنظام الاردني .

ولم يشكل هذا التناقض المستمر بين سياسة الجمهورية العربية المتحدة وسياسة المملكة الاردنية الهاشمية عائقا امام تنسيق بعض الخطوات تجاه موقف سياسي عربي ثالث فيما إذا كان خطره يعود على الاثنين سويا وظهر هذا التطابق إزاء ازمة الكويت عندما طلبت الانضمام الى الجامعة العربية بتاريخ ٢٠ حزيران ١٩٦١ بعد حصولها على الاستقلال وعارض ذلك عبدالكريم قاسم معلنا رغبته في ضم الكويت الى الجمهورية العراقية ٠ وفي ٢٠ تموز ١٩٦١ وافقت الجامعة العربية على عضوية الكويت وللحيلولة دون استدعاء قوات بريطانية لحماية الكويت امام نزعات عبدالكريم قاسم قررت الجامعة ارسال قوات عربية من السعودية والجمهورية العربية المتصدة والمملكة الاردنية ٠ وهكذا التقت مصلحة الطرفين ضد طرف ثالث واعادت هذه الخطوة الاعتبار للدور الاردني في التأثير على الاستقرار لدول المنطقة العربية ٠

ورغم ظهور بعض أوجه التعاون المحدود بين الاردن والجمهورية العربية المتحدة فانه لم يلغ الخطر الذي كان يهدد أمن واستقرار النظام الاردنى استراتيجيا من قبل الجمهورية العربية المتحدة ، هذا العامل دفع الحكومة الاردنية للنشاط بالاتجاه المضاد اضافة الى العوامل الداخلية التى اشرت اليها سابقا لتضع نهاية مأساوية بتاريخ ٢٨ أيلول ١٩٦١ لتجربة قومية فريدة تعتبر الاولى من نوعها في هذا القرن على المستوى العربى ، من خلال الجيش الذي أعلن انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة ، وبانتهاء الوحدة بدأت مرحلة جديدة اعادت الى العلاقات الاردنية \_ السورية في المجالين السياسي والاقتصادى إلى حيويتها ،

وسجل تاريخ العلاقات الثنائية بين الاردن وسوريا خلال مرحلة ما بعد الوحدة أي منذ ١٩٦١ ولغاية ١٩٦٦ مستوى جديدا في تطور وتعميق العلاقات ، ففي البداية التزمت السياسة الخارجية الاردنية دعم السياسة السورية ضد الجانب المصرى على مستوى الجامعة العربية ، كما وظهر التطابق في المواقف السياسية بين الاردن وسوريا إزاء ثورة اليمن بتاريخ ٢٧ أيلول ١٩٦٢ عندما طالبت الدولتان الدول العربية الاخرى بالالتزام بعدم التدخل في شئون اليمن الداخلية • وفي مجال السياسة الداخلية السورية طرأت متغيرات سياسية اضافة الى المتغيرات المستمرة في المنطقة العربية ، فبعد استلام حزب البعث السلطة في العراق بتاريخ ٨ شباط ١٩٦٣ وإطاحته بحكم عبدالكريم قاسم، استطاغ الحزبيون العسكريون بتاريخ ٨ أذار ١٩٩٣ الاستيلاء على السلطة في دمشق بالتعاون مع بعض العناصر المؤيدة لنهج الزعيم المصرى جمال عبدالناصر • وانعكس هذا التطور السياسي على النهج السياسي الداخلي الاردني وبالاخص بعد توجه كلتا الحكومتين البعثيتين فى بغداد ودمشق للتباحث مع القاهرة بشأن وحدة ثلاثية • ونتج عن تلك المباحثات توقيع اتفاق ١٧ نيسان ١٩٦٢ الذي بقى حبراً على ورق لأسباب عديدة وكان أهمها الصراع الذي نشب على السلطة في دمشق بتاريخ ١٨ تموز ١٩٦٣ وتبعه في بغداد بتاريخ ١٨ تشرين الثاني في نفس العام ، وبدأت على اثرها حرب باردة بين بغداد ودمشق والقاهرة وبين القاهرة والرياض وبين القاهرة وعمان -ازاء هذه الصورة للحرب الباردة العربية اندفعت العلاقات الاردنية .. السورية نحو الافضل وساهم رئيس الجمهورية العربية السورية أنذاك الفريق محمد أمين الحافظ ف دفع العلاقات السورية مع الاردن الى مستوى جيد رغم ظروفه السياسية الداخلية الصعبة معبرا بذلك عن تقديره السليم للظروف القومية ، وكان ينشد زيارة الاردن وبالاخص الاطلاع على الظروف العسكرية في

الضفة الغربية التى لم يكن بمقدوره تحقيقها ، ووصلت العلاقات بين البلدين حتى بداية عام ١٩٦٦ الى أفضل مستوى وصلت اليه منذ الاستقلال ·

وفي المرحلة الزمنية منذ ١٩٦٦ وحتى ١٩٧١ ساد طابع التوبر في العلاقات الثنائية ، حيث رافقت مسيرة حزب البعث العربي الاشتراكي في القطر السوري صراعات حادة على السلطة بين أعضاء الحزب العسكريين والمدنيين تلك التي تبلورت في بروز فريقين احدهما التف حول الفريق محمد أمين حافظ وايدت هذا الفريق القيادة القومية للحزب والاخر التف حول اللواء صلاح جديد والذي ايده فريق قوى من القيادة القطرية والضباط العسكريين ، ولم يقدر الفريق الاول على تصفية حسابه مع الفريق الاخر خشية ضرب مبادىء الحزب ونظامه الداخل التي لم يأبه بها الفريق الثاني ، فقاد انقلابا عسكريا مسلحاً ضد رفاقه وارغمهم على التنازل عن السلطة بتاريخ ٢٣ شباط ١٩٦٦، واستطاع الانقلابيون ان يفرضوا سيطرتهم على الحزب والجيش والمنظمات الجماهيرية ، كما استطاعوا من خلال رفع شعارات يسارية طفيلية هدفت الى تحذير الجماهير العربية السورية ان يُحققوا لانفسهم قسطا من وَالشَّرِعية » وبناء عليها توسعوا في العلاقات مع دول المعسكر الاشتراكي ٠

وان مجال السياسة الخارجية للحكومة السورية تجاه الدول العربية خطت لنفسها نهجا بعيدا عن الواقعية ، فِلْكُ الذي القسم المنطقة العربية الى معسكرين: الأول المغسكر التقدمي وضم سوريا ومصر والجزائر والمعسكر الرجعى وضم الاردن والعربية السعودية والاقطار العربية الاخرى وشكل هذا الطراز في التخبط في السياسة العربية محاولة جر انظار الجماهير العربية السورية الى أزمات مفتعلة خارجية وابعاد انظارها عما يجري من صراعات داخلية على السلطة ، حيث وقعت عدة محاولات انقلابية كان اهمها محاولة الرائد سليم حاطوم في ايلول ١٩٦٦ والتي اضطر على اثرها الى اللجوء مع اعوانه الى الاردن ، وعلى اثرها صعدت الفئة السياسية في دمشق حربها الاعلامية ضد الاردن والعربية السعودية وكأن هجوم الاذاعات والجرائد يشبع بطون الجماهير خبزا ويشكل لها سلاحاً تدافع به عن نفسها امام الاجتياح الصهيوني الذي بات ينتظر فرحته المناسبة ، وساد التوتر في العلاقات المتبادلة شبيها بذلك الذي ساد خلال السنوات ١٩٥٨ \_ ١٩٦١ ، مارست السياسة السورية التدخل في شئون الاردن الداخلية مستغلة بذلك ولادة حركة التحرر الوطنى الفلسطيني ونشاطها المسلح ضد الكيان الصهيوني عبر الاراضي الاردنية

وعلى الرغم من قدسية النضال الفلسطينى المسلح إلا ان الفئة الحاكمة في دمشق أنذاك لم تهدف من خلال دعمها له إلا لخلق توتر ومصاعب سياسية بين أبناء الشعب الواحد من جهة ومن جهة ثانية تحديا عسكريا للكيان الصهيوني تتحمل مسئوليته الحكومة الاردنية لوحدها وقد بذلت السياسة الخارجية الاردنية جهدا لتوفير أرضية صالحة لتنسيق عربي جماعي ، وتحطم التصور الاردني على صخرة التقدمية للحكومة السدية والسدية وعلية المحرورة التعدمية الحكومة السدية والسدية والمساعدة التصور الاردنية والتعدمية المحرورة التعدمية الحكومة السدية والمحروبة والتعدمية المحرورة التعدمية المحرورة المحرورة التعدمية المحرورة الم

وبعد معركة السموع في الضفة الغربية التي حقق بها العدو الصهيوني نصرا على القوات الاردنية تطور رد الحكومة السورية بشكل دراماتيكي حيث ركزت جل اهتمامها لمهاجمة النظام الاردنى واغلقت الحدود مع الاردن ودخلت الحرب الباردة مرحلة جديدة بقيام المخابرات السورية بعملية تفجير نقطة الحدود الاردنية في الرمثا بتاريخ ٢١ أيار ١٩٦٧ . وقد رافق حملة التوتر في العلاقة مع الاردن حملة اعلامية رسمية عن تحشدات صهيونية على الجبهة السورية • وأثار التوتر الشعبي الداخلي في الاردن توترا في العلاقات الاردنية \_ المصرية • واستطاعت السياسة السورية بذلك نصب فخ لنظام جمال عبدالناصر دافعة اياه الى احد أمرين لا ثالث لهما اما ان يقدم على تصعيد المجابهة حتى الحرب مع الكيان الصهيوني واما ينفضح امره امام الجماهير العربية التي علقت عليه الآمال في تحرير فلسطين وبُنتهي بذلك امام اليسار المتطرف اكبر عقبة · ورغم محاولة عبدالناصر الالتفاف على الفخ المنصوب له إلا أن العدو الصهيوني كان اوعى كثيرا فاستغل الظروف السياسية المحلية والدولية ووجه ضربة عسكرية شاملة بتاريخ ٥ حزيران ١٩٦٧ محققا نصرا حاسما على الانظمة العربية في مصر والاردن وسوريا • وثبت فشل السياسات العربية ٠ وبعد الهزيمة وافقت السياسة المصرية والاردنية على قرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ ووقفت منه السياسة السورية موقف المعارض كما عارض المنظمات الفلسطينية المقاتلة التي انتشرت على الساحة الاردنية بعد الهزيمة · ودعمت السياسة السورية المنظمات الفلسطينية بنفس الوقت خلقت تنظيما فلسطينيا تابعا لها مباشرة وركزت على ممارسة هذه المنظمات نشاطاتها على الساحة الاردنية وعبر الحدود الاردنية الى الكيان الصهيوني • وزاد من خلال ذلك التدخل السورى في الشئون الداخلية الاردنية - ومما يجدر الانتباه اليه انه في هذه المرخلة استطاع حزب البعث ان ينتزع السلطة في العراق بتاريخ ١٧ تموز ١٩٦٨ واخذت السياسة العراقية تلعب دورا اكثر فعالية

عما كانت عليه لا سيما انها كانت على تناقض مع السياسة السورية • وفي هذا السياق شعرت الفئة الحاكمة في سوريا بتحد جديد على المستوى الحزبى فأعلنت حربا اعلامية ضد السياسة العراقية •

وعلى اثر حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية والاردنية قبلت السياسة المصرية مشروع روجرز في تعوز ١٩٧٠ الذي نص على وقف القتال لفترة محدودة ٠ وشكل قبول عبدالناصر لوقف اطلاق النار نموذجا يحتذى به على الجبهة الاردنية لا سيما انها كانت تعاني من كثرة الاعتداءات الصهيونية حيث بلغت خلال عام واحد منذ ٥/٦/١٩٦٩ الى ٥/٦/١٩٧٠ ٥٩٩ اعتداء (جريدة البعث السورية بتاريخ ١٩٧٠/٦/٧) وبنفس الشهر وافقت السياسة الخارجية الاردنية على قبول المشروع الامر الذي استوجب وقف العمليات المسلحة من خلال الاراضى الاردنية وحاربت السياسة السورية مشروع روجرز وقبوله وساهمت في تصعيد التوتر الشعبي الداخلي في الاردن وساندت سياسة المنظمات الفدائية داخل الساحة الاردنية بنفس الوقت الذي حرمت عليها الشروع في تنفيذ عمليات عسكرية من خلال الجبهة السررية رغم استمرارية حالة الحرب بين سوريا والكيان الصهيوني

ودفعت السياسة السورية تلك الى الصدام العسكرى بين المنظمات الفدائية والجيش العربي عام ١٩٧٠ وفرضت خصارا اقتصاديا على الاردن والغت الاجواء السورية امام الملاحة الاردنية واغلقت الحدود ودفعت بتاريخ ١٨ أيلول ١٩٧٠ بقوات عسكرية الى الاراضى الاردنية الواقعة على الحدود متجاهلة بذلك ظروفها السياسية الداخلية والصراعات الحادة على السلطة في دمشق من جانب والظروف الدولية الصعبة من جانب اخراء وكسبت السياسة الاردنية الجولة مما سهل مهمة انقضاض الفريق حافظ الاسد بتاريخ أ تشرين الثاني ١٩٧٠ على رئيس الجمهورية نور الدين الاتاسي واعوانه اللواء صلاح جديد ويوسف زعين وأودى بهم إلى السجن فاتحا الباب امام امل اردني في تحسين العلاقات الثنائية بين القطرين • وبعد أن أستتب الأمر في الداخل لصالح الفريق حافظ الاسد بدأت بوادر مرحلة جديدة تظهر ف العلاقات الثنائية فركزت السياسة الاردنية على رفع الحصار الاقتصادي وفتح الحدود والاجواء السورية واستجاب الرئيس حافظ الاسد بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٢ معلنا فك الحصار وبدأت تقدم تسهيلات لشحن الفوسفات الاردني وحركة النقل البرى من خلال سوريا

وفي السياسة الداخلية نهج الفريق حافظ الاسد سياسة اقتصادية اكثر ليبرالية من سابقيه وفتح المجال لحرية الاستثمار واحدث تعديلات دستورية مهمة وانشأ الجبهة الوطنية التى ضمت حزب السلطة والحزب الشيوعى وقوى وافراد اخرين وفي اطار الحزب والجيش ركز على الغاء مراكز القوى وحصر أهم الصلاحيات في يده وجزء منها أولاه الى بعض الفئات المصالح المشتركة والعينة ذات المصالح المشتركة والعينة ذات المصالح المشتركة وفي العينة ذات المصالح المشتركة والمدينة وا

اما فيما يتعلق بسياسة القطر السورى تجاه الكيان الصهيونى والاراضى السورية المحتلة تبلور هناك موقف لدى القيادة السياسية بانه لا بد من تحريك الموقف السياسي العربي والدولي من اجل التوصل الي حل سياسى يعيد مرتفعات الجولان التي تشكل تحد لاي جهة تستلم السلطة ف دمشق وكذلك حل مرض للقضية الفلسطينية ضمن استعداد السياسة السورية للاعتراف بشرعية الكيان الصهيوني والعيش الى جواره بسلام ٠ هذا المنطلق حتم تعميق العلاقات مع مصر لتحريك حرب ضد الكيان الصهيوني تكون محددة الاهداف وامتنع الاردن منذ البدء المراهنة على السياسات العربية بناءً على تجاربه السابقة عام ١٩٦٧ ٠ لكن الموقف السورى كان بحاجة الى اجراء مصالحة ثلاثية بين سوريا ومصرا والاردن مما اظهر تفهما للموقف الاستراتيجي الاردنى ١ الا أن ظروف الاردن الداخلية دفعت الحكومة الى المشاركة العسكرية ولو بطريق غير مباشر كي رض خلال دعم الجبهة السورية مما كان له اثر طيب في تعميق ا العلاقات وسجلت مؤشرا تضامنيا لم يشهده تاريخ العلاقات الاردنية ـ السورية منذ عهد الاستقلال • ومما عمل على تعميق التقارب الاردني \_ السوري بعد حرب تشرين هو سلوك السياسة المصرية نحو الحل المنفرد مع الكيان الصهيونى بدأ باتفاقية سيناء الاولى عام ١٩٧٥ ، ولعبت السياسة العراقية دوراً مؤثراً حيث عارضت النهج المصرى والسورى بعد وقف اطلاق النار ٠

واستمر التقارب الاردنى ـ السورى في التطور وتبلور التطابق في مواقف البلدين تجاه تصور حل القضية الفلسطينية حيث سجل الموقف السورى الجديد تراجعا عن الموقف القومى التقليدى لسوريا مما شكل أرضية خصبة لترسيخ العلاقات وعلى كافة الاصعدة حتى تكللت بتشكيل القيادة السياسية الموحدة للبلدين عام ١٩٧٦ واصبحت الزيارات الرسمية على رؤساء الدوائر والوزارات ورؤساء الحكومات وزعماء الدولتين حالة والوزارات فرؤساء الحكومات وزعماء الدولتين حالة اعتيادية فيما إذا قورنت بالمراحل السابقة ونارة على اعتيادية فيما إذا قورنت بالمراحل السابقة وزيارة على

مستوى زعماء الدولتين او رؤساء الحكومات وخلال الفترة الزمنية الممتدة بين عام ١٩٧٦ وجتى ١٩٧٦ زار الملك حسين دمشق ١٢ مرة بينما زار الرئيس حافظ الاردن خمس مرات وعلى مستوى رؤساء الحكومات فقد تمت ١٣ زيارة من الجانب الاردنى و ٨ زيارات من الجانب السورى و

ومن نتائج هذا البحث ان العلاقات العربية الداخلية بشكل عام وضرورة تطويرها يتوقف بالدرجة الاساس على الموقف الشخصى والعقائدى لكل حاكم ، ذلك لان أنظمة الحكم القائمة هى شبيهة بالانظمة الابدوية «البتريمونياله» وبالتحديد فيما يخص العلاقات الاردنية ـ السورية فقد خضعت للقرار السياسى المركزى باستثناء بعض المراحل في سوريا مثل ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨ ومراكز قوى وتتحمل الانظمة العربية مسئولية المطالبة والتنفيذ في برامج تحسين العلاقات العربية الداخلية وتعميق التعاون والعمل العربي المشترك وعلى كافة الاصعدة بناء على قواعد الاحترام المتبادل وحق التعايش بسلام وتحريم التدخل في الشئون الداخلية لاي بلد بسلام وتحريم التدخل في الشئون الداخلية لاي بلد

ولقد ثبت لنا انعدام المساهمة الشعبية الفعلية في الاركون وفي سوريا ـ باستثناء المرحلتين المذكورتين أعلاه - في عملية اتخاذ القرار السياسي •

وان ظهور المشاركة الشعبية الشكلية خضعت لظروف سياسية داخلية أنية او عالمية اقتضتها متطلبات السياسة الخارجية ومما يسجل في هذا الصدد انه خلال فترة البحث لم يظهر هناك أي نشاط للجماهير الشعبية على صيغة مظاهرات او اضرابات او مؤتمرات ١٠ الخ في القطرين وهذا يعني ان الدوافع الاقتصادية والسياسية لم تؤطر في سبيل بناء وتعميق العلاقات العربية بين البلدين و

وفي المجال الاقتصادي خضعت العلاقات بين البلدين الى القرار السياسي المركزي خلال مرحلتي الاربعينات والخمسينات ولكن بعد بناء وتوسيع ميناء العقبة المنفذ البحرى الوحيد المملكة الاردنية خفت درجة اهمية الموانيء السورية كما هو حال الطريق البرى السوري مما أدى الى ضعف تأثيره على القرار السياسي حيث كان الاقتصاد الاردني قبل ذلك رهين الموانيء السورية واللبنانية وظروفها السياسية لان استيراد مواد الطاقة والمواد الغذائية والصناعات الضرورية الاخرى كما هو حال تصدير الفوسفات والاسمنت وزيت الزيتون والتبال مرتكزا عليها وخلال الستينات والسبعينات تطورت العلاقات الاقتصادية بين البلدين على اساس قاعدة تبادل المصالح الاقتصادية الخالصة على الرغم من ظهور تبادل المصالح الاقتصادية الخالصة على الرغم من ظهور

بعض الازمات السياسية التي أدت الى الحصار الاقتصادي عام ١٩٧٢/١٩٧١ وسجلت التجارة الخارجية بين البلدين انتعاشا ملحوظا ١ اذ بلغت صادرات القطر السوري في عام ١٩٤٦ الى الاردن بقيمة ٠٠٠ر٢٧٢ر٥ مليون ليرة سورية واستورد من القطر الاردنى ما قيمته ٠٠٠ر٤٧٦٠٣ مليون ليرة سورية ٠ وفي عام ١٩٧٦ بلغت واردات القطر الاردني في سوريا ٠٠٠٠٠ عر٧ مليون دينار حيث كانت سوريا على المرتبة الثالثة عشرة بالنسبة للدول المصدرة الى الاردن - لكن إذا قورن هذا المبلغ بالمجموع العام للاستيراد الاردني الذي بلغ ٢٠٠٠، ٥٠٠ مليون دينار فان نسبته قليلة حيث لم تتعدُّ ١٨ر٢٪ ٠ اما صادرات الاردن الى سوريا فقد بلغت ٣٠٠ر٦٦٣٦ر٦ مليون دينار حيث كان القطن السورى على المرتبة الثانية بالنسبة للدول المستوردة من الاردن • واذا قورن بالمجموع العام للصادرات الاردنية الذي بلغ ٢٠٠ر٢٥٥ر٤٩ مليون دينار فان نسبته مرتفعة حیث سجلت ۱۲۲٪ ۰

وانعكس نشاط الحركة الاقتصادية على الحركة السياحية والاجتماعية بين شعبى القطرين وسبب الاستقرار السياسى في الاردن نموا اقتصاديا استدعى تشغيل ايدى عاملة من خارج القطر وبالاخص من القطر المصرى والقطر السورى و

وفي المجال الثقافي كانت تشكل الجامعات والمعاهد السورية مركز استقطاب مهم للطلبة الاردنيين وحافظت لفترات زمنية مختلفة على المركز الثالث بعد مصر ولبنان وفي المجال الاعلامي تطور التنسيق بين البلدين بعد حرب تشرين مسجلا اسلوبا نموذجيا في تبادل البرامج التلفزيونية والاعلامية وفي حقل التربية والتعليم تم توحيد المناهج المدرسية ولو انه اقتصر على بعض الصفوف الابتدائية إلا انه يشكل خطوة وحدوية جديرة بالتطوير والتعميق وتوسيعها على البلاد العربية الاخرى و



## العراق وسوريا ١٩٤١

هو دراسة متعلقة بالمحتوى السياسى والاستراتيجى لحملات الحلفاء العسكرية في العراق وسوريا عام ١٩٤١، وقد اعتمد الكتاب المصادر الوثائقية الموجودة في مركز وثائق الكرمنويلث في استراليا ، وفي وزارة حرب المملكة المتحدة ولجنة الدفاع لفترة نيسان \_ مايس ١٩٤١ ، وفي مكتبة وزارة الخارجية والكومنويلث في لندن ، ان هذا الكتاب يؤكد وبالوثائق ان الثورة في العراق لم تقم باوامر من دول المحور ، وان اتصال الثوار بالمحور لم يكن الالمصول على المساعدة العسكرية لضمان استقلال العرب ووحدتهم ، وابعاد شبح الصهيونية الذي كان يهدد باغتصاب فلسطين ،

«ان المسرح الرئيسي الوحيد للحرب في سنتي ١٩٤٠ – ١٩٤١ ، الذي يمكن التنبوء به ، هو الشرق الاوسط، هكذا كتب تشرشل في ٣ ايلول ١٩٤٠ • ومن هنا كانت اهمية السيطرة البريطانية على الشرق الاوسط وضروريتها لاتمام الحصار الاقتصادي على دول المجوورية وهو ما اكده الجنرال ويفل لحماية حقول النفط الشرق اوسطية كيلا تصل اليها يد المانيا حين تحس بنقص في الموارد النفطية ٠

فحقول النفط العراقية والايرانية ، والخط العراقى النفطى الذي يمتد الى حيفا في فلسطين التى تمثل هي وسوريا اهم المواضع الدفاعية الشمالية ، وقناة السويس ، ومصر والسودان حيث تتواجد القوات البريطانية الرئيسية ، وعدن الضرورية لادامة الاتصالات في البحر الاحمر • كل هذا جعل بريطانيا تعجل في ضمان امن المنطقة وبعدها عن متناول اليد الالمانية ويوضح المؤلف ايضا في فصله الاول الذي عنوانه «الحرب تصل الى الشرق الاوسط» ، ان ايطاليا على الجانب الآخر كان لها الشرق الاوسط» ، ان ايطاليا على الجانب الآخر كان لها لانها كانت تنوى «توسيع الحرب في المحيط الخارجي» لانها كتب الجنرال جودل في مذكراته عام ١٩٤٠ •

تألیف : جفری ورنر ترجمة وتقدیم :

د • محمد مظفر الادهمي عرض وتلخيص : سعد مخيبر

وفي الفصل الثاني الذي جاء بعنوان «تصريح المحور في ٢٣ تشرين اول ١٩٤٠» سلط المؤلف الضوء على هذا ـ التصريح بعد أن وضح كيف أن القوميين العرب وعلى رأسهم رشيد عالى الكيلاني ومفتى القدس ، قد حسبوا خطورة النظرة المستقبلية البريطانية في المنطقة ، فحثوا الخطى للتعاون مع دول المحور «المانيا وايطاليا» من اجل الحصول على الاستقلال الكامل للمنطقة ، فاوفدوا عثمان كبداك للتباحث مع الحكومتين والحصول منهما على تصريح يعترف بالسيادة العربية على المنطقة وبالاستقلال التام للاقطار العربية ، وتعثر طلب عثمان حداد بين مصالح دول المحور وبين حاجة العرب الى السلاح للقيام بانتفاصة عامة تشل حركة القوات البريطانية في المنطقة حتى تسلم التصريح الالماني الذي نصه : «أن المانيا التي تكن مشاعر الصداقة للعرب والتي تحدوها الرغبة في ان يتمتعوا بالرخاء والسعادة ويحتلوا بين شعوب الارض المكانة التي تتناسب مع اهميتهم التاريخية والطبيعية ، قد نظرت دائما وباهتمام الى كفاح الاقطار العربية في سبيل الحصول على استقلالها أن بأمكان الاقطار العربية التي تبذل الجهود لتحقيق هذا الهدف أن تحسب الآن وفي المستقبل حساب التعاطف التام اللانيا معها» ·

وقد ثبت اسم ايطاليا بدلا من المانيا في النسخة الايطالية للتصريح الذي كان من المؤمل في حالة نشره

بالصيغة التى قدمها حداد ان تعلن الاقطار العربية المستقلة الحياد التام • ويستمر المؤلف في سرد خطط هتلر الاستراتيجية لاحتلال العالم حتى يصل الى عزل رشيد عالى من رئاسة الوزارة بضغط بريطانى •

ويبدأ الفصل الثالث تحت عنوان «مقدمة الثورة» باستفاضة المؤلف في شرح الحيثيات التي جعلت من المنطقة العربية مكاناً متزايد الاهمية بالنسبة للقوى المتحاربة ، ويرجع بنا بعد ذاك الى قضية تنحية رشيد عالى وتكليف طه الهاشمي برئاسة الوزارة ، ليعود الكيلاني بعد ثلاثة شهور ليرأس حكومة الدفاع الوطني التي قامت يوم ٣ نيسان ١٩٤١ بثورة مفاجئة جعلت الوصي يفر هاربا الى عمان ويذكر لنا المؤلف ان عثمان الوصي يفر هاربا الى عمان ويذكر لنا المؤلف ان عثمان بثانية ويحصل من المانيا وايطاليا على الاعتراف الكامل بثانية ويحصل من المانيا وايطاليا على الاعتراف الكامل باستقلال الاقطار العربية والمطالبة بالحصول على الاستقلال لتلك التي لم تحصل عليه ووعودا بالتعاون والمساعدة ،

وبعد شهر من تربع الكيلاني على كرسى الحكومة العراقية ، وباحتمال مضال في مساعدة المانيا له فيخطئو ، يشن هجوما في ٢ مايس ١٩٤١ على القوات البريطانية المتواجدة في البصرة والاتية من الهند ، ويعلن الحرب عليها ويقطع العلاقة ببريطانيا ، ويظل بجيش العراق بقيادة العقداء الاربعة ، ويأتيه المدد الالماني بقطار محمل بالاسلحة والاعتدة تلاه سربان من الطائرات المقاتلة ، ولكن المدد يتوقف ، ويظل الكيلاني حائرا في عدم قدرته على الصمود امام المدد البريطاني المتمثل باسراب الطائرات والجيش القادم عبر الحبانية ، فيضطر بعد مقاومته لاقل من شهر الى الهرب هو ورفاقه خارج العراق ، وفشلت الثورة التي اعتبرها العرب الطريق المشع لنيل الحرية والاستقلال وقد لخص الفيلد مارشال الالماني كيتل اسباب انهيار الثورة بما نصه

القد هاجمت الحكومة العراقية البريطانيين في وقت مبكر جدا ولم يكن الدعم جاهزا مسبقا كانت المانيا

وايطاليا قد قررتا تقديم المساعدة الفعالة المكنة ١ الا ان ذلك لم يتم بسبب الانهيار السريع للمقاومة وق وجود صعوبات لنقل القوات والاسلحة والتجهيزات، وهكذا كتب للتدخل العسكرى البريطاني في العراق النجاح ، هذا ما تابعه المؤلف في فصله الرابع الموسوم «الحملة العسكرية على العراق» ويتناول في الفصل الخامس والاخير «الحملة العسكرية على سوريا» •

وامام رأى مارشال الجو البريطانى تدر: «ان امتلاك قوى المحور لسوريا سيمكنهم من الحصول على سيطرة جوية تامة في الشرق الاوسط» وامام اعداد الطائرات الالمانية الموجودة في سوريا والتي جاءت اصلا كمدد لثورة العراق لم يصل الى هدفه في الوقت المناسب، وامام اهمية موقع سوريا القريب من العراق وفلسطين ومصر وقناة السويس، لم يكن في يد بريطانيا الا ان تعد العدة لتدخل عسكري بريطاني في سوريا، فوضعت الخطط العسكرية لغزو سوريا، وبمعونة القوات الاسترالية وقواك فرنسا الحرة نفذت غزوا لسوريا ولقوات الانتداب الفرنسي المتواجدة فيها يوم ٨ حزيران ١٩٤١ لتسقط ديمشق في لا حزيران ١٩٤١ لتسقط الفرنسية في المقاومة الفرنسية .

واخيرا لا يسعنى الا ان اشد على يد الدكتور الادهمى لبذله هذا الجهد الجاد فى تقديمه شهادة اخرى الى المكتبة العربية تؤكد استقلالية العراقيين فى اتخاذ القرار وحقيقتهم فى الانتماء للقومية الاصيلة ، ودفاعهم عن الوحدة العربية .

وهو الذي عمل في مقدمته المشوقة على ابراز دور قادة حركة الاحياء العربي ـ الذين يطلق عليهم «البعثيون الاوائل» ـ في دعم الثورة في العراق بتشكيلهم حركة نصرة العراق ٠

وان الادهمى لا يؤازر المؤلف في سرده للحقائق فحسب بل ويصحح ـ في هوامشه ومقدمته ـ الهفوات التي وقع فيها المؤلف عرضا او عمدا ، ليجعل المعلومات التي بين ايدينا صحيحة وفصيحة وذات حقيقة ·

## إيران في سنوات الحرب العالمية الثانية

تأليف : عبدالهادى كريم سلمان عرض : موفق الجواري

ف اطار الاهتمام المتزايد بدراسة تاريخ ايران الحديث ، اصدر مركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة ، سلسلة من الدراسات القيمة التى عالجت هذا المرضوع وجاءت دراسة السيد عبدالهادى كريم ، بوصفها جهدا قيما ، تقصى فيها اوضاع ايران الداخلية وعلاقاتها الخارجية في سنى الحرب العالمية الثانية ، وتوزعت دراسته بين اربعة فصول عالج فيها هذه الجوانب معالجة دقيقة ،

وتناول في الفصل الاول لمحات من تاريخ ايران بين الحربين العالميتين، اذ افرزت الحرب العالمية الاولى جملة متغيرات خطيرة في الشرق الاوسط، واحتات وفقها ايران اهمية استثنائية جديدة في محاور السياسة الدولية بحكم موقعها الستراتيجي الخطير بين الخليج العربي والاتحاد السوفيتي والهند ، فضلا عن الاكتشافات النفطية المتزايدة فيها ، لذا دأبت بريطانيا من أجل احكام هيمنتها الاستعمارية على البلد ، والتي عززتها بمعاهدة ١٩١١ غير المتكافئة بينهما ، وترتب عليها بلوصل الامر حد تقليص العلاقات الدبلوماسية بينهما ، بيد انه في عشية الحرب الثانية غيرت ايران من سياستها الخارجية تدريجيا لصالح المانيا الهتارية ، عاقدة عليها الخاسومة في السياسة الدولية ،

لقد اعجب حكام طهران بافكار هتلر الشوفينية المتعصبة ، ووجدت صداها بينهم ، حتى كانت سمة لحكام طهران عبر كل العصور حتى الوقت الحاضر وعشية هذا التطور في العلاقات بين الدولتين ، شنت الصحافة الغربية حملات مستمرة على هذه العلاقة وكانت أوضاع أيران في المرحلة الاولى من الحرب لعالمية الثانية ، موضوعا للفصل الثاني وأوضح الكاتب أن منطقة الشرق الاوسط لعبت دورا أكبر في الحرب المالمية الثانية قياسا إلى دورها في الحرب الاولى وتحولت أيران نفسها إلى مرتع خصب للمناورات الدولية ، وعلى أيران نفسها إلى مرتع خصب للمناورات الدولية ، وعلى

الرغم من ان «رضا شاه» اعلن ان سياسة بلاده هي الحياد التام بين الدول المتحاربة ، ولقيت هذه السياسة الترحيب من هذه الدول ، بيد ان متغيرات الحرب التي مالت في السنوات الاولى لصالح المانيا ، دفعت بايران تدريجيا لرسم توجهاتها لصالح العلاقة مع المانيا ، كما عولت المانيا كثيرا على موقع ايران المجاور للاتحاد السوفيتي لاسيما وان هذه الاخيرة كانت جزءا من نظرية المجال الحيوى للالمان ، فشهدت ايران توافد اعداد كبيرة من الخبراء الالمان ، فشهدت ايران توافد اعداد كبيرة من الخبراء الالمان رافقه ارتفاع مدى التغلغل المتحددي بل أن ايران وبموجب بروتوكولات سرية أصبحت اهم موردي المواد الخام لالمانيا كما أن التغلغل الشرقيتية بين العناصر الفارسية ، وشمل ذلك ايضا تطرير الجيش الايراني باشراف خبراء المان في السنوات تطوير الجيش الايراني باشراف خبراء المان في السنوات

وانعكس تفاقم النفوذ الالمانى المتزايد في ايران على نفوذ ومكانة الدول الاخرى كبريطانيا وفرنسا وبلجيكا وحتى اليابان المتحالفة مع المانيا ، وعلى الرغم من المحاولات والاحتجاجات البريطانية المتكررة ، فان ذلك لم يجد نفعا في البداية ،

ومع اقتراب موعد الهجوم على الاتحاد السوفيتى، زاء الالمان من تواجدهم الاستخبارى في ايران لتهيئة الاوضاع فيها، اذ ارسلوا ثلاثة من انشط رجالهم للقيام بذلك، بيد ان «رضا شاه» كان يعيد حساباته بين أونه واخرى، وقرر ان يكون اكثر حذرا في سياسته الخارجية واخرى، وقرر ان يكون اكثر حذرا في سياسته الخارجية التحرية في العراق مغازلة للانجليز كما ان سياسة التوازن التي حاول انتهاجها على صعيد السياسة الخارجية لا يمكن ان تستمر طويلا في ظل الاوضاع الملتهبة، فكان لابد للشاه ان ينتهي ويسقط سياسيا، الملتهبة ، فكان لابد للشاه ان ينتهي ويسقط سياسيا، ما نجم عن تردى الاوضاع السياسية والاقتصادية في البلاد ، وعند بدء الهجوم الالماني على الاتحاد السوفيتي اصبح موقف ايران اكثر حراجة ، مما دفع حكومة

طهران اكثر من مرة للتأكيد على سياسة الحياد ، وهو امر لم يرض اى من الطرفين المتحاربين ولان الهجوم لم يحقق النجاحات المرجوة منه ، لذا بدأت القوات البريطانية بغزو الاراضى الايرانية من الغرب والجنوب دون مقاومة تذكر وفى نفس الوقت اخترقت القوات السوفيتية الاراضى الايرانية من الشمال ، ولم تفلح كل مناورات الشاه من اجل كسب الوقت ، وامام هذه الاوضاع فان فرص بقاء الشاه على عرشه باتت محدودة للغاية حتى من قبل المقربين ، فلم يكن امامه سورى التنازل عن العرش ، وهو ماحدث فعلا ، وكان ذلك تعبيرا

عن فشل على صعيدى السياسة الداخلية والخارجية •

اما الفصل الثالث فقد تناول اوضاع ايران في السنوات الاخيرة من الحرب ، اذ توج «الشاه محمد رضا بهلوى في ظل الاحتلال البريطانى ـ السوفيتى وشهدت سياسة ايران الخارجية الجديدة تغيرات جذرية تمثلت بالتعاون الواسع مع بريطانيا والاتحاد السوفيتى وصيغ ذلك بتحالف ثلاثى وقع عليه في طهران الاطراف الثلاثة ، وعززت بنود الاتفاق من التواجد العسكرى الاجنبى على الاراضى الايرانية ، وتحولت ايران عمليا الى قاعدة للحلفاء في الشرق الاوسط وعلى هذا الاساس اضطر الالمان للعمل خفية داخل ايران ، ومن خلال التنظيمات الموالية للمحور عمل رجال «الغستابو» على اثارة العشائر في الشمال والجنوب ضد السلطة المركزية ومن ناحية اخرى اعلنت ايران الحرب على المانيا وازاء فتح الباب امام ظهور الاحزاب ، ظهر حزية ارادة الامة اليميني الذي اسسه ضياء الدين طباطبائي

، الذى نشر افكاره الرجعية ، حتى احتل اليمين مكانة اكثر من ذى قبل حتى فى المجلس النيابى ثم توالت الوزارات اليمينية التى شنت حملات قاسية على الديمقراطية فى البلاد مما رسخ اقدام الانجليز والامريكان فى ايران ، الذين عززوا من مصالحهم النفطية وبامتيازات جديدة كما ارتفع معدل التبادل التجارى بين ايران وبريطانيا ، وكذا امتد النفوذ الامريكى ـ ولاسيما العسكري ـ عن طريق الخبراء والبعثات العسكرية اعقبه انفتاح الاسواق الايرانية امام

البضائع الامريكية

وفى مؤتمر طهران ، الذى ضم ستالين وتشرشل وروزفلت ، اغتنم الشاه الفرصة لعرض مشاكل بلاده ، فاعلن المؤتمر استعداده لتقديم المساعدات الاقتصادية لايران •

اما الفصل الرابع والاخير · فقد كرسه الكاتب لدراسة الوضع الاقتصادى والحركات القومية في ايران ابان سنى الحرب اذ أن تردى الاوضاع الاقتصادية بلغ حدا خطيرا ، فشحت المواد الغذائية وزادت معدلات الغلاء حتى بلغت في عام ١٩٤٣ الى ٢٢٩٪ قياسا الى عام ١٩٣٩ ، ولم تجد كل محاولات الاصلاح في انقاذ الاوضاع المتردية وعانت الخزينة من عجز فائق ·

وفيما يخص الحركات القومية ، فانها شهدت نموا متزايدا فحكومة طهران لم تغير من موقفها الشوفينى المتعصب تجاه الشعوب غير الفارسية ، بل أن هذا النظام لم يول ادنى اهتمام باوضاع هذه الشعوب • فانتفض عرب الاحواز حتى الحقوا بالقوات الحكومية خسائر كبيرة ، لم يقض على حركتهم الا بعد اربعة اشهر حيث حكم على زعمائها بالموت ، ثم تكررت الانتفاضات مرات عديدة •

كِما شهدت انربيجان مدا ثوريا اذ عم الاستياء الاكثرية الساحقة ، الا انه لم يكن منظما وفاعلا وانتشر فيها النشاط السياسي والثقافي والنقابي بصورة واسعة وكذا الحال في كردستان الايرانية ، ولاسيما في مهراباد ، اذ طرد الثوار والاكراد اعوان السلطة وحكموا الاقليم بانفسهم ، خصوصا وان المنطقة لم تدخلها قوات الحلفاء ، ونشط العمل السياسي بتأسيس حزب البعث الكردي الذي اصدر جريدة الوطن بيد ان القسوة والارهاب الذي مارسته السلطة ادى الى اجهاض العديد من هذه الحركات القومية .

لقد كان الكتاب جهدا متميزا ، كشف الكاتب من خلاله دوافع المتغيرات ونتائجها بما انعكس بوضوح على أوضاع ايران ، ومن ثم رسم الخارطة السياسة لايران واحتمالات دورها في منطقة الشرق الاوسط •

## مجلات علمية

#### المورد

مجلة ثراثية فصلية تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشئون الثقافية العامة الجمهورية العراقية بغداد/الاعظمية/ص٠ب (٤٠٣٢)

## أفاق عربية

مجلة فكرية شهرية عامة تصدر عن دار الشئون الثقافية العامة وزارة الثقافة والاعلام الجمهورية العراقية بغداد/الاعظمية /ص٠ب ٤٠٣٣

### الداره

مجلة ربع سنوية تصدر عن دارة الملك عبدالعزان الرياض /المملكة العربية السعودية ص٠٠ ٢٩٤٥

## التراث الشعبي

تصدرها دار الشئون الثقافية العامة /وزارة الثقافة والاعلام /الجمهورية العراقية الاعظمية /بغداد ص٠ب (٤٠٣٢)

## مجلة المجمع العلمى العراقي

تصدر اربعة اجزاء في السنة توجه الرسائل والبحوث الى الامين العام للمجمع بغداد /الوزيرية/ص ب (٤٠٢٣)

## المستقبل العربي

مجلة فكرية شهرية تعنى بقضايا الوحدة العربية ومشكلات المجتمع العربى يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية لبنان /بيروت/ص٠ب ٢٠٠١ ـ ١١٣



.

k

متلكهما احداددخاني

يوه نفيجا وتمام الزق يحمل باضا فترباق اعراه إصاف الكبدائي ذ كاو بلق اعراج وجواله ينها الذق براي كا ، الكبيري محود والبول لا يكوم مع الاول نفيجا ويطائل في بنهاان الخام متعت متعطرات ملااجتام ولأكواك يردا ليدم الغذاءالي فوج الوخلاط فأحكام الغذاء لوذمة يرداليها يزالغذاء الاتة يزالمسة منيا تنكب مساندى صرانكرميف الوطباءان الرسوب ولالته علي هضراكمعدة وافترقا عدونها و بكسنة الاستدلال بها وذ لكاه الآق وذكان انحام دلي على للعرائدة دليل على قروع ولوق ع الكبه يكون إنوم و الافاح الكلاسدا فالصنوة ورتا سب ما يليق بكتابها ف ذ لكزا ذاكا نت اكليدمنيرة كما المدة ولعاج ذكانت ساالنون بيم مايان مالرموب ولم يذكرية صيرة لاستارلافي عدم صحة واحدل على والاذي فم يتكربل فال في كتاب الكيدالعروق بالحاوي ية علوا كعدوبيت ما ياتي في علوا لكيس المركان المعتبد ينغمان ينظركين يعع دبودة البول مطلنا علىحال العدة

دها مقوالول وذ لك لسهوله ذوب اللطين الوعفاء بكون زيسًا الوّل يكون في الوكالاول دينا في وزوق النا في في قيام وفي النا من ضها واحدان طغ فرق المائم اللطا فديما للجيفان متنوت احداؤه فالمامة بمناف طعب المامة كالمعمال من فان فالطدا جذاء كرة سبيه فهد سحادة الحدي فعونوي الناك منا وهوا حزان اعها لوزاعب وهومدلونها وكذالة اخترفا فأكينية الأسترلان بملطل عدلوك هذه الوبوال على ولوم قال ميض الوطئا ء إن البول يخ الدف وضعنووالعزف المومق الميعمفة كيفية اللمتدلال مبكل واحدث خ اعداء اليدن وهي العظام زما العزة بيع الخام والمدة م غردوبه فام آخالط بعدد كا صرى الزرة الفي كان مي وليل النافي لعل الحرارة منا هوخوف ذ الائر الوعف عل بيئابول الدال على من كالوول يزالدي والدال على منوكال في والدال عالى نوع النال الجع بنع جسما واقع في الميتة وفي العدق وهواص هذاا دنوع وان خا لطالما يترك منيه الدلول غيران مدلول جميعها يختلن بوج وذكا يجسب لمدت عالبول كرتها عزائس وافتزة بالمعتبر وتوال

## مجلات علمية

#### المورد

مجلة ثراثية فصلية تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشئون الثقافية العامة الجمهورية العراقية بغداد/الاعظمية/ص٠ب (٤٠٣٢)

## أفاق عربية

مجلة فكرية شهرية عامة تصدر عن دار الشئون الثقافية العامة وزارة الثقافة والاعلام الجمهورية العراقية بغداد/الاعظمية /ص٠ب ٤٠٣٣

### الداره

مجلة ربع سنوية تصدر عن دارة الملك عبدالعزان الرياض /المملكة العربية السعودية ص٠٠ ٢٩٤٥

## التراث الشعبي

تصدرها دار الشئون الثقافية العامة /وزارة الثقافة والاعلام /الجمهورية العراقية الاعظمية /بغداد ص٠ب (٤٠٣٢)

## مجلة المجمع العلمى العراقي

تصدر اربعة اجزاء في السنة توجه الرسائل والبحوث الى الامين العام للمجمع بغداد /الوزيرية/ص ب (٤٠٢٣)

## المستقبل العربي

مجلة فكرية شهرية تعنى بقضايا الوحدة العربية ومشكلات المجتمع العربى يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية لبنان /بيروت/ص٠ب ٢٠٠١ ـ ١١٣



.

k

متلكهما احداددخاني

يوه نفيجا وتمام الزق يحمل باضا فترباق اعراه إصاف الكبدائي ذ كاو بلق اعراج وجواله ينها الذق براي كا ، الكبيري محود والبول لا يكوم مع الاول نفيجا ويطائل في بنهاان الخام متعت متعطرات ملااجتام ولأكواك يردا ليدم الغذاءالي فوج الوخلاط فأحكام الغذاء لوذمة يرداليها يزالغذاء الاتة يزالمسة منيا تنكب مساندى صرانكرميف الوطباءان الرسوب ولالته علي هضراكمعدة وافترقا عدونها و بكسنة الاستدلال بها وذ لكاه الآق وذكان انحام دلي على للعرائدة دليل على قروع ولوق ع الكبه يكون إنوم و الافاح الكلاسدا فالصنوة ورتا سب ما يليق بكتابها ف ذ لكزا ذاكا نت اكليدمنيرة كما المدة ولعاج ذكانت ساالنون بيم مايان مالرموب ولم يذكرية صيرة لاستارلافي عدم صحة واحدل على والاذي فم يتكربل فال في كتاب الكيدالعروق بالحاوي ية علوا كعدوبيت ما ياتي في علوا لكيس المركان المعتبد ينغمان ينظركين يعع دبودة البول مطلنا علىحال العدة

دها مقوالول وذ لك لسهوله ذوب اللطين الوعفاء بكون زيسًا الوّل يكون في الوكالاول دينا في وزوق النا في في قيام وفي النا من ضها واحدان طغ فرق المائم اللطا فديما للجيفان متنوت احداؤه فالمامة بمناف طعب المامة كالمعموال من فان فالطدا جذاء كرة عبيه فهد سحادة الحدي فعونوي الناك منا وهوا حزان اعها لوزاعب وهومدلونها وكذالة اخترفا فأكينية الأسترلان بملطل عدلوك هذه الوبوال على ولوم قال ميض الوطئا ء إن البول يخ الدف وضعنووالعزف المومق الميعمفة كيفية اللمتدلال مبكل واحدث خ اعداء اليدن وهي العظام زما العزة بيع الخام والمدة م غردوبه فام آخالط بعدد كا صرى الزرة الفي كان مي وليل النافي لعل الحرارة منا هوخوف ذ الائر الوعف عل بيئابول الدال على من كالوول يزالدي والدال على منوكال في والدال عالى نوع النال الجع بنع جسما واقع في الميتة وفي العدق وهواص هذاا دنوع وان خا لطالما يترك منيه الدلول غيران مدلول جميعها يختلن بوج وذكا يجسب لمدت عالبول كرتها عزائس وافتزة بالمعتبر وتوال

بحوث باللغة الانجليزية



#### REFERENCES

- Dictionary of Scientific Biography. Page 323-326.
- 2. Al-Hawi, The most Voluminous of Razi's medical work (Hyderabad, 1955-1968).
- 3. M. Myerhof, Thirty three clinical observations by Rhzes, in Isis, 23(1933), 322 FF.
- A catalogue of Arabic Manuscripts on Medicine and Science. The Welcome Historical Medical Library by A.Z. Iskandar, (D.Phill).
- Ministry of Religious Affairs, Index: Manuscript of Al-Razi Publications.
- Brockelmonn, C., Geschicte der arabischen Litteratur, Lieden, 1943, Vo. I, 1949 vol. II.
- Le Clerc, L.Historise de la midecine Arabe, Paris, 1876, 2 vols.
- Muller, A., Ibn Abi, Usaybia, Uyun L-ANBA, fi Tabaqat L Alibba', Cairo and Konigsberg, A.H. 1299/A.D. 1882 A.H. 1302/A.D. 1884, 2 vols.
- FRENCH'S Index of Differential Diagnosis; Herbert French March, 1912 Wright 1979.

arising therefrom, and the occurrence of fever, they essentially differ in their site of origin as well as in their leading symptoms. The difference in the site of lesion is apparent. Regarding the leading differentiating symptoms, it is seen that in the beginning the pain is accompanied by heavieness; it is deep pain and as the tumor enlarges it may lead to mental disturbances. Disturbances of the sensations are present from the start in addition to changes in the plsychological behaviour. The pulse is wavy though fever but not prominent. In the case of tumor of the coverings of the brain, however, the pain is of the penetrating type, felt both in the front regions as well as the top of the head. The pulse is strong and may be saw-like and the fever is markedly high. Mental disturbances are less common, if at all visible, they appear later.

The similarity between the diseases could be in the nature of the symptoms manifest in them. He cites the examples of pleurisy and pneumonia- whether by true nature they simulate each other and how one can differentiate between them. In such an instance, his suggest tion is, firstly, to limit our observations to the similarities in the two condtions, so that any differentiating finding or deviation can immediately be identified; missing them can be dangerous. As another example to illustrate the depth of clinical vision the following may be cited. He questions the difference in the nature of cough resulting from disease involvement of the brachea and the bronchi and that involving the substance of the lungs. In both cases, nature of the incriminating substance namely, phelgm, may be similar but the difference between the two conditions pertain to the location of the material and the leading symptoms. In the first instance there is only light cough similar to clearing of the throat as the phelgm is produced from the upper reaches and there is no difficulty in breathing and even if present, it is slight, whereas in the latter instance, the cough is of a more severe nature and the phelgm is produced at the distal parts. The difference between the two conditions therefore is dependent ont he severity and amount of the cough, the place of sputum

production and the dyspnoea. To quote another example, he looks at the differences between the swelling of the liver and that of the gall bladder. Obviously there are basic similarities since the disease is involving parts of the same organ. However, the symptamology is grossly different. When the liver is involved there is heaviness and pain, the urine is 'spoiled' and the pulse becomes faint whereas in the latter condition the important differentiating signs are penetrating pain and that referrable to the nature of the urine, which in the latter case remains normal.

Let us look as the way he differentiates between retention of urine as a result of obstruction in the upper reaches of the tract i.e., above the bladder and that in the lower region, i.e., below the bladder. While they share the nature and the cause (retention) they differ in the site of obstruction. In the first instance the bladder is empty as the urine does not reach it while in the latter the bladder is full, giving a feeling of fullness and distension.

The book is replete with similar examples. Infact the same pattern of differentiation is maintained throughout the text.

It is worthy of note that Abu Bakr's work was not preceded by any similar effort and in the light of the available evidences, the work may be deemed as the first of its kind. The question arises is how physicians could be trained without a sound guide to help them in differentiating between illnesses and helping them in arriving at clinical diagnosis. Differential diagnosis is central to clinical practice and how earlier physicians could have carried out it today, as something almost enigmatic. Admittedly, skill in the practise of medicine was almost a heritage achieved through discipleship as well as devotion and subservience to the masters precepts. The eminence of a physician was judged by his ability to differentiate between illnesses and only few could have risen to that eminence in the absence of a guide or treatise to help them in the realm of clinical medicine. It is here that Abu Bakr's great contribution leaves its mark.

greatly help the physicians to take right decisions at the crucial moment and helping them to differentiate between the apparently similar states and thus enabling them to take appropriate precautionary measures. In the preface itself he outlines the scheme of his representation of the book which consists of five main essays dealing with groups of diseases of anantomical regions of the body or systems. The essays cover the following areas: The first essay deals with diseases of the head and enumerates 28 conditions which have to be differentiated. The second essay is devoted to diseases and conditions relating to organs of respiration is discussed under three subheadings. The third essay comprises four sections discussing points of differences between the diseases of the following organs namely, stomach, liver sphere, kidneys, the bladder and the genital organs. The fourth essay consisting of three sections is an attempt to look at diseases and conditions which affect the human body as a whole and how to distinguish between them. In the fifth, he enumerates seven types of pulses and how to distinguish between them. The essay also discusses differentiating features of urine helpful in distinguishing diseases.

Initiating the central thesis, the author raises the basic question of differences between diseases and what makes them. He tells us how to look for and identify subtle differences in two apparently similar conditions which ultimately helps to distinguish between two different disease entities. The difference is established not on the basis of understanding of their true nature and to which category it belongs but merely on the basis of observable differentiating features.

Let us now look more closely into the contents of some of these essays, for example, the one that deals with the diseases of the head.

It may be observed tha Abu Bakr in his treatise attempts to differentiate between clinical conditions which are alike but with different actiopathogenesis. One cannot but feel acute that nothing much has been added to

the body of knowledge in the realm of clinical differentiation of diseases over this in the past several centuries.

Let us now look more closely into the contents of some of these essays for example, the one that deals with the diseases of the head:

- Insomnia due to dehydration and irritant substances.
- Deep sleep and fainting.
- Fainting due to blockage of the brain substance with particulate matter and that are attributable to tumors of the brain.
- Deep sleep and rigidity.
- Tumors of the brain and those of its coverings.
- Headache attributable to the dysfunction of the sensaction of the brain or due to the weakness of the brain.
- Headache due to deficiency of the brain and its combination with the above.

Detailed discussions follow under each item category. To cite an example, how fainting due to blockage of the brain substance with particular matter differs from that due to tumors.

While fainting is common to both conditions, they essentially differ in their causation. Therefore, their clinical differentiation as well as methods of assessing they vary. As to their causation, on of these conditions is due to blockage of the brain from within while the other is due to tumor and to the points of differentiation. It may be seen that blockage occurs suddenly whereas the tumors is something that progresses gradually.

The tumor is accompanied by fever and often associated with disturbances in the power of imagination.

What is the difference between tumor in the brain and tumor in the coverings of brain?

While they share in common the basic nature of the disease as well as the complications

Al-Furuq Kālām Fi-L-Furūq Bayn — L<sub>2</sub>Amrad MÂ — L. Farq

By Al-Razi, Abu Bakr Muhammad IBN Zakariyya (RHAZES)

Prof. Dr. D.M. Al-Thamery, M.B.Ch.B., D.C.H., F.A.A.P. College of Medicine, BAGHDAD IRAQ

While it is true that the contribution of Arab medicine to the main stream of medical thought and development at large is generally acknowledged as of great significance, it is a sad reckoning that many a significant chapter have not received their due recognition and justice at the hands of contemporary medical historicans. As a striking example may be quoted the fact that often there is a tendency to limit the contribution of Arab medicine/to Materia Medica and Pharmacognosy whereas its contributions to facets of clinical medicine per se are often ill-understood or forgotton. It is there that the name of Al-Razi, Abu Bakr Muhammad Ibn Zakariyya known in the latin West as RHAZES (born in Rayy, Persia, now Iran in the year 251-313/826-925 and died in Rayy also), stands out prominent. RHAZES has written in medicine, alchemy, philosophy and religious criticisum 1.

Rhazes's medical works some of which were translated in the middle ages into latin, include monographs, such as treaties on smallpox and measles and comprehensive manuals such as Al-Hawi<sup>2</sup>. His clinical observations have been edited by M. Myerhof<sup>3</sup>. It is stricking that ten centuries ago he brought out an exhaustive treatise on differential diagnosis of diseases entitled "AL-FURUQ = KALAM FI -L-FURUQ BAYN-L--AMRAD = MA-L-FARQ".

This treatise is kept in the Welcome Historical Medical Library as a manuscript under the

Number WMS or 145 \* 6, 7, 8 composed of 32 full. 200x115 mm (180 x 85) 21-29 lines; written in Arabic Taliq. Comparing this manuscript with another copy kept in the Library of the Ministry of Religious Affairs, Baghdad, Government of Iraq under the index of manuscripts of Al-Razi publication and translating a summary of the same, is the objective discussed in this paper. A third copy of this treatise is kept in Iran in the Milli Malik Library 4 under the number N 4573. This monumental work most likely, was based on his clinical observations and on what he could collect, collate and compile from other sources, weeding out the redundant. It is interesting that in the preface to the first edition of the index of differential diagnosis by French 9 (published as early as 1912) there is a salutary reference to this great work. It reads thus: "This book is a treatise on the application of differential diagnosis to all the main signs and symptoms of diseases. It aims at being of practical utility to medical men whenever difficulty arises in deciding the precise cause of any symptom of which a patient may complaint. It covers the whole ground of Medicine, Surgery, Gynaecology, Ophthalmology, Dermatology and Neurology. This throws light into what the book relates.

An attempt is made hereunder to reveal glimpses of this classic work. Verbatim translation of the name 'Kalam Fi-L-Furuq Bayn-L-Amrad' would read" Discourse on the Difference between the Diseases". In the preface to his work he explicitly stated the purpose for which it was written. He wrote "I discovered that the knowledge of physicians of my time about disease were limited to what was available through books which mainly dealt with the probable causes and symptomatology of diseases and which often failed to distinguish between the two and even to the extent that one simulates the other. What was pursued was mainly limited to the use of a set of norms and rules". He made it clear that his mode of approach was to bring out what was common between the causes and the symptoms or what indicates the disease and to find out how these two differed from each other even while simulating one another. This he felt would

But when the governor of Syria asked the Ghassanids to pay the poll-tax, which amounted to one dinar for each, the Ghassanids refused that vigorously, because they were not used to pay such a tax. The question of the tax, however, created conflict between the Byzantines and the Ghassanids. It was said, that when the ruler sent his tax collector to the Ghassanids, they, the latter murdered him, then they attacked the Byzantine army which was sent to quell them near Damascus (in the site later known as Kiswah valley). The Ghassanids gained victory and forced the Byzantines to accept peace. The Byzantines, moreover, abolished the tax which they had already imposed on the Ghassanids 16.

The Ghassanids poets composed poetry commemorating this occasion. One of them said:

This happened during the leadership of the Ghassanids Prince 'Amr b. Jafinah <sup>17</sup>, who became the first king to the Ghassanids. The Byzantines recognised him as the king of all Arabs of Syria <sup>18</sup>.

When Justinian was coronated in 527 A.D. as the emperor, he attempted to strengthen his relationship with Arabs in order to safeguard his open borders with the Persians. This seems to coincide with his efforts in the west which were devoted to restore the unity of the old

Roman Empire <sup>19</sup>. Therefore, he recognized Hārith b. Jabalah (529-569 A.D.) the King of Ghassanids as the King of all Arab tribes in Syria, and awarded him a superior title of a Roman partician (Basilious) or (Filarkous) <sup>20</sup>.

In spring 531 A.D. Hārith b. Jabalah who was the leader of the Ghassanids, cooperated with the Byzantines, who were under the leadership of Belisarius against the Persians <sup>21</sup>.

In 563 A.D. the emperor Justinian and his citizens cordially welcomed Harith in Constantinople. It was said that the visit aimed basically at negotiating a number of questions with the emperor, among them were the questions of Harith's successor and the military measures to be taken against the Lakhmids who were considered to be as a good ally to the Persians 22. In addition, Harith succeeded in convincing the emperor Justinian to give Jacob Baradaeus (Ya'qūbal-Bardai), - the head of the Monophysite doctrine-, freedom to spread out his belief in Syria. The emperor responded positively to Hārith's request, influenced by his wife Theodora who herself adopted the Monophysite doctrine 23. It was said that after this agreement the Monophysite doctrine spread in Syria among the Arabs 24.

However, after the death of the King Harith in 569 A.D. the relationship continued between the Arabs and Byzantines on good terms until the rise of Islam.

- 16. See more details in Wahab b. Munabih, Kitāb al-Tîyjān fî Mulūk Himîyr. pp. 284-5, India. 1347. A.H.
- 17. Hitti called him Jafinah b. 'Amar, and considered him as the founder of Ghassanids. See: The History of the Arab, p. 78.
- 18. Noldikah mentions in his book, Aumara' Ghassan, p. 18 that the Emperor or Anastasius 491-518 A.D. awarded him that title.
- 19. Vasiliev, History of the Byzantine Empire, p. 133, Wisconson, 1973.
- 20. John Bagot Glubb, A short history of the Arab peoples, p. 23, London, 1969.
- 21. Hitti, Op. Cit, p. 79.
- 22. Ibid, p. 79.
- 23. Richirad bell, The Origin of Islam in its Christian environment, p. 21. London 1926, Noldikah, Op. Cit, p. 20-1.
- 24. They called today Jacobites.

The relations got more developed with Arabs of Palmyra (Tadmur, the early Semitic name of Palmyra) in particular. It was said that in 130 A.D. the Emperor Hadrian (117-138 A.D.) visited Palmyra and he was warmly welcomed by the Arabs (The Palmyrenes).

After this visit the Emperor awarded the Palmyrenes many privilegs. For instance, he granted the Palmyrenes autonomy as well as rights equal to those of the Roman citizens. In addition he authorized the Senate of Palmyra to fix the amount of taxes on their people. He also exempted their trade from taxes 7. As regards their King Odaynath (Odenathus, Udhaynah), the Romans awarded him in 258 A.D. many magnificent titles such as Augustus and Dux orients \* (the latter means Vice-Emperor over the Orient). During the reign of the Emperor Gallienus, the Emperor bestowed on him the honorific title of Imperator and acknowledged him master of the Roman legions in the east 9.

This made the Palmyrenes feel grateful to the Emperor. As a result, some Palmyrene families gave Roman names to their children <sup>10</sup>. It was said that during the excavations in the area where the Arabs of Palmyra had lived, an engraving bearing the name Hadrian a Palmyra was found <sup>11</sup>. This seems to be an expression of loyalty and gratitude from the Palmyrenes and their King towards the Roman Emperor Hadirian.

However, the Roman-Arab relations became tense after Zenobia (al-Zabba') came to the throne as a regent for her minor son Wahb-Allat (the gift of al-Lat, Greek Athenodorus) following the death of her husband Odaynath in 266-267 A.D. She fought the Romans in 270 A.D. and succeeded in achieving victory over them and taking advantage of the difficult circumstances the Roman Empire was going through <sup>12</sup>.

But, eventually the Roman army was able to defeat her in Spring of 272 A.D., and Zenobia was taken as a captive and was transferred to Rome to meet her fate. <sup>13</sup>

After the decline of Rome in 476 A.D. by the Germans, the East Roman Empire rose and was called by the contemporary historians as "Byzantine Empire" particularly since the establishment of Constantinople in 330 A.D. by the emperor Constantine the Great <sup>14</sup>.

During the fourth and fifth centuries A.D. the Byzantines longed for building solid relations with the Arabs because of their increasing number and power. They allowed many Arab tribes to settle down in Syria such as Tanukh تنوخ , Qudā'a قطاعة and Banī Ghassān. It was said that the Ghassanids settled in Syria after the mediation of Banū-Suliyh بنوسليح who were known as Dajā'imah نصاعة to the Roman ruler of Syria (Caesar) 15.

- 7. Al-Alî, Ahmad Sālih, Muhadrāt fi-Tarîkh al-Arab. p.36. Baghdad. 1959, Encyclop. Britanica, Vol. 17 p. 162.
- 8. Buhl. Tadmur, dans Encyclopedie de l'Islam.
- 9. Hitti, Op. Cit, p. 75.
- 10. Encyclop. Britanica, Vo. 17, p. 162.
- 11. Hitti, Op. Cit, p. 75.
- 12. Britanica, Vol. 17, p. 163.
- 13. Cooke G.A., Palmyra in Encyc. Britanica, Vol. 16, 1964. Hubart, Ancient Persia and Iranian Civilization, p. 124. London, 1972.
- 14. Baynes and Moss, Byantium, p. 6, Oxford. 1962. Steven Runciman, Byzantine Civilization, p. 11 London, 1975.
- 15. Noldikah, Aumara' Ghassan, p. 4. Beirut, 1933.

## PHASES IN THE HISTORY OF ARAB-BYZANTINE RELATIONSHIP FROM 62 B.C. TO THE REIGN OF JUSTINIAN

Historians mention that the relationship between the Arabs and the Byzantines can be traced back to the early presence of the Arabs in Syria which began in the first millennium B.C. In fact, the number of Arabs increased considerably since the/third century B.C. to the rise of Islam <sup>1</sup>.

The Arabs came to Syria from two directions, north-west and south-west as can be seen from their habitations before Islam. The tribe of Beni Ghassan بنى غسان inhabited Damascus and Hawrān's districts. The tribe of Qudā'a قضاعة inhabited the district of Balqa' and south-east Jordan. Tanukh's تناعة a tribe inhabited Qinsriyn and Halab, in their neighbourhood the tribes of Suliyh ماء الماء in the south of Jordan and Judhām عنام in the south of Jordan and Palestine, Kalb عليه in the south-east of Syria 2.

Those Arab tribes who inhabited Syria came into direct contact with the Romans after the

latter occupied Syria in 62 B.C., and annexed it to their Empire. From that time on the Romans considered Syria as one of their regions, and called it (Provincia Arabia)<sup>3</sup>.

As regards the Arabs, Romans considered them as a good ally against their traditional enemies, particularly the Persians. The cooperation between the Arabs and Romans gradually increased especially in military and commercial affairs. For instance, the Nabataean 4 King 'Obidath ('Ubaydah, Obodas III, 28–9 B.C.), assisted the Roman army which was led by Aelius Gallus in 24 B.C. in order to occupy the Yemen 5. It was said the Nabatians offered guidance to the Romans.

Although the Romans blamed the Nabataean guides for the failure of their campaign, the felations between the Nabataens and Romans continued on good terms. As an evidance, the Nabataean King Harith IV (9 B.C. to 40 A.D.) Led the Campaign in 40 A.D. against the Kingdom of Yehudhah on behalf of the Romans 6.

- 1. Jwad 'Ali, Al-'Arab Qabil al-Islâm, Vol. 1, see also the Cambridge History of Islam, Vol. 1. (The rise and domination of the Arabs pre-Islamic arabia) p. 19.
- 2. Balādhuri, Futūh al-Buldān, (Cairo-1901), p.110,145), Ibn 'Asākir, 'Alīb.al-Hassan, Tahdhīb al-Tārīkh al-Kabīr (Damascus-1351 H), Vol. 1.P.175.
- 3. The Cambridge History of Islam, Vol. 1. p.21, Hitti, History of the Arabs, p. 68, London, 1964.
- 4. (Nabataeans (al-Anbāt, classical Nabataei) came as nomadic tribes from what is today called Transjordan. They dwelled in the south of Syria or north of Hijāaz in a place known as Batra' or Petra during the sixth century, B.C.) Hitti, History of the Arabs, p. 67, Sālim, Tarīkh al-Arab Fī-l- 'Asr al-Jahilîah, p. 183 Beirut, 1971.
- 5. The Roman expedition consisted of 10,000 men conducted from Egypt through Syria during the reign of Augustus Caesar. See, Hitti, History of the Arabs, p. 44, 68, London, 1964.
- 6. Jwad 'Ali, Op. Cit, Vol. 3, p. 40, 143.

#### Papers in English:

- Phases in the History of Arab-Byzantine Relationship.
   Dr. S.A. Mustafa College of Arts, Basrah University.
- 14. Al-Furug Kalam (Al-Razi) Dr. D. Al-Thamery, College of Medicine University of Baghdad.

#### Historian Biography:

Dr. Hassan Ahmed Ibrahim.

#### Symposium:

Symposium on Samara City.

#### Theses and Book Review:

- 1. Researches in the History of Al-Sunna Al-Musharafa By A. Al-Amry; Reviewed by Nada N. Abdul-Rahman.
- 2. The Jordanian-Syrian Relations since Independence (1946-1976) Reviewed by A. Abdul Hameed.
- 3. Iraq and Syria (1941)
  By J. Warner Translated by M.M. Al-Adhami Reviewed by S. Mukhaiber.
- Iran during the years of the Second/World War.
   By A.K. Salman Reviewed by M. Al-Jowari.

## THE ARAB HISTORIAN CONTENTS VOL. 37

#### Papers on Contemporary and Modern History:

- Sultan Sa'eed and the Arab-African Relations Dr. M.H. Al-Acdarus - U.A.E. Emirates.
- The Seasonal Commercial Markets in Castilla during the Second Half of the 15th Century.
   Dr. F.H. Abdul-Hussein College of Education Basrah University.
- 3. Dar Al-Ulm in Humat .... A Unique Cultural Institution N.S. Al-Muhami Dar Al-Karmal, Damascus.
- The Iraqi-Jordanian Relations (1941-1958)
   Dr. I.A. Yaghi College of Social Sciences, Imam Mohammed Bin Saud University.
- 5. The Relations between the Soviet Union and East European Countries. Dr. A.H. Al-Rumaihi University of Bahrain.

#### Papers on Islamic History:

- The Arabs and Al-Khazr during the Reign of Al-Rashidun and Omayyid Period.
   Dr. H. Al-Dagugi College of Education, University of Baghdad.
- Kanim-Bernu in Middle Sudan during the Medieval Age. Dr. A.T. Al-Taibi - Al-Fetch University, Libya.
- 8. Al-Tusi and his Role in the Mongol Invasion of Baghdad Dr. M.J. Al-Mashhadani — Institute of National and Socialist Studies, Al-Mustansiriya University.
- Al-Tabary ... The Historian and Al-Faqueh
   A. Abdul Baqi University of Arab Historians.

#### Papers on Ancient History and Archaeology:

- A Concentrated study in the Iraqi Military Thinking F.A. Ali and F.N. Al-Rawi College of Arts, University of Baghdad.
- 11. Art and Architecture in the Mosque of the Holy Qubat Al-Sakhra. Dr. S. Al-Nadur College of Arts, Al-Yarmuk University.
- 12. The Old and New Propaganda with Particular Reference to Iraq. Dr. K.H. Al-Rawi College of Arts, University of Baghdad.

## CONSULTATIVE COMMITTEE FOR HISTORICAL PUBLICATIONS

1. Dr. Salih Al-Hamaarna

2. Dr. Sultan Al-Qasimi

3. Dr. Said Khalil Hashim

4. Dr. Mohamed Al-Shareef

5. Dr. Mohamed Shneiti

6. Dr. Yousif Al-Thaqafi

7. Dr. Taaj As-Sir Heran

8. Dr. Ahmed Terbeen

9. Mr. Muhamed Ali Kareem

10. Dr. Ibraheem Ahmed

11. Mr. Ali Al-Shanfari

12. Mr. Ahmed Al-Anaani

13. Dr. Sultan Jasem

14. Dr. Abdul Malik Al-Timeemi

15. Dr. Umar Tadmuri

16. Dr. Mahmood Motawali

17. Dr. Mohamed Bin Rayaan,

18. Dr. Abdul Hadi Al-Taazi

19. Dr. Hussain Al Omari

20. Dr. Mohamed Ukasha

21. Abdula Ali Abraheem

22. Mohamed Abdula

Jordan

Arab Emarites

Bahrain

Tunisia

Algeria

Saudi Arabia

Sudan

Syria

The Somalia

Iraq

Uman

Palestine

Oatar

Kuwait

Lebanon

Egyptian

Moritanya

Yemeni Republic

Democratic Yemen

Libya

Jebuti

#### B. The Union' Journal

The Union has issued a scientific journal concerned with history entitled:

#### "The Arab Historian"

It contains many original and scientific works of the Arab historicans and researchers. The Union also intends to develop the journal and make it more convenient for advanced studies and scientific trends. Twenty five volumes have already been issued, 26, 27 and 28 are forthcoming and still in print.

### THE UNION'S ACTIVITIES

The Union has formed the following committees:

- 1. The Higher Committee for writing up the History of Arab Nation.
  - a. Dr. M.A. Al-Bukheet. Representing the project of the writing up of Al-Sham History, Jordan.
  - b. Dr. A.A. Al-Timeemi. Representing the project of the writing up of the Ottoman History, Tunis.
  - c. Dr. A.A. Al-Ansary. Representing the project of the writing up the Arab Peninsula History, Saudi Arabia.
  - d. Dr. N. Aaqil. Representative of the Project of the writing up of Arab History, Syria.
  - e. Dr. S.S. Al-Badri. Representing the project of writing up the History of the nation, Kuwait.
  - f. Dr. S.A. Al-Ali. Representing the Committe of writing up the History of the Nation, Iraq.
  - g. Dr. M.T. Al-Jarrary. Representing the conference for writing up the Arab Nation History, Libya.
- 2. The Committee for Supporting and subsidizing Historical Republications:
  - 1. Dr. F. Abdul Wahid, Chairman
  - 2. Dr. H.H. Za'ain
  - 3. Dr. R.H. Al-Khatab
  - 4. Dr. S.T. Al-Sheikhly
  - 5. Dr. F.O. Fawzi
  - 6. Dr. H. Al-Tikriti..
  - 7. Dr. Y. Al-Shahiri
  - 8. Dr. M.J. H. Al-Mesh hedani (Secretary)

## PUBLICATIONS OF THE UNION OF ARAB HISTORIANS

#### A. The Union of Arab Historians has issued the following works:

- "Bussorah (Al-Basrah) Diaries".
   Dr. M.A. Al-Najar & A.M. Ameen
- 2. "A.J. Toynbee: a Presentation Volume". in English & Arabic. Dr. H. Al-Takriti & Dr. A. Susa
- "The Zionist Movement in Tunis in the Period 1911-1927".
   Mr. Al-Taimomy Beirut 1979.
- "The Start of the Abadhian Movement" Dr. A. Khlaifat – Amman 1978.
- 5. "The Aspects o the Scientific Renaissance in Iraq in the Fourth & Fifth Centuries of Al-Hijra". Dr. M.H. Al-Zubaidy Beirut 1980.
- 6. "Jawahir Al-Mulook Fi Madayih Al-Mulook" A Collection written by the Post Hilal Ibn Sa'eed Ibn Araba Al-Omani Dr. D. Saloom Beirut 1979.
- "The Arab Tribes in the East during the Al-Amawi Reign".
   Dr. N. Hasan Beirut 1980.
- "Arab Civilization as a Substitute for Greek Civilization".
   Dr. S.S. Al-Ahmed (Beirut 1980).
- "The Prince Maslama Ibn Abdul Malik Ibn Marwan"
   Dr. A.M. Al-Adhamy (Beirut 1980).
- 10. "Introduction to the Study of the Resources of Omani History". Dr. Faruk A. Fawzy (Baghdad 1979).
- "Introduction to the Jazre Languages"
   Dr. S.S. Al-Ahmed (Baghdad 1981).
- 12. "Studies in the Convention of Arab Nation Frontiers 1847-1980. Dr. M.A. Al Najar (Beirut 1981).
- 13. "Palestine: Its History and Civilization". Dr. A.A. Garbia (Beirut 1981).
- "The Book of Al-Masudy as a Historian" Mr. A. Al-Azawi (Baghdad 1983).
- "Introduction to Mysticism and its Reality" Al-Imam Abdul Rahman Al-Salamy

#### Verified by

Dr. H. Ameen.

"Index to the Arab Historian Journal"
 Dr. M. J.H. Al-Mesh Hedani (Baghdad 1984).

## CONSULTATIVE BOARD OF THE ARAB HISTORIAN JOURNAL

Jordan 1. Dr. Yousef Gawanme

Arab Emirates 2. Dr. Alsha As - Sayyar

**Bahrain** 3. Shekha Hiya

Al-Khalifa

Tunisia 4. Mohamod Al Bagl Bin Mami

Algeria 5. Mr Muhamed Towali

Saudi Arabia 6. Dr Abdulla Al Al Athemeen

Uman 7. Prof Amir M.

Al Hujri

Sudan 8. Dr Joseph Fathel 9. Dr Layla Al Sabag Syria 10. Dr Muhamed Mukhtar Somalia

Iraq 11. Dr Wameth J.U. Nathmi **Palestine** 12. Dr Khayriya Qasmiya 13. Dr Mustafa Aqeel Qatar

Kuwait 14. Dr Najat A.Q. Al Qanai

Lebanon 15. Dr Masud Dhahir Libya 16. Dr Najah Al Qabsi

17. Dr Farouq Abath Egypt Muritamia 18. Mr Muhamed Al-Hanash

Walad Muhamed Salih

Morroco 19. Dr Ahmed Bosharb North Yemen 20. Dr Joseph Abdulla South Yemen 21. Dr Asmahan Aglan

Jeboti 22. Said Ahmed

### EDITORIAL BOARD

- 1. Prof. Dr. Mustafa A.Q. al Najjar General Secretary of the Union of Arab Historians, Editor-in-Chief.
- 2. Dr. Mohammed J.H. Al-Mashhadaani Managing Editor.
- 3. Dr. Zeki Majeed hassan, Foreign Editor.
- 4. Dr. Husain M. Al-Kahwati, Secretary.
- 5. Dr. Nazaar A.L. Al-Hadeethi Director of Association of Iraqi Historioans and archaeologists, Member.
- 6. Dr. Abdul Munim Rashaad, Head of Association of Historians and Archaeologists in Musil, Member.
- 7. Dr. Jihaad Salih Al-Umar, Head of Association of Historians and Archaeologists in Basrsh, Member.

### **Annual Subscription**

Inside Iraq	Outside Iraq
50 dinars	150 dollars
20 dinars	60 dollars
10 dinars	30 dollars
	50 dinars 20 dinars

All Correspondance to:

The Editor-in-Chief

P.O. Box 4085

Baghdad - Iraq

Union of Arab Historians

Tel. 4448006

## REQUIREMENTS OF PUBLICATIONS

- 1. Papers should be truly academic.
- 2. Papers should be compatible with the aims of the chaim.
- 3. Paper should not exceed 50 pages.
- 4. Papers should be original and not sent elsewhere.
- 5. Paper could cover any area in history and written either in Arabic or in English.
- 6. Title should be typed on a separate sheet, with the name(s) of authors in full.
- 7. Papers should be typed in two copies on every other line, and properly numbered.
- 8. In case the paper is delivered at a conference this should be foot-noted.
- 9. Full notes should be unified and correctly numbered.
- 10. all papers are evaluated before being accepted.
- 11. Papers are alphabetically ordered.
- 12. Address and name of authors should be clearly written in English.

## JOURNAL OF ARAB HISTORICIANS

Office of the General Secretary

Iraq - Baghdad - P.O. Box 4085

Cable: MOARKHEEN Baghdad



## THE ARAB HISTORIAN Al-MUARRIKH Al-ARABI

## A Quarterly Issued by THE UNION OF ARAB HISTORIANS BAGHDAD

مرز تحقیق تا موجود اسدی

No. (37) 1989 Eleventh Year (1409) A.H.





# The Arab Historian

Al-Muarrikh Al-Arabi

Journal of Arab Historians
A quarterly issued by the Union of Arab Historians



Office of the General Secretary

Iraq — Baghdad P.O. Box: 4085

Cable: MOARKHEEN Baghdad

No. 37 1988 (1409 A.H) Fourteenth year.